تهذيب كتاب

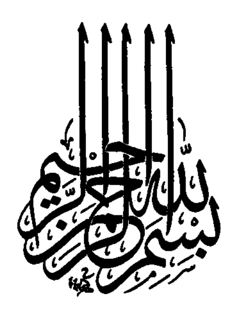
لطف التدبير

في سياسات الملوك

وهو فيما وقع للخلفاء والسلاطين
من الأحاديث الغريبة والحكايات العجيبة

للأديب محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي
المتوفى سنة ٤٢١ هـ

عن النسخة التي حققها وعلق عليها
الأستاذ أحمد عبد الباقي



بسم الله الرحمن الرحيم

تهذيب كتاب
لُطف التّدبير
في سِياسَاتِ المُلوك

الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

المكتبة المكية

حي الهجرة - مكة المكرمة - السعودية - هاتف وفاكس : ٥٣٤٠٨٢٢

قامت بطباعته وإخراجه دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب : ٥٩٥٥ـ١٤ ويطلب منها

مُقدّمة النّاشر

الحمد لله الذي جعل في قصص الأقدمين عبرة، والصلاة والسلام على رسوله الذاكر أخبار من سبقه إنذاراً وتعريضاً على إدامة الفكرة.

وبعد، فقد أحسن السلف بكتابة تاريخ من سبقهم ومن حضرهم من الولاة والأفراد وصانعي الأحداث. وكان من أغراضهم في ذلك إسداء النصيحة في صورة الخبر المنقول، لكن من غير تدخل في نقل هذه الأخبار والأحداث وذلك أمانة منهم للعرض التاريخي لمجرى هذه الأمور كما رُويت لهم.

وكتابنا هذا كتاب سَمَرٍ وتاريخ، تناول فيه المؤلف الخطيب الإسكافي أخبار الملوك والأمراء ممن سبقه رغبة في إفادة من عاصره من الولاة، مرتباً ذلك كله على أبواب يحتاج إليها كلّ من ساس أمر الناس أو ولي شأنهم، فكان ذلك مجيداً بارعاً في التقسيم والتبويب وحسن العرض، رحمه الله تعالى.

وقـد نشر هـذا الكتاب ـ قبـل طبعتنـا هـذه ـ نشـرة علمية رائقة تَنمّ عن علم غـزير عنـد محققها الأستـاذ أحمد عبد الباقي الذي بذل غاية الجهد في ضبط نص الكتاب عن نسخـه المخطوطـة المختلفة، ثم في التعليق على مـواضـع الإشكال في الكتاب مما زاده نفعاً وفائدة.

بيد أنه قد وردت في الكتاب بضـع أخبار لم يكن من المستحسن من المؤلف الإسكـافي إيرادهـا لمـا حـوتـه من مبالغةٍ عظيمة أو تحـريف لواقعـة أثبت الثقات غيـر ما ذكـر فيهـا. وقـد أشــار الأستـاذ المحقق إلى شيء من هــذا في مقدمة. فأثرنا إخراج هذا التهذيب دون ذكرها فيه حتى تعم فائدة الكتاب وحتى لا يكون سبباً في التشويش على الناشئة من قرائه والله الموفق.

مقدمة الكتاب

من بين المخطوطات التي تعتز بها مكتبة المثنى ببغداد، مخطوطة نفيسة يرجع عهدها إلى القرن التاسع الهجري، بعنوان: «لطف التدبير» تأليف محمد بن عبد الله الخطيب، المعروف بالإسكافي المتوفى سنة ٤٢١هـ . وقد تصفحتها بإمعان، فوجدتها تضم مجموعة من الحكايات والأخبار، فيها بحوث شيقة ومعلومات طريفة، علاوة على قيمتها الأدبية والتاريخية. فحاولت إخراجها من مطاوي النسيان بتحقيقها ونشرها، مساهمةً بقسط متواضع في حركة إحياء تراثنا العربي الخالد.

تقع المخطوطة في (٢٢٠) صحيفة من القطع المتوسط، كتبت بخط النسخ، وبمداد أسود ثابت، عدا العناوين التي كتبت بالمداد الأحمر، واتبعت صحائفها نظام التعقيبة. وللمخطوطة غلافان: أحدهما داخلي، وهو غلافها الأصلي، والآخر خارجي، يظهر أنه أُضيف إليها بعد مدة من كتابتها، لأن العنوان المثبت عليه يختلف في خطه

ومضمونه عن العنوان الوارد على الغلاف الداخلي، كما أن ورق هذا الغلاف يختلف عن بقية ورق المخطوطة.

وعنوان المخطوطة على غلافها الداخلي الأصلي هو: «كتاب لطف التدبير لمحمد بن عبد الله الخطيب، تغمده الله تعالى برحمته». أما العنوان المدون على الخلاف الخارجي المضاف فهو: «كتاب الجوهر الإكسير في اللطف والتدبير فيما وقع للخلفاء والسلاطين من الأحاديث الغريبة والحكايات العجيبة. تأليف خاتمة الحفّاظ والمحدِّثين: الحافظ البغدادي تغمده الله برحمته، آمين. وقد اشتمل على اثنين وثلاثين باباً على التمام والكمال». وهذا العنوان؛ كما يبدو، مُستَمد من مُحتوى الكتاب. إلاَّ أن الذي أضاف الغلاف الثاني، توهم في اسم المؤلف، حين نسب الكتاب إلى الحافظ البغدادي، وهو أبو بكر أحمد بن علي الخطيب صاحب تاريخ بغداد. والوقوع بهذا الخطأ غير مُستغرب، وذلك لتشابه لقب المؤلفَيْن، ولسعة شهرة الخطيب البغدادي بالنسبة للخطيب الإسكافي مؤلف الكتاب.

وتنتهي المخطوطة بالعبارة التقليدية للمخطوطات العربية، وتتضمن اسم الناسخ وتاريخ النسخ، وقد أثبتناها

في آخـر الكتاب. وليس فيهـا مـا يشيـر إلى الأصـل الـذي نسخت عنه، وهو نقص يؤسف له.

والمخـطوطـة رغم عمـرهـا الـطويـل الـذي قـارب خمسمائة عام، نظيفـة بصورة عـامّة، ولا زال ورقهـا صقيلاً قـويًا على كـرٍّ هـذه السنين، خـلا بعض الصحـائف القليلة التي تسـربت إليهـا الأَرَضــة. إلاَّ أن تخـريبــاتهـا، لحسن الحظ، قليلة، وأكثـرها قـد حدث في هـوامش الصحائف، فلم تؤثر على شيء من نصوص الكتاب إلاَّ اليسير. وخـطها على وضوحه وسهـولة قـراءته حصـل في عدد غيـر قليل من كلمـاته تصحيف وتحـريف، بَعُدَ بهـا عن معناهـا الأصلي. كمـا سَها النـاسخ عن نسـخ بعض الكلمات والعبـارات في بعض الأبواب.

وقد تيسر لنا الحصول على صورة فوتـوغرافيـة لنسخة أخرى من الكتاب، موجودة في مكتبة السلطان أحمد الثالث باستانبول، وقام بتصويرها معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة. وقد تفضل الأخ الأستـاذ فؤاد سيد، أمين دار الكتب المصرية بتوفيرها لنا؛ فله منا جزيـل الشكر على مساهمته بإحياء هذا التراث العزيز.

وعنوان هذه النسخة، وسوف نـرمز إليهـا برمـز (ب)، يـطابق عنوان نسختنـا حيث جـاء كمـا يلي: «كتـاب لـطف

التدبير، من جمع الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل الحبر العلامة أبي عبد الله الخطيب، قدَّس الله روحه، بمحمد وآله الطاهرين».

ويلاحظ أن هذه النسخة نسبت كذلك إلى العلامة الخطيب البغدادي، وهو نفس الخطأ الذي وقع فيه مالك نسختنا عندما أضاف الغلاف الخارجي.

وهناك عنوان آخر للكتاب كتب فى أعلى الغلاف بخط يغاير خط العنوان الأصلي هو: «كتاب لطف التدبير في تدبير الرئاسة». ويظهر من نوع خطه أنه كتب بعد مدة من نسخها.

تتألف النسخة من (١١٦) صحيفة تحتوي كل منها على (٢١) سطراً، وقد كتبت بخط النسخ. وخطها قوي واضح ويعتبر ممتازاً، ونرجح أن ناسخها خطاط. إلاَّ أنها مثل غيرها من المخطوطات، جاءت مشحونة بأخطاء الناسخ من تصحيف بعض الكلمات وتحريفها، وإغفال بعض الجمل والعبارات، وتقديم الأقسام وتأخير بعضها بالنسبة لنسختنا. كما أن عدداً من قصصها تنقص عن مثيلاتها في نسختنا، مما يجعل نسختنا أتم وأكمل من النسخة الثانية. ولذلك اعتبرنا نسختنا هي الأصل ورمزنا إليها بحرف (أ)،

وحاولنا أن يكون الكتاب المطبوع طبق ذلك الأصل جهد الإمكان.

غير أننا اعتورتنا بعض المصاعب التي يقدرها مَنْ عالج تحقيق الكتب المخطوطة ونشرها، منها الأخطاء في النسخ، بتصحيف بعض الكلمات أو تحريفها، مما يخرجها عن معناها الأصلي أحياناً، أو سهو الناسخ عن نسخ بعض الكلمات أوالعبارات، فيأتي النص ناقصاً. فحاولنا الاستفادة من نسخة (ب)، فساعدتنا على قراءة ما لم نستطع قراءته من الكلمات في نسخة (أ)، وفي إكمال النقص الذي جاء في بعض أبوابها، وفي تصحيح الاضطراب والارتباك في بعض عباراتها، فوضعنا ما أخذناه من النسخة الثانية (ب) ليكمل النقص الذي في نسخة الأصل بين قوسين. أما الكلمات التي وجدناها تتباين بألفاظها ومعانيها بين النسختين، فقد حاولنا أن نثبت ما في نسخة الأصل، ثم نشير في الهامش إلى ما ورد في نسخة (ب)، إلاّ في حالات قليلة جداً، عندما لا نجد ما ورد في نسخة الأصل يطابق سياق الكلام، فنأخذها كما وردت في النسخة الثانية (ب)، ونشير إلى ذلك في الهامش.

كما أننا حاولنا أن نرجع في تحقيق بعض النصوص التي وردت في تضاعيف الكتاب إلى أصولها في أمهات

المصادر، وبخاصة ما سبق تأليفه عصر المؤلف، لمقابلتها وتصحيحها بحسب ما جاءت في تلك الأصول، وقد أشرنا في الهامش إلى كل تصويب من هذا القبيل. وبهذه الوسيلة أيضاً استطعنا أن نكمل ما وجدناه من نقص في بعض النصوص، وتقويم لبعض، استعصى علينا في كلتا النسختين، إلاَّ أن بعض الأبيات الشعرية التي لم نعثر على أصولها في مصادر أخرى؛ فقد اضطررنا إلى إثباتها كما جاءت في المخطوطة.

وبالنظر لشدة التشابه والتقارب بين النسختين، نستطيع أن نقول إنهما قد نقلتا عن أصل واحد. أما الاختلافات الموجودة بينهما، وهي قليلة، فمردها إلى الناسخ في كل منهما. إما لنسيانه نسخ بعض الكلمات والعبارات أو لعدم استطاعته قراءة الأصل. ومن الطبيعي أن نجهل ما إذا كان نسخ هاتين النسختين قد تمَّ عن نسخة المؤلف أم غيرها، لأنهما لا تتضمنان أية إشارة إلى النسخة التي تم النقل عنها.

إلاَّ أن الخط الذي كتبت به النسخة الثانية، من حيث نوعه وقوته ووضوحه، يجعلنا نرجح أنها كتبت مؤخراً، غير أن الناسخ آثر أن يضع عليها تاريخ النسخة التي نقل عنها. والواقع أن الناسخ لم يذكر اسمه في آخر المخطوطة، كما

هـو المعتـاد، بـل اكتفى بقـولـه: «تمت النسخـة المبـاركـة المسماة بلطف التدبير في أول رمضان المبـارك سنة ثمـانين وثمانمائة» وأرجح أن هذه العبارة قـد نقلها مـع نص الكتاب بألفاظها وتاريخها. ولو كنا اطلعنا على المخـطوطة نفسهـا، لكان في نوع ورقهـا ودرجة جِـدَّتها مـا يساعـدنا على تـأكيد ما ذهبنا إليه. على أن الصورة الفـوتوغـرافية التي بين أيدينا للنسخة الثانيـة، تدل دلالـة واضحة على نـظافة المخـطوطة وجـدَّتها، ممـا يؤيد قـولنا بحـداثة نسخهـا إضافـة إلى نوع خطها وقوته، كما أشرنا آنفاً.

وللتحقق من عنـوان الكتـاب وصحـة نسبتـه إلـى الخـطيب الإسكـافي، رجعنـا إلى عـدد من كتب التـاريـخ والتـراجم، التي وضعت في عصر المؤلف وبعـده، كتاريـخ بغـداد للخطيب البغـدادي، وكتـاب الأنسـاب للسمعـاني، وكتـاب المنتـظم لابن الجـوزي، ومعجم الأدبـاء ليـاقـوت الحموي، وكتاب الكامل لابن الأثير، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكـان، فلم نجـد للمؤلـف محـمـد بن عـبـد الله الإسكافي ذكراً في هذه المصادر، عـدا ترجمـة مقتضبة في معجم الأدباء، تضمنت إشارة مـوجزة عنـه مع أسمـاء بعض ما ألّف من الكتب، وقد ورد ذكر هذا الكتـاب بينها بـاسم: «لطف التدابير في سياسـات الملوك». وقد لاحـظنا أن كتب

التـراجم وفهارس الكتب التي وضعت بعـد صـاحب معجم الأدبـــاء، والتي تضمنت شيئـــاً عن الخــطيب الإسـكـــافي ومؤلفـاته، قـد نقلت ما جـاء عنه في المعجم المـذكور دون زيـادة. فإن صـلاح الدين الصفـدي صاحب كتـاب «الوافي بالوفيات» نقل حرفياً ما جاء في معجم الأدباء عن الإسكافي ومؤلفـاته. ومثله فعـل السيوطي في كتـابه بغيـة الـوعـاة في طبقـات اللغـويين والنحـاة. وكـذلـك الأمـر في المعـــاجم الحـديثة مثـل كشف الظنـون عن أسـامي الكتب والفنـون، ومعجم المـطبوعـات العربيـة والمعرَّبـة، وهديـة العارفين، ومعجم المؤلفين، وكتـاب الأَعـلام. فـإنهـا كلهـــا اقتبست مـا تضمنـه معجم الأدبـاء مـع بعض التحـــريف في عنـوان الكـتـاب فقـــد ذكـره صاحب كشف الـظنون بعنـوان: «لطف التدبير في سياسات الملوك» أما صاحب معجم المطبوعـات فقد أثبته بعنوان: «لطف التدبير في سياسة الملوك» وسـايره في ذلك صاحب هدية العارفين وصاحب الأعلام.

أمـا المستشـرق بـروكلمـان، فقـــد ذكـره في كتـــابـه المفصل عن تاريخ الآداب العربية باسم «لـطف التدبيـر في حيـل الملوك» وقد أشـار إلى وجود نسختين مخـطوطتين من الكتاب في استانبـول، إحداهمـا في خزانـة عاشـر بعنوان: «لطف التدبير في حيل الملوك»، والثـانية في خـزانة طـوب

قبو. سراي (أحمد الثالث) وهي التي حصلنا على صورة منها.

والكتاب مجموعة أخبار وحكايات مبوبة في اثنين وثلاثين باباً، ينتظم كل منها قصصاً يتفق مغزاها وعنوان الباب، مع باب ختامية في أغراض مختلفة. وبوسعنا أن نقسم الأغراض الأساسية التي تضمنتها أبواب الكتاب إلى ستة أقسام هي:

١ ــ ما يحتاج الملوك إلى معرفته من لطف التدبير في عقد الملك وإدارة شؤونه، وفي معالجة أمور الفتن والشغب.

٢ ــ الحروب وتدبيرها كفتح القلاع والبلدان، وصد الأعداء ودحرهم.

٣ ــ دفع المكروه بقول أو بلطف أو بمكروه مثله، ودفع الشبهات.

٤ ــ المكايدة والثأر والانتقام.

٥ ــ فنون السياسة كالتعرف على الأسرار، والتستر، وفسخ العزائم.

٦ ــ ضروب مختلفة من لطف التدبير.

إن الحكايات والأخبار التي رواها المؤلف في الكتاب

مستمـدة من تـاريـخ العـرب وأيــامهم في جـاهليتهم، ومن حـوادث التاريـخ الإسلامي، ومن تـاريـخ الـروم والفـرس. ومعظم هذه الأخبـار حقائق تـاريخية صحيحـة المعلومات، أي أنها قد حـدثت فعلاً ولعب أبـطالها دورهم في الحيـاة. عدا بعضها، **وهو قليل جداً، مما يدخل في قسم الأسـاطير والخرافات التي اعتدنا عليها في المؤلفات القديمة.**

إلاَّ أنـه ممـا يؤسف لـه، أن مقـدمـة الكتـاب جـاءت مختصـرة جداً، ليس فيهـا ما يبين سبب تـأليفـه، كمـا أنهـا لا تتعرض للظروف التي أملت على المؤلف تأليفه، ولا تبين الغـرض الذي استهـدفه من وضعـه. وكذلـك خلت أبـواب الكتاب المختلفة من الإشارة إلى ذلك. ولعله قـد استهدف من حكاياته هذه وتبـويبها بحسب الأغـراض التي ذكرنـاها، أن يضع أمام حكام عصره من الخلفـاء والسلاطين والـوزراء والـولاة، حلولاً عمليـة لمشـاكـل جـابهت أمثـالهم في دول أو أمم أخرى عبر تاريخها، لعلهم يعتبرون بها ويفيـدون من نتائجها، مما يساعدهم على النهوض بمسؤوليـات الحكم. وقد تخيَّر المؤلف من الحكايات والحـوادث ما يـلائم قصده في كل باب، ومن يطالع الكتاب بإمعـان، يجد أن المؤلف قد وُفِّق في اختياره إلى حدٍّ بعيد.

ومما يلفت النظر حقاً، أن المؤلف قد التـزم في سرد

هـذه الحكايـات والأخبـار، في الأبـواب المختلفـة، منتهى الـموضوعيـة، فلم يستطرد في بحثـه أو يتبسط في روايتـه، ولم يقحم فيهـا تجاربـه وخبراتـه أو مشاهـداتـه، ولم ينتقـد أو يعلق على أي قسم منها بما يمثل رأيه ووجهة نظره. كمـا أنه لم يذكر أي شيء عن نفسه سواء ما يتعلق بنشأته وماضيه وحـاضره، أو اتصـالاته. فـالكتاب على هـذا نموذج ممتـاز لـلأسلوب الموضـوعي المجرد في الكتـابة والتـأليف. ومما يـزيد في قيمـة الكتـاب، أن معـظم الأخبـار التي تضمنتهـا أبـوابـه المختلفـة، رواهـا المؤلف بسنـدهـا، وأن من روى عنهم يعتبـرون من ثقاة الـرواة والـواقـع أن من روى عنهم، سواء بصورة مباشرة أو غيـر مباشـرة، يكادون أن يكـونوا من الـطبقة الأولى من حيث مـركـزهم العلمي ودرجـة الاعتمـاد على روايتهم والثقـة بها. وأقـدم رواتـه عبـد الله بن عبـاس وتابعه جابر بن زيـد. وابن عباس، كمـا سمى حبـر الأمـة، حجة في شعر العرب وأيامهم، وأعلم النـاس بآيـات القرآن وتـأويلها. كمـا كان جـابر بن زيـد، من أئمة الفقهـاء وثقـاة المحدثين.

أما رواته من رجـال القرن الثـاني للهجرة، فـأشهرهم الشعبـي عـامر بن شـراحيل، وهـو أحد ثقـاة رواة الحـديث والأخبـار، ومحـارب بن دثـار القـاضي الفقيـه، وقتـادة

ابن دعامة إمام العربية وأحفظ أهل البصـرة في زمانـه للشعر والأخبار، ومجالد ابن سعيد الهمـداني أحد الثقـاة في رواية الحـديث والأخبـار، والـوليـد بن حصين الكلبـي الملقب بشـرقي، الراويـة الأديب الـذي انتـدبـه المنصـور العبـاسي ليـدرس ابنـه المهـدي فنـون الأدب، وشعبـة بن الحجـاج العتكي أحـد أئمة الحـديث والأدب، وإسماعيـل بن عياش العنسي عالم الشام ومحدثها.

وأشهـر رواتـه من رجـال القـرن الثـالث الهجـري، هشـام بن محمد الكلبـي المؤرخ والعـالم بـأنسـاب العـرب وأخبارهم وصاحب المؤلفات العديـدة في ذلك. والأصمعي عبد الملك بن قَريب الباهلي راوية العـرب وأحد أئمـة اللغة والشعر، والمدائني علي بن محمـد الراويـة المؤرخ صاحب المؤلفـات العـديـدة في أخبـار الجـاهليـة والسيـرة النبـويـة والفتوحات الإسلامية وتاريخ الخلفاء.

أما من ناحيـة موضـوع الكتاب، فـإنه يعتبـر من أقدم المؤلفـات في موضـوع السياسـات الملكيـة. ولم نجـد من سبق الخـطيب الإسكـافي من مؤلفي المسلمين ومؤرخيهم، في الكتابة في هذا الموضوع، سوى شهاب الدين أحمد بن أبـي الـربيع (المتـوفى سنة ٢٧٢هـ) الـذي وضـع للخليفـة المعتصم العباسي كتاباً في هذا الباب سماه «سلوك المـالك

في تـدبير الممـالك». أمـا الكتب الأخرى الشهيـرة في هذا المـوضوع، فقـد وضعت بعـد الإسكـافي. وقـد وضـع ابن أبـي الربيع كتابه على أساس طريقة التشجير التي تقوم على عـرض خلاصـة البحث بنقـاط أسـاسيـة تتفـرع منهـا نقـاط ثانوية، توضع بشكل متسلسل متشعب. وقد احتوى الكتاب على فصـول أربعـة، كتبت بشكـل فلسفي مجـرد خـال من الحـوادث التـاريخيـة، وهي تـدل على غـزارة علم المؤلف وسعة اطلاعه على معارف عصـره، وعلى قدرتـه في تحليل المـواضيـع وتعليلهـا وبيـان نتـائجهـا. ولم نجـد في كتـاب الخـطيب الإسكافي مـا يدل على أنـه قـد اقتبس شيئـاً ممـا احتواه كتاب ابن أبـي الـربيع، إذ أن بحـوث هذا الكتـاب، كمـا قلنـا، فلسفيـة مجـردة، بينمـا يقـوم كتــاب الخـطيب الإسكافي على عرض صـور مختلفة مستمـدة من الحوادث التاريخية. وذلـك مما يجعـل لكتاب الإسكـافي قيمة كبيـرة باعتباره من أوائل ما ألف في هذا الموضوع.

على أن أهمية كتاب الإسكافي لا تقتصر على أسبقيته وحسب، بل تظهـر فيما انـطوى عليه من حقـائق تاريخيـة، تكشف عن كثيـر من جـوانب الحيـاة السيـاسيــة للمجتمـع الإسلامي في عصر المؤلف، وخلال القرون الأربعـة الأولى من التاريخ الإسـلامي، وهي ولا شك منبـع غزيـر قد ينفـع دارسي التاريخ المذكور.

غيـر أنه ممـا يدعـو إلى الاستغراب، أننـا لا نجد في كتب التراجم التي أشرنا إليها شيئاً عن المؤلف، عدا ما جاء عنـه في معجم الأدبـاء. إن تـرجمتـه التي وردت في هــذا الكتـاب، جـاءت مقتضبـة جـداً لا تشفي غليــل البـاحث، ولا تتفق ومنزلة المؤلف العـلامة الإسكـافي. وهي لا تتعدى اسمه وكنيته وعمله وشهـرته التي عُـرف بها، وتسميـة بعض الكتب التي صنفهـا. ولا نعرف لمـاذا أغفلت تلك المصادر ذكـره فلم تتـرجم لـه، وهـل كـان ذلـك مقصـوداً لعـوامـل نجهلها؟ أم أن الخطيب الإسكافي لم يكن بتلك الدرجة من الشهرة والمنزلة في عالم الأدب والتأليف، بحيث لا يستحق أن تنوه به الكتب وأن تترجم له؟ إلَّا أن شهرته العلميـة، قد أشـاد بها الصـاحب بن عباد عنـدما قـال، كما روى يـاقوت الحموي في معجمه: «فاز بالعلم من أهـل أصبهان ثـلاثة: حـائـك، وحـلَّاج، وإسكـاف». والإسكـاف، كمـا يقــول ابن عبَّـاد، هو أبـو عبد الله الخـطيب. وذلك ولا شـك دليل واضح على سمو مكانته العلمية ومركزه الأدبـي.

وقد يكون ابتعـاده عن الخلفاء والـولاة وعدم اتصـاله بهم وتقـربه إليهم، سببـاً في هـذا الإغفـال. لأن كثيـراً من الفلاسفة والعلماء والشعراء والأدباء، لم ينبهوا ولم يشتهـروا إلَّا بعد أن ارتبط اسمهم بخليفة قـرّبهم إليه، أو وال شملهم

برعايته. ولا ندري ما إذا كان الخطيب الإسكافي قد عاش بعيداً عن الخلفاء والولاة وغيرهم من ذوي السلطان، فلم تتح له الفرصة للبروز والاشتهار. غير أن ياقوتاً الحموي يشير في النبذة الموجزة التي كتبها عنه في معجمه الأدبي، إلى أنه كان أحد أصحاب ابن عبَّاد الصاحب. وإذا كان ذلك صحيحاً، فإنه يعني أن مجال الشهرة كان مفتوحاً أمامه لو أراد، لِمَا نعرفه عن الصاحب ورعايته العلماء الأدباء. إلاَّ أننا لم نلمس لهذه الصحبة أي تأثير على الخطيب الإسكافي. فإن من يدرس حياة الصاحب بن عبَّاد، ويتعرف على من اتصل به من العلماء والأدباء والشعراء، يجدهم كثيراً عددهم، وبعضهم ممن ليسوا بمنزلة الإسكافي العلمية والأدبية، قد اقترنت أسماؤهم باسم ابن عبَّاد. وهذا يجعلنا نميل إلى القول بأن الخطيب الإسكافي كان يؤثر العزلة في حياته. ولعله كان مرهقاً في مهنته الخاصة التي اتخذها مصدراً لعيشه، وقد آثرها على الكسب من تقربه إلى ذوي السلطان، فلم يطرق أبوابهم أو يتردد على مجالسهم. فابتعد بذلك عن مجال الاشتهار.

وللخطيب الإسكافي كتب أخرى غير هذا الكتاب الذي نقدمه، وقد ذكرها ياقوت في معجمه الأدبي وتناقلها عنه مَنْ ترجم للمؤلف بعد ذلك وهي: كتاب غلط كتاب العين، ومبادىء اللغة، ونقد الشعر، والغُرَّة، وشواهد كتاب

سيبويه، ودرة التنزيل وغـرّة التأويـل في الآيات المتشـابهة. وقـد طُبع من هـذه الكتب: كتاب مبـادىء اللغة في مـطبعة السعـادة بمصر في سنـة ١٢٣٥هـ . ـ وكتاب درة التنـزيـل وغرة التأويل، في مطبعة السعادة كذلك في سنة ١٣٢٦.

وعثـرنا على مخـطوطة في خـزانة يعقـوب سـركيس، التي أهداها إلى جامعة الحكمة ببغداد، فيهـا الكتب التاليـة لـلإسكافي: مبـادىء اللغة، وشـرح أبيـات مبـادىء اللغـة، وخَلْق الإنسان. ويبدو أن الكتـابين الأول والثاني همـا نفس كتاب مبادىء اللغة المطبـوع. أما الثـالث منها، فهـو كتاب آخر من تصانيف الإسكافي مما لم يذكره ياقوت.

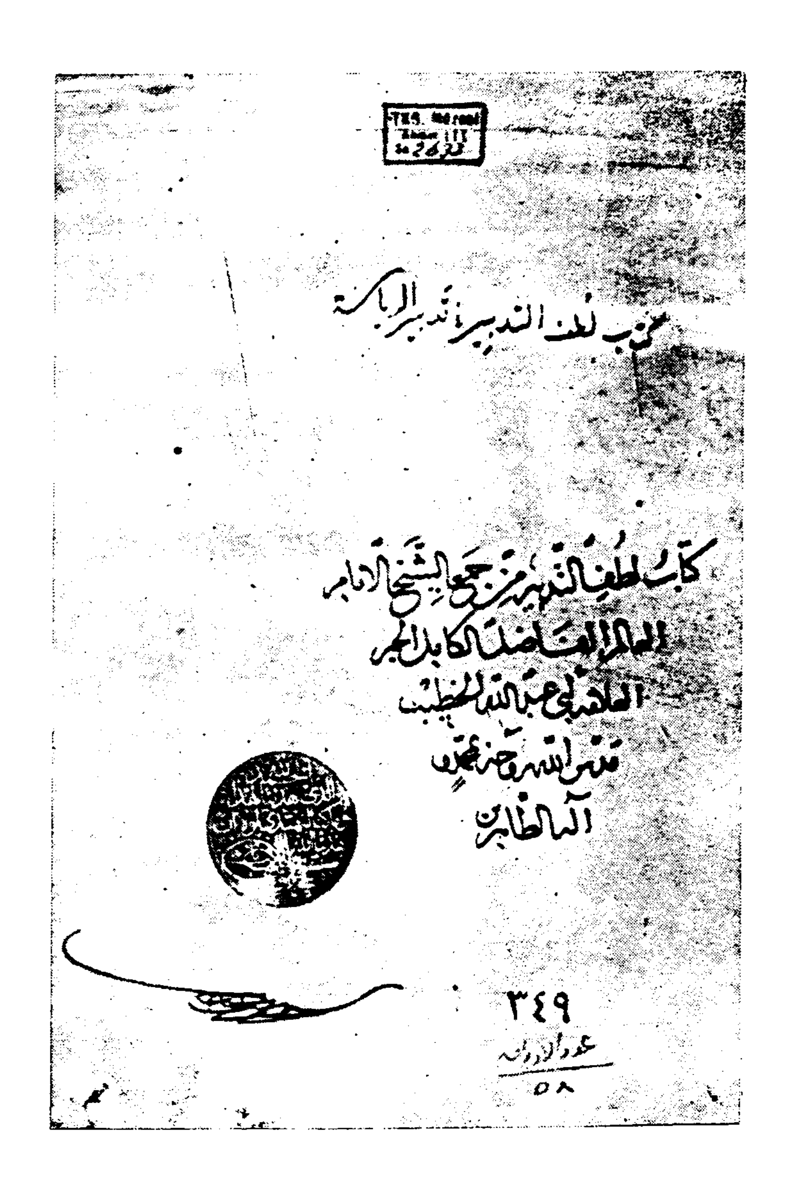
وبعد، فإننـا نرجـو أن يكون التـوفيق قد حـالفنا فيمـا بذلناه من جهد لإخراج هذا الكتاب إلى عالم المطبـوعات، وأن ينال من اهتمام المعنيين بالتاريخ الإسلامي ما هو جدير به، وذلك حسبنا.

كما نزجي خالص شكرنا للإخوان الذين كانوا عوناً لنا في ذلك.

والله ولي التوفيق.

أحمد عبد الباقي

بغداد في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤



كتاب لطف التدبير في تدبير الرياسة

كتاب لطائف التدبير من جمع الشيخ الإمام
العالم الفاضل الكامل
العلامة أبي عبد الله الخطيب

٣٤٩

٥٨

صفحة العنوان مـن مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستانبول

بنت بقيلة لعيالك فكان حتى خالد بن الوليد فلما صالح خالد اهل الحيرة قال له

ان النبي صلى الله عليه وسلم كان وهب لي بنت بقيلة فقال من يشهد لك بذلك فشهد

له محمد بن مسلمة ومحمد بن بشير الانصاري فدفعها خالد رضي الله عنه الى الرجل

بنت بقيلة من ملكه لان نبينا عليه الصلوة والسلام كان وهبها للرجل من الصحابة

فجزع اهل الحيرة من ذلك وقالوا للرجل لو اعطيتها لو اعطيناك بها ما ملك

بجمل بيت ذهبا فقال لا تعطيها حتى انظر ما لوا لك ذلك فدعا بها عجوز كبيرة قد

رق ما في حجابها فكشف الحجاب فنظر اليها فقال لك هي لك ثم قال لهم بالالف

فقيل له الدهر لما ارى فقالوا ما حكمك الا ان تبدلك فقال ما احكم عشر مائة قالوا

فلك عشر مائة وبلغ المسلمين انه قد حكموه فرجع اليهم بعشر مائة فقالوا له قد حكمت عشر

مرتين كيف صارت عشرة وانت شاب قال هذه واحدة قالوا عشر مائة وفي الاخرى

مرة انها عشر مائة فلولا انه عشرة الالف قال ما عرفت ذلك وقيل كان رجل يجمع

بالناس يتعاشرون فرجع الصبر لذا اصيب على صاحبه فكان كلما اتاه ينكره من

مرتبة قال اذا رفاه اياك ان تذكر العدد اذا اصبت المرة بائسك فانك لو ذكر

جعلك الرقيه فكان ايحكم اذا اصاب الى الفراش او لم يتعصر قال له ذكر العدد

فلما لعن الرجل يفضح المنى لياه فيقول كيف بت فيقول بت وحشا فيقول له

لعلك ذكرت العدد فيقول نعم فيقول من ثمة لم تما

تمت النسخة المباركة المسماة بلطف التدبير

فاز بالدعاء المبارك

الصفحة الأخيرة من مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باستانبول

مُقدّمة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمدُ الله واجب قبل كل كلام، ومنحةَ العقل فوق كل إنعام، وما بعدَ كتب الله المنزلة على أنبيائه صلوات الله عليهم، وبعد جوامع كلِمهم، أشرف من ثمرات العقول التي يرثها الآخِرُ عن الأول، ويُستند بها في الدين إلى المعلوم الأفضل، ويتسم بها للدنيا صهوة الأمر (المعضِل)[1]، عند سياسة العباد وعمارة البلاد.

فمدُّ الوادي من سيل التِلاعات[2]، وفيض الأنهار من سَبَل[3] القطرات. وإن كان في الناس مَنْ يؤيده الله من صواب الرأي بما يغنيه عن استمداد، ويوفقه حتى لا يحتاج في قراع الخطوب إلى استعداد. فتكاثر الأنوار على

---

(١) الأمر العضيل: الأمر العسير. والكلمة في الأصل مطموسة.

(٢) التلاعات: جمع تَلْعة، وهي مجاري أعلى الأرض إلى بطون الأودية.

(٣) السَبَل: ما سال من المطر، وفي الأصل «السيل».

المبهمات أنفع، ولظلام الشُّبَه أدفع. والله يهدي قلوب أوليائه ويشحذ بصائرهم على أعدائه بمنه.

وهذا المجموع اثنان وثلاثون باباً، مختومة بباب في ضروب مختلفة.



الباب الأول
في أوائِلُ ما تحتاجُ الملوكُ[1] إلى معرِفَتهِ

يُقال إن المأمون جمع يوماً ولَـدَه فقال: يـا بَنِي ليعلم الكبير منكم أنه إنما عظم قدره بصغارٍ عظموه، وقويت قوتـه بضعـافٍ أطاعـوه، وشرفت منـزلته بعـوام اتضعـوا لـه. فـلا يدعوَنَّه تفخيم المفخِّم منهم إيَّاه إلى تصغيره، وتعزيـزه أمره إلى تذليله. ولا يستأثـرون بفائـدة ورفق[2] دونه. ولا يـولعنَّ بتسميتـه عبداً كمـا سمَّت الأعـاجم، بـل وليَّـاً وأخـاً. فـإن الشيء الذي قِوامه من أجزاء خسيسـة ومعانٍ مـذمومـة، فهو أيضاً خسيس مذموم. وكل امـرىء من أولئك جـزء من عدة أجزائه، وعماد من أعمدة أمره. فإذا انحلت أجـزاؤه وزالت دعـائمه، مـال العماد وتهـدم الكل. وقـد قيـل إن من ملك أحـراراً طائعين كـان أشـرف ممن ملك عبيـداً مستكـرهين.

---

(١) في ب: «الكبار».

(٢) الرفق: ما استعين به من مال أو متاع وجمعها مرافق.

واعلموا أن قلوب الرعية خزائن ملكها، فما أودعها فليعلم أنه فيها[1].

وقال يوماً آخر لهم: ارجعوا فيما اشتبه عليكم من التدبير إلى رأي الحَزَمَة[2] المجربين والبررة المشفقين. فإنهم مَرائيكم[3] يُرونكم ما لا ترون، ويكشفون لكم أغطية ما لا تعلمون. فقد صحبوا لكم الدهور، ومارسوا الدول[4]، وكفوكم التجارب والعِبَر. وعرفوا حوادث الأزمنة وأعراضها وإقبالها وإدبارها، والعلل التي يسكن بها الهائج المضطرب ويهتاج لها الساكن المطمئن. فروِّضوا أنفسكم لهم، وتجرَّعوا مرارتهم. فقد قيل إنَّ من جرَّعك مُرًّا أشفق عليك ممن أوجرك[5] حلواً لتسقم، ومن خوَّفك لتأمن، أبرُّ ممن أمَّنك حتى تخاف.

---

(١) العبارة في عيون الأخبار ١ : ١٠ : «وفي كتب العجم: قلوب الرعية خزائن ملوكها فما أودعتها من شيء فلتعلم أنه فيها».

(٢) الحَزَمة: مفردها الحازم وهو الذي يضبط أموره ويحكمها ويأخذ فيها بالثقة.

(٣) مرائي: جمع مرآة وتجمع على مرايا كذلك.

(٤) مارس الأمر: عالجه، ومارسوا الدول تقلبوا في عدد منها وخبروها.

(٥) أوجره: جعله في فيه، أي أطعمه. وفي ب: «أطعمك».

وقد قيل: إن نصف عقلك مع المستشار، واعتبروا في علو الهمة بمن ترون من وزرائي وخاصتي. إنهم والله ما بلغوا مراتبهم عندي إلاَّ بأنفسهم. إنه من تبع منكم صغار الأمور تبعه التصغير والتحقير، وكان قليل ما يفعل[1] في كبارها أكثر من كثير[2] ما يَستدرك من الصغار. فترفَّعوا عن دناءة الهمة، وتفرغوا لجلائل التدبير. واستكفوا[3] الثقات فادنوها. وكونوا مثل كرام السباع، لا تشتغل بغوامض الوحش[4] والطير وحواشيها بل بجليلها[5] وكبارها. واعلموا أن أقدامكم إن لم تتقدم بكم فأيديكم لا تمدُّ بكم. ولا يغنى الولي[6] عنكم شيئاً ما لم تعطوه حقه من الصيانة والمادة.

وقال بُزْرجُمْهر[7]: عاملوا أحرار الناس بمحض

---

(١) في أ: «ما يعقل».
(٢) في ب: «كبير».
(٣) استكفى الرجلَ الشيءَ: طلب إليه أن يكفيه إياه.
(٤) غوامض الوحش: مفردها غامض وهو الخامل والذليل منها.
(٥) في ب: «بجلتها».
(٦) الولي: مالك الأمر والقائم به.
(٧) بُزْرجُمْهر: من حكماء الفرس وله كتاب في النصائح نقل عنه كتَّاب الفرس والعرب كثيراً. وكان وزيراً لأنوشروان الملقب بكسرى الأول.

المودة، وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وسوسوا السِفْلة بالمخافة صَراحاً.

وكان أرِسْطاليس[1] أدّب الإسكندر[2]، فلما نشأ واستفحل أمره وكبر شأنه وعرَّفه من الحكمة ما عرَّفه. كان شبه الوزير له، يعتمد عليه في الرأي والمشورة. فكتب إليه يخبره أنه قد كثر (في) خواصه وعسكره قوم ليس يأمنهم على نفسه لِمَا يرى من بعد هممهم وشجاعتهم وشدة دالتهم[3]، وليس يرى لهم عقولاً تفي بهذه الفضائل (التي فيهم) بقدر هممهم. فكتب إليه أرِسْطاطاليس: فهمت

---

(١) أرِسْطاطاليس: هو الفيلسوف اليوناني المشهور، وكان يقوم بتربية الإسكندر المقدوني وتثقيفه. وعنى العرب في بدء حضارتهم بترجمة كتبه إلى العربية وأطلقوا عليه: المعلم الأول.

(٢) الإسكندر: كان النزاع مستمراً بين الرومان والفرس حينما تولى الإسكندر عرش مكدونيا. فانصرف إلى توسيع حكمه بعد أن دانت له جميع بلاد اليونان. فقاد جيشه نحو الشرق فاستولى على الأناضول وطرد الفرس منها، ثم انحدر إلى بلاد بابل وانتصر على جيوش دارا ملك الفرس في عدة معارك، آخرها معركة أربيل الحاسمة، حيث انهزم دارا واستولى الإسكندر على بابل، ثم دخل بلاد فارس واحتل عاصمتها پرسيبوليس.

(٣) الدالة: الجراءة بسبب الوجاهة.

ما وصفته عن القوم الذين ذكـرت. فأمـا بُعد هممهم، فمن الـوفاء بُعـد الهِمَّة، وأمـا ما ذكـرته من شجـاعتهم مع نقص عقولهم، فمن كانت هذه حاله فرفِّهه في المعيشة واخصصه بحسـان النساء. فـإن رفاهـة العيش تُـوهِي من العـزم، وإن حب النسـاء يحبب السلامـة ويباعـد من ركوب المخـاطرة. وليكن خلقـك حسنـاً تستـدع بـه صفـو النيـات وإخـلاص المقامات[1]. ولا تتناول من لذيـذ العيش ما لا يمكن أوسط أصحابك مثله. فليس مـع الاستئثار محبـة ولا مع المؤاسـاة بغضـة. واعلم أن المملوك إذا اشتُـري لم يسـأل عن مـال مولاه، وإنما يسأل عن خُلَّته[2].

وكانت الفرس تقـول: للوزير على الملك، وللكـاتب على الصـاحب، ثـلاث[3]: رفـع الحجـاب عنـه، واتهـام الوشاة عليه، وإفشاء السر إليه.

وحُكيَ أن سابور[4] الملك، استشار وزيرين كـانا لـه

---

(١) في كتاب الوزراء والكتاب ص ٩: «المقالات».

(٢) الخُلَّة الصفة وفي ب: «خلقة».

(٣) في كتاب الوزراء والكتاب ص ١٠: «ثلاث خصال».

(٤) هـو سابـور ذو الأكتـاف كمـا جـاء في كتـاب الـوزراء والكتـاب (ص ١١) وكـان من كبـار الملوك السـاسانيين. ولقب بـذي الأكتـاف لأنه كـان شديـداً في حربـه مع العـرب، يخلع أكتاف الأسرى منهم.

في أمـر من أموره، فقـال له أحـدهمـا: لا ينبغي للملك أن يستشير منا أحداً إلاَّ خاليـاً به، فـإنه أمـوت للسر وأحـزم في الـرأي، وأدعى إلى السـلامــة، وأعفى لبعضنـا عن غــائلة بعض[1]. لأن الـواحد رهن بمـا أفشي إليه وهـو أحـرى أن لا يـظهره، رهبـةً للملك ورغبـةً إليـه. وإذا كـان عنـد اثنين فـظهـر دخلت على الملك الشبهــة واتسعت على الـرجلين المعاريض[2]. فإن عاقبهما عـاقب اثنين بذنب واحـدٍ، وإن اتهمهما اتهم بريئاً بخيانة[3] مجرم. وإن عفا عنهما عفا عن واحد ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجة عليه[4].

---

(١) ورد هذا النص في «عيون الأخبـار ١: ٢٧» ببعض الزيـادة وهذه هي: فـإن إفشـاء السـر إلى رجـل واحـد أوثق من إفشـائـه إلى اثنين، وإفشائه إلى ثلاثة كإفشائه إلى العامـة. لأن الواحـد رهن بما أفشى إليه، والثاني يطلق عنـه ذلك الـرهن، والثالث عـلاوة فيه. وإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحـرى ألَّا يظهـره رهبةً منـه ورغبـة إليـه». ويمثـل هـذا ورد النص في كتـاب الـوزراء والكتاب، ص: ١٠.

(٢) المعاريض: الشبهات.

(٣) في ب: «بجناية».

(٤) في «عيــون الأخبـار»: ولا حجــة معـه. وفي كتــاب الـوزراء والكتاب: والحجة عليه.

وقال بعضهم: اجعل من انتخبته لديوان الخراج[1] واحداً من ثلاثة: إما رجلاً يُظهر الزهد في المال والورع في الدين، فإن كان كذا عدل على الضعيف وأنصف من الشريف ووفَّر الخراج واجتهد في العمارة. وإن هو لم يَرَع ولم يعف إبقاءً على دينه ونظراً لأمانته، كان حريًّا أن يخون قليلاً ويوفر كثيراً، استسراراً[2] بالرياء واكتتاماً بالخيانة. فإن ظهرتَ على ذلك عاقبته على ما اختان[3] ولم تحمده على ما وفَّر. وإن جَلَح[4] في الخيانة وبارز بالإساءة، نكّلت به في العذاب واستنظفت[5] ماله وأطلت مدة حبسه. (أو رجلاً عالماً بالخراج، غنيًّا في المال، مأموناً في عقله فيدعوه علمه بالخراج إلى الاقتصاد في الحَلْب والاجتهاد في العمارة، والرفق بالرعية. ويدعوه غناه إلى العفة، وعقله إلى الرغبة فيما ينفعه والرهبة لما يضره). أو رجلاً عالماً

---

(١) ديوان الخراج: هو الدائرة الخاصة بتنظيم مالية الدولة وحساباتها من إيرادات ومصروفات. ويقابل وزارة المالية في عصرنا الحاضر.

(٢) الاستسرار: المبالغة في التستر والإخفاء.

(٣) اختان: خان، واختان المال سرقه.

(٤) جَلحَ في الخيانة: جاهر بها. وفي ب: «خلج».

(٥) استنظف ماله: أخذه واستوفاه، صادره.

بالخراج معروفاً بالأمانة مُقْتراً من المال، فتوسع[1] عليه في الرزق، فيغتنم لحاجته الرزقَ ويستكثر لفاقته اليسير ويُرجي[2] الأموال بعلمه، ويعف عن الخيانة بأمانته[3].

ورُفع إلى أنو شروان[4] أن عامل الأهواز جبى فضل ثمانية آلاف (ألف) درهم مما لم يلزم الناس، وإن ذلك في بيت المال. فوقع[5] برد المال على القوم بأسره، فإن الملك إذا عمر بيوت أمواله بما يأخذ من رعيته، كان كمن

(١) في ب: «فوُسِّع».

(٢) يُرجي الأموال: لا يصيب منها شيئاً. ووردت في «عيون الأخبار» «يزجى» وهي أصح في معناها.

(٣) ورد نص هذه التوصية في كتاب عيون الأخبار كاملاً وباختلاف بعض الألفاظ. الجزء (الأول، ص ١٧).

(٤) أنوشروان: ولقبه كسرى الأول، ولي الحكم بعد أبيه قباذ. ويعتبر عهده أزهى عهود الدولة الساسانية. فقد امتاز في القضاء على أتباع مزدك، وتنظيم المجتمع وإعادة بناء القرى التي خربت في عهود الفوضى التي سبقته، وإصلاح نظام الضرائب وشؤون الجيش. وكان أنوشروان مثال الملك العادل.

(٥) التوقيع هو ما كان يكتبه ملوك الفرس القدامى من هوامش وتعليقات على ما يعرض عليهم من أمور الناس. وقد أخذ الخلفاء المسلمون ذلك وتبعهم الوزراء والولاة، وهم يتخيرون للتوقيع ما قلَّ ودل من الألفاظ. وقد يتضمن التوقيع آية قرآنية كريمة مناسبة أو بيت شعر أو قولاً مأثوراً.

عمَّر سطوح بيته بما اقتلع من قواعد بنيانه.

ويُقال إن أبا جعفر المنصور حضره ليلةً عبد الله بن علي وصالح بن علي في نفر معهما[1]. فقال عبد الله بن علي: يا أمير المؤمنين، إن عبد الله بن مروان ابن محمد[2]

---

(١) إن حضور عبد الله بن علي مجلس المنصور بعد توليه الخلافة أمر مُستبعد. لأن عبد الله كان على رأس جيش كبير لغزو الروم وجهه به أبو العباس السفاح. وكان قد وصل حرَّان عندما بلغه نبأ وفاة السفاح فدعا إلى نفسه. فوجه المنصور أبا مسلم الخرساني لحربه فانتصر عليه، فهرب والتجأ إلى أخيه سلمان ابن علي والي البصرة. ثم أعطاه المنصور الأمان فصار إليه فأمر بحسبه، وظل في السجن حتى مات. إن المصادر الأخرى التي جاءت فيها هذه القصة، لم تنص على حضور عبد الله بن علي مجلس المنصور، بل اقتصَرت على صالح بن علي عم المنصور، أو أنها أشارت إلى حضور جماعة عند المنصور دون ذكر الأسماء.

راجع مثلاً: مروج الذهب، ٢: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، فإنه لم يذكر حضور عبد الله بن علي، وإن الذي قال ذلك للمنصور هو صالح بن علي.

والعقد الفريد للملك السعيد ص ٦٥، لم يذكر حضور عبد الله بن علي كذلك.

(٢) مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية في الشام، كان له =

لمَّا هرب إلى بلاد النوبـة، جرى بينـه وبين ملكها كـلام فيه أعجوبة سقط عني حفظه، فإن رأى أمير المؤمنين أن يرسـل إليـه بحضرتنـا ويسألـه عما ذهب عنـا، وكـان في الحبس، فأرسل إليه أبو جعفر، فلما دخل قال له: يا عبـد الله، قال: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: أخبرني بحديثك وحديث ملك النـوبة. قـال: (نعم) يا أميـر المؤمنين، هـربت ممن تبعني بأثاث سلم لي إلى بلاد النوبة، فلما دخلت بـلادهم فرشت ذلك الأثاث. فجاء أهل النوبة ينظرون إليه متعجبين منه إلى أن بلغ ملك النوبة فجـاء ومعه ثـلاثة نفـر، فإذا رجـل طُوال آدَم أغبر مسنون الوجه. فلمـا قرب قعـد على الأرض وترك البساط، قلت: ما يمنعك أن تجلس على أثاثنا هذا؟ قـال: إني ملك وحق على كـل ملك[1] أن يتـواضـع لعـظمــة الله إذ رفعـه الله. قال: ثم نـظر إليَّ فقال: لِمَ تشـربون الخمـر وهي محرمة عليكم؟ فقلت: عبيدنا: وأتبـاعنا يفعلون ذلـك بالجهل منهم. قال: فَلِمَ تلبسون الـديباج والحـرير وتَحلون بـالـذهب وهــو محــرم عليكم؟ فقلت: زال عنــا الملك

= ابنـان: عبد الله وعبيـد الله. أمـا عبيـد الله فـلا عقب لـه، وأمـا عبد الله فكان أبوه جعله ولي عهده، وقـد سجنه المنصـور حتى مات ببغداد وله عقب. (المعارف ص ٣٧٣).

(١) في أ: «حق لكل ملك».

وانقطعت المادة، واستنصرنا بقوم من الأعاجم كان هذا زيُّهم فكرهنا الخلاف عليهم[1]. قال: فأطرق يقلب يده ويقول: عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا، يكرر الكلام على نفسه، ثم نظر إليَّ فقال: ليس ذاك كما تقول، ولكنكم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما به أُمرتم وركنتم إلى ما عنه نُهيتم، فسلبكم الله العزَّ وألبسكم الذلَّ بذنوبكم، ولله فيكم نقمة لم تبلغ غايتها بعد. وأنا أخاف أن تنزل بكم النقمة وأنت ببلدي فتصيبني معك، فارتحل عن جواري.

قال: فقام أبو جعفر وقيذاً[2] مغموماً من كلامه فدخل حجرته[3].

---

(١) في هذه الجملة تناقض، إذ كيف يستنصرون بالأعاجم بعد زوال ملكهم، ولعل صوابها كما جاء في شرح نهج البلاغة: «قلت: استعنا في أعمالنا بقوم من أبناء العجم كتاب دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك اتباعاً لسنة سلفهم على كرهٍ منا» وكذلك جاءت هذه الجملة في العقد الفريد بما يقرب من هذا النص. (شرح نهج البلاغة، ٢: ٢١٥ ــ ٢١٦. والعقد الفريد للملك السعيد ص ٦٧).

(٢) قام وقيذاً: قام محزون القلب، وفي أ: «قام وئيداً».

(٣) جاءت هذه القصة في «عيون الأخبار» ١: ٢٠٥ ــ ٢٠٦، بألفاظ تختلف عن هذه الرواية غير أن المعنى واحد. وجاءت في «العقد الفريد للملك السعيد» ص ٦٥ ــ ٦٧، بشكل أكثر

وأراد عبد الملك بن مروان أن يغتال ملك الروم في الضواحي بمكيدة من مكائده، وكان من دهاة بني أمية. قال يزيد بن عقال: فدخلت عليه وعنده[1] رجال من صنائعه فيهم إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزهري والمثنى بن خالد الأسدي، والعباس بن زفر الهلالي، وحرب بن قطن الهلالي، ومحمد بن مسلم البجلي. فشاورنا[2] في ذلك فأشرنا عليه أن يشرف بنفسه على الروم (والثغور) ويمضي فيها أمره وأرادته. فقال لنا: إنّ من حزم الوالي[3] الشهم أن لا يبتذل مهابة نفسه وجلالة قدره فيما إن استكفاه رجلاً من صنائعه كفاه إياه وقام به. وإنما اصطنعت (الولاةُ) الرجال ليصونوا بها مهجهم في الحروب ومهابة أنفسهم وجلالة أقدارهم عن التبذل لرعيتهم. ولذلك يجب على الوالي اللبيب الأريب أن يتخيَّر الرجال لصنيعته، لأن صنيعة الوالي جُنَّته في الحرب ووجهه في حفظه. وقد تعرف الرعية قلَّة الوالي وكثرته بصنيعته. ثم تمثَّل[4]:

= تفصيلاً. كما جاءت في «مروج الذهب» ٢: ٢٣٠، بشكل مفصل أيضاً.

(١) في أ: «وعدة».

(٢) في أ: «فتشاورنا».

(٣) في أ: «الرأي».

(٤) الأبيات لعمران بن عصام العنزى الذي قتله الحجاج لخروجه =

وبعثتَ من ولـد الأغـر معتب[1]

صَـقْـراً يلوذ حـمَـامــه بــالـعــوسـج

فــإذا طـبَـخْــتَ بـنــاره أنــضَـجْـتَــه

وإذا طـبخـتَ بغـيــرهــا لـم تُـنـضـج

وهـــو الـــهـــمـــام إذا أراد فــريـســـة

لم يُنجهــا منـه صــريــخُ الهجهــج[2]

وقيل للإسكنـدر: أي شيء أنت به أسـرُّ من مُلكك؟ قال: اقتداري على الإحسان.

ومن شـــدة التحـرز، مــا حُكيَ في كتــاب من كتب الهند: إنه أَهدَى إلى بعض ملوكهم حَلْيٌ وكسوة وبحضـرته امرأتان من نسائه ووزير من وزرائه.

فخيَّر إحدى امرأتيه[3] بين اللبـاس والحِلْية. فـنـظرت المرأة إلى الوزير كالمستشيرة له، فغمزها بإحدى عينيه على أخـذ الكسوة، ولحـظه الملك. فعـدلت عمـا أشـار بـه من

= مـع ابن الأشعث. وقد صححنـاها على النص الـوارد في العقد الفريد ٥ : ٥٤ لكثرة الخطأ في النسختين.

(١) الأغر: الشريف، ومعتب اسم قبيلة.

(٢) الصـريخ : الصيـاح الشـديـد والاستغـاثـة، والهجهـج الشـديـد الهدير.

(٣) في عيون الأخبار ١ : ٢٢ : «وخيّر أحظاهما عنده».

الكسوة واختارت الحِلْيـة لئلا يفـطن الملك للغمزة. ومكث الـوزير أربعين سنـة كاسـراً عينه ليـظن الملك أنها عـادة لـه وخلقة فيه[1].

واستعـار بعض الملوك من أنوشـروان رأياً في سيـاسة الـرعية فـوقَّع في كتـابـه: احسم عنهم الأسبـاب التي تبعث قلوبهم على معصيتك تكن قادة[2] أبدانهم إلى طاعتك.

وكان الحجاج يستبطىء المهلب في حرب الأزارقة[3]

---

(١) في النص الـوارد في «عيون الأخبـار ١ :٢٢» اختلاف في بعض الألفاظ ولكن المعنى واحد. كما أن فيه إضافة على هـذا النص هي: «فلما حضرت الملك الوفاة قال لولده: توصَّ بالوزير خيراً فإنه اعتذر من شيء يسير أربعين سنـة» كما ورد هـذا النص في كتــاب الــوزراء والكتــاب ص ١١. بتغييــر طفيف فـي بعض الألفاظ.

(٢) في ب: «مادة».

(٣) الأزارقـة: إحـدى فـرق الخـوارج وكـانت أشـدهم وأشجعهم. وتنتسب إلى نافع ابن الأزرق وهـو من غلاة الخـوارج. كان من المـوالين للإمـام علي ثم انقلب عليه بعـد التحكيم وانضم مـع أتباعه إلى جيش عبد الله بن الزبير في مكة وقاتل إلى جانبه ضد الأمويين. ثم ما لبث أن اختلف مـع ابن الزبيـر فانفض وأتبـاعه عنه وعادوا إلى البصرة. وكان نـافع شجـاعاً فتـاكاً، وقتـل قرب الأهواز في إحدى المعارك التي خاضها ضد جيش الأمويين.

وقـد نقم الأزارقـة على كـل من خـالفهم من المسلمين، =

وهو مجتهد، فكتب إليه المهلب: إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه لا لمن يُبصره. فهذا أوجز جواب سُمع(١).

وقال عيسى بن طلحة: سألت ابن عباس عن معاوية فقال: سما لشيء بأمر أسرَّه واستظهر عليه بشيء أعلنه. فحاول ما أسرَّ بما أعلن فناله. واستنفر إليه صاحبه فصعد وهبط وأبقى وترك، وأتيح له من كفاه مؤونته ولم ينازعه أحد

= وصاروا يقتلون كل من يقع بأيديهم منهم استولوا على الأهواز وهاجموا جنوب العراق، فحاربهم أهل البصرة بقيادة المهلب بن أبي صفرة، وقد ساعده الحجاج وأمده في حربهم، فتغلب عليهم بعد أن قضى ما يقرب من عشرين سنة في مناجزتهم، وعرف المهلب بالشجاعة والكفاءة بشؤون الحرب.

(١) إن ما ذكر هنا من جواب المهلب إنما هو جزء منه. وقد ورد نص الجواب في شرح نهج البلاغة ٤ : ١٩ وهو: «.. إنما البلاء أن يكون الأمر لمن يملكه لا لمن يعرفه، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم ـ على أن أديرها كما أرى فإذا أمكنتني فرصة انتهزتها وإن لم تمكني توقفت ـ فأنا أديرها بما يصلحه. وإن أردت أن أعمل برأيك وأنا حاضر وأنت غائب، فإن كان صواباً فَلكَ وإن كان خطأً فعليَّ، فابعثْ مَنْ رأيت مكاني». وكتب المهلب من فوره إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فكتب عبد الملك إلى الحجاج: لا تعارض المهلب فيما يراه، ولا تعجله ودعه يدبِّر أمره.

بعد، وكان حلمه قاهراً لغضبه، وجوده مستعلياً على مَنْعـه. يصل ولا يقطع ويجمع ولا يفرِّق، فـاستقام أمـره وجرى إلى مدته.

سأل رجل بعض حكماء بني أمية: ما كان سبب زوال نعمتكم؟ فقال: قد قلت فاسمع وإذا سمعت فافهم. إنا قـد شُغلنا بلذتنا عن تفقد ما كـان تفقده يلزمنـا، ووثقنا بـوزرائنا فـآثروا مـرافقهم على منافعنـا، وأمضوا أمـوراً دوننـا أخفـوا علمها عنا، وظلمت رعيتنا ففسدت نيـاتهم لنا، ويئسـوا من إنصـافنا فتمنـوا الراحـة لغيرنـا، وخربت معـايشهم فخـربت بيـوت أموالنـا، وتأخـر عطاء جنـدنـا فـزالت طـاعتهم لنـا، واستدعاهم مخالفونـا فتظاهـروا على أمرنـا. وطلبنا أعـداءنا فعجـزنا عنهم لقلة أنصـارنا. وكـان أول زوال ملكنا استتـار الأخبار عنا.

وقال المنصور يوماً: مـا كان أحـوجني أن يكون على بابـي أربعة نفر لا يكون على بابـي أعف منهم. قيل يا أمير المؤمنين: مَنْ هم؟ قـال: هم أركـان الـمُلْك، لا يـصلح المُلْك إلاَّ بهم، كما أن السريـر لا يصلح إلاَّ بأربـع قوائم، إن نقصت قائمة واحدة وَهَى، أما أحـدهم فقاض لا تـأخذه في الله لومة لائم، والآخـر صاحب شـرطةُ يُنصف الضعيف من القـوى، والثالث صـاحب خراج يستقصى لي ولا يـظلم

الرعية، فإني غني عن ظلمها. ثم عضَّ على إصبعه السبابة (ثلاث مرات)[1] يقول في كل مرة: آه، آه، قيل مَنْ هو الرابع يا أمير المؤمنين؟ قال: صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة.



(١) سقطت في الأصل وأكملناها نقلاً من النص الوارد في «ابن الأثير» ٥ : ٤٦.

الباب الثاني

في لُطفِ التَدبير في الحُروب

حُكيِ أن الإسكندر لما فرغ من مدن فارس وأراد الشخوص عنها، كتب إلى أرِسْطاطاليس يُعلمه أنه لمَّا فتح بلاد فارس، رأى رجالاً لم يرَ مثلهم جمالاً وكمالاً وشجاعة، وإنه لا يأمن إن ظَعَن عنهم أن يثبوا بمن يخلِّف، ويرجعوا إلى معصيته. وأنه رأى قتل أمثالهم فساداً في الأرض، ولم يأمنهم أن يخرجوا في عسكره على فساد العسكر. فكتب إليه أرِسْطاطاليس: فهمت كتابك في رجال فارس، فإما قتلهم فهو من الفساد في الأرض، ولو قتلتهم جميعاً لأبدت[1] البلد مثلهم، وكانوا أعداءك وأعداء عَقِبك وبلدك بالطبع. وإخراجهم في عسكرك مخاطرة بنفسك وأصحابك لا يؤمن ميلهم عليك، لأن عدوَّك صديق عدوِّك. ولكن فرِّق كلمتهم بأن تجعل لكل طائفة منهم ملكاً، فلا

---

(١) في ب: «لأبنت».

يؤدي بعضهم إلى بعض طاعةً، ويلجأ كل فريق منهم إليك. فملّك الإسكندر ملوك الطوائف، فمكثوا على ذلك حتى جمع كلمتهم[1] أردشير بن بابك.

وحُكِي أن الإسكندر لما شخص عن أرض فارس إلى أرض الهند تلقاه ملك الهند في جمع عظيم ومعه ألف فيل مجففة[2] بالسلاح عليها الرجال وفي خراطيمها السيوف. فالتقوا فكانت الدَّبرة على الإسكندر، ولم تقف دواب جنده للفيلة وولت منها هاربة. فرجع الإسكندر إلى مأمنه ثم أمر صُنَّاعه فاتخذوا له تماثيل للفيلة، وجعل مرابط خيله التماثيل حتى ألفتها الخيل. ثم أمر باتخاذ ألف تمثال رجل على ألف فرس من نحاس مجوفة، ثم ألبسها الدروع وملأ أجوافها بالنفط والكبريت. وجُرَّت على العجل فوقفت في مواضع الوقعة، وبين كل تمثالين منها جماعة من أصحابه. فلما نشبت الحرب واشتدت، أمر بإشعال النار في تلك التماثيل فحميت، وانكشف أصحابه عنها. وغشيت الفيلة التماثيل فضربتها بخراطيمها، فتشيَّطت خراطيمها

---

(١) في ب: «جمع ملكهم».

(٢) التجفاف: آلة للحرب تلبسه الفرس، أو الإنسان لتقيه في الحرب. وجفف الفرس ألبسها إياه. وفي الأصل «محننة» وهو خطأ في النسخ.

واحترقت، فولَّت الفيلة راجعة. وكانت الدَّبرة في ذلك اليوم على ملك الهند.

وحُكِيَ أن ملكاً من ملوك العرب حارب عدوًّا له فهُزم وخرج هارباً والخيل تكُـدُّه[1]. فلما أرهقتـه نثر لهـا زجاجـاً ملونـاً شبيهاً بـالجوهـر الأحمر والأخضـر والأصفر، ودنـانيـر صِفْراً مطلية بالذهب. فتشاغل طالبـوه بلقط ما طـرح، ولجأ إلى معقله.

وحُكِيَ أن أميراً أمر بسبـائك صِفْـر فطليت بـالذهب، وكانت في خزانته. وأن جنده شغبـوا عليه لـطلب أرزاقهم. وقد تأخر عنه بعض تدبيره فيهم، وأبطأت عليه مـواده. فلما خـاف جندَه أخـرج إليهم سبائـك النحاس المموهة، وقـال لهم: إنـا أردنا ضـرب هذه السبـائك دنـانير لنقسمهـا فيكم فأنظرونا، (فأَنظروه) حتى تهيأ له فيهم ما أراد.

وحُكِيَ أن الإسكندر سار في مسيـره في الأرض، إلى مدينة في غاية المَنَعَة والحَصانة، فتحصن فيها أهلها، فيئس منهـا لحصانتهـا. وتعرَّف خبـرها فـأُعلم أن فيها من الميـرة والعيون المتفجرة ما لا يُخاف عليـه النفاد. فـدسَّ تجاراً من قبله متنكرين وأمدَّهم بالمال وأمـرهم بدخـول المدينـة على

---

(١) تكدُّه الخيل: تلح في طلبه.

سبيل التجارة وبيع ما معهم من تجاراتهم، وأمرهم بابتياع ما أمكنهم من الميرة والمغالاة بها. فدخل التجار المدينة بتجاراتهم وانكشف عنها الإسكندر راجعاً فأمنوه. فلم تزل تجاره يشترون منهم (الميرة ويغالون بها، وهو يمدهم بالمال، والقوم آمنون لبعد الإسكندر عنهم) حتى صار في أيدي تجاره أكثر ميرة المدينة. فلما علم ذلك كتب إلى تجاره: احرقوا ما في أيديكم من الميرة كلها، واهربوا عن المدينة. وزحف الإسكندر إليها ولا ميرة بها إلاَّ شيء يسير. فحاصرهم أياماً قليلة فأعطوه الطاعة وفتحوا له المدينة على حكمه.



البَاب الثالث
في فَتحِ القِلاع

حُكِيَ أن الإسكندر وقف على قلعة[1] كثيرة الميرة ممتنعة الموضع. فانصرف عنها وشَرَّدَ مَنْ حولها من أهل الرساتيق[2]، وخرَّبَ قراهم ونهب أموالهم وتهددهم بالسِّباء[3]. فخرجوا هاربين معتصمين بالقلعة. حتى دخلها أضعاف أهلها، فأسرعوا في الطعام، ففَنِيت المِيرة في مدة يسيرة، ثم رجع إليها لَمَّا خفت ميرة أهلها فحاصرها ففتحها.

وحُكِيَ أن بُغَا الكبير[4]، فعل مثل ذلك بمدينة

---

(١) في ب «مدينة».

(٢) الرساتيق: القرى والضواحي، ومفردها الرستاق.

(٣) السباء: السبي أي الأسر.

(٤) كان بغا من القواد الأتراك في عهد المتوكل على الله الخليفة العباسي. وقد سيطر على شؤون الدولة في عهد المنتصر بن المتوكل بحيث صار الخليفة ألعوبة بيد القواد الأتراك.

بـأرمينية حتى فتحهـا. ويُذكـر أن عُجيْفـاً[1] لمـا أنـاخ على حصن لؤلؤة[2] من بلاد الروم، والمأمون إذ ذاك هنـاك، دعا عُجَيْفـاً أَهْلُ لُؤلؤة للمنـاظرة، على أن يصعـد في عشـرة من أصحـابـه إلى نصف صُعُـد[3] الحصن، وينـزل القـوم إليـه النصف في عشرة، فأجابهم عُجيف إلى ذلك، فقيل له: إن القـوم أرادوا بك سـوءاً، فنزول أصحـابهم إليهم أسـرع من صعود أصحابك، فأبـى وصعد إليهم. وقد كمَّنوا له في غارٍ لهم مـائة رجـل. فلما أخـذوا في المنـاظـرة، خـرج عليهم الرجال فأخذوه وأصعـدوه إلى الحصن. فاستـأذنهم عُجَيف في غلامين صغيرين يحملان له طعاماً، فأذنوا لـه. وعسكره مقيم على باب لؤلؤة، وقد كتب إلى المـأمون بخبـره. وأمر الغـلامين أن يحمـلا لـه سُمًّـا كثيـراً في دفعـات، حتى إذا اجتمع عنده ما أراد، احتال لمصنعهم[4] الـذي يقتاتـونه من

---

(١) عُجَيْف بن عَنْبَسة: رئيس حرس المأمون وأحد قواده عندما غـزا بلاد الروم غزوته الأخيرة التي توفي بالقرب من مدينة طرسوس، بعـد أن استردت جيـوشه حصن لؤلؤة. وبقي عجيف حتى زمن المعتصم، فقتله لاشتراكه بمؤامرة مع العباس بن المأمون.

(٢) كان حصن لؤلؤة من القلاع المهمة على حدود الدولة البيزنطية.

(٣) صُعُد الحصن: علوه وارتفاعه.

(٤) المصنع: حوض يُجمع فيه ماء المطر.

مطر إلى مطر، فطرح السُّمَّ في الماء، وكتب إلى المأمون يُعلمه ما صنع. فأقبل المأمون حتى أناخ بعسكره على لؤلؤة، وشرب أهلها الماء، فتهافتوا يموتون، وسلموا لؤلؤة إلى المأمون.

وحُكِيَ (عن عُجَيف بن عَنْبسة) أنه قال: انتهينا إلى مدينة ممتنعة على السلطان، عليها سور مُحكم. فأقمنا أياماً نحارب أهلها فلم نطقهم. فقلت لصاحب جيشنا: هل لك في رأي عندي؟ قال: قل، قلت: تُهادن القوم على أن يدخل قوم من أصحابك يَمتارون[1]، وتأذن لي فأدخل ومعي ثلاثون رجلاً ممن اختار من أهل العسكر كأنما نمتار، فإذا قرب المساء أخذنا الباب ساعة وضاربنا عنه، وزحفت بالعسكر فدخلت. فقال: إفْعَلْ. فاخترت من أهل العسكر ثلاثين رجلاً من أنجادهم[2]، فكسرنا فضول أجفان سيوفنا عن نصولها، وعلَّق كل واحد منا سيفه تحت لُبَّادته[3]. ثم بعثنا إلى أهل المدينة نسألهم الإذن لنا في الدخول للميرة، وحلف لهم صاحب جيشنا أنه يرحل من ليلته. فأذنوا لنا

---

(١) يمتارون: يكتالون ما يحتاجونه من الميرة.

(٢) أنجاد العسكر: شجعانهم، ومفردها نَجْد وهو الشجاع السريع الإجابة إذا ما دُعي.

(٣) اللُّبادة: قباء من الشعر أو الصوف يلبس وقايةً من البرد.

فدخلنا وآمترنا، وأبطأنا حتى دنا المغرب. وأمير جيشنا في عسكره بالقرب منا، وقد أظهر أنه يريد الرحيل، وعبَّى[1] أصحابه. ثم صرنا إلى باب المدينة لنخرج، فوثبنا على حَفَظةِ الباب فقاتلناهم. ووافت خيلنا ورجَّالتنا[2]، والباب مفتوح وبعضنا في الدهليز، وبعضنا فوقه، فدخلوها فكان ذلك سبب فتحها.

وحُكِيَ أن قَحْطَبة[3] لَمَّا أخذ الري[4] وأقبل نحو هَمَذان، تحصن أهلها في مدينة هَمَذان. وخرج الوالي الذي كان لبني أمية منها وأمر صاحبَ المدينة (وأهلَها) أن

---

(١) عبَّى أصحابه: هيأهم للحرب.

(٢) في أ «ورجالنا».

(٣) هو قَحْطَبة بن شبيب الطائي أحد القواد الشجعان، وقد صحب أبا مسلم الخراساني وناصره في دعوته لبني العباس في خراسان، وكان أحد النقباء الاثني عشر الذين اختارهم محمد بن علي. وقد وجهه أبو مسلم إبان ثورته إلى حرب الأمويين في العراق، فاشتبك قحطبة مع القائد الأموي ابن هبيرة في معركة عند كربلا فقتل قحطبة إلاَّ أن جيشه الذي تولى قيادته ابنه الحسن، انتصر على ابن هبيرة ودخل الكوفة منتصراً، فخرج أبو العباس السفاح وأعلن خلافته.

(٤) الري: مدينة مشهورة في التاريخ الإسلامي، كانت تقع قرب طهران الحالية وإلى جانب جبل يشرف عليها.

لا يُفْتح الباب حتى يأتيهم أمره وخاتمه. فبلغ قحطبة ذلك، فوجَّه على لسان قوم من أصحابه إلى صاحب بني أمية، يسألون الأمان ويذكرون مِنْ أنَّ أمانه إن ورد عليهم صار أكثر أصحاب قَحْطَبَة إليه. وواطأ قَحْطَبة الثقات من أصحابه فشغبوا عليه وأظهروا التنكر له. فبلغ ذلك صاحب بني أمية فأطمعه فيهم فأجابهم إلى ذلك. فقالوا: اعطنا خاتمك أماناً لنا، فبعث بالخاتم إليهم. فزحف قحطبة إلى مدينة هَمَذان، فأعلمهم أَنه قد قتل صاحب بني أمية وأنه قد أخذ خاتمه ووجَّه برأسه إلى خراسان. ورمى بخاتم الوالي إليهم على نشَّابة، فلما رأوه فتحوا له المدينة.

وحُكِيَ أن عبد الملك بن صالح العباسي[1] لما غزا بلاد الروم على عهد الرشيد، حاصر حصناً في بلاد الروم،

---

(١) عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس، أحد قواد هرون الرشيد وهو من البيت العباسي وأبوه أخو محمد بن علي منظم الدعوة العباسية في الحميمة. وقد قاد عدة حملات على الدولة البيزنطية، وتولى قيادة الحدود (محافظة الثغور) في حكم الرشيد، إلَّا أن الرشيد أخذ يوجس منه الخروج عليه وخاصة بعد نكبة البرامكة، فتحين الفرص عليه حتى استطاع أن يحبسه، وبقي في الحبس حتى توفي الرشيد. (الطبري ٣: ٦٧، والوزراء والكتاب: ٢٦٣).

فامتنع الحصن عليه، وانصرف يائساً عنه. وكان في أصحابه رجل يقال لـه عبيد الله المعـروف بالأقـطع. وكان قـد مكث دهراً في بلاد الـروم فعرف أكثـرهم. وكان حـاذقاً بـالروميـة شبيه الصورة واللِّبسة[1] بالروم. فخرج الأقـطع يسير منفـرداً حتى قرب من الحصن. فرأى رجـلاً من الروم على دابـة له ومعـه بازٌ، فسـأله الأقـطع عن خبره، فخبَّـره أنه القيِّم بـأمر الحصن، وأنـه خـرج متصيـداً عنـد انصـراف عبـد الملك، فتساءلا، فلم ينكره الـرومي وظن أنه من بـلاد الروم فـأَنس به.

أما الأقطع فـدخل على عبـد الملك فقال: أصلح الله الأميـر، أرجو أن أكـون قد ظفـرت بالحصن، قـال: وكيف ذاك؟ قال: إذا كان في ليلة كذا، فوجِّه ألف فارس ليكـونوا بقرب الحصن، فإني أرجو أن أفتحه لهم. قال عبد الملك: وكيف ذاك؟ قـال الأقطع: إن خبَّـرتك الخبـر ففشـا لم آمن بطلانه. قال عبد الملك: فأنت وما تُدَبِّر.

فلمـا كان في اليـوم الذي وعـد فيه صـاحب الحصن للصيد، حمل بازه وخرج للموعد، فوافاه الرومي لموعـده. فتصيَّدا وتحادثا نهارهما، ثم سألـه الرومي أن ينصـرف معه

(١) اللِّبسة: حالة من حالات لبس الثياب. وفي أ: «الملبس».

إلى منزله ليبيت عنده، فأجابه إلى ذلك. فمضيا حتى دخلا الحصن ممسيين. فقال الأقطع للرومي: إن العرب بقربك فينبغي أن تكون على حذر، وأن تكون مفاتيح الحصن عندك. قال: هي عند بواب الحصن وهو ثقة، قال له: فاخرج بنا حتى نطيف بالحرس[1] ويغلق الأبواب بحضرتنا. ففعل الرومي ذلك. فجعل الأقطع يقول للبواب بالرومية: احذر مكر العرب، ويشتمهم وينتقصهم. وعرف موضع البواب ومبيته ثم انصرفا. فلما باتا، انسلَّ الأقطع في آخر الليل إلى بواب الحصن فحزَّ رأسه وأخذ المفاتيح ففتح الأبواب، وتسمَّع، فسمع خيل عبد الملك، فخرج إليهم فأدخلهم الحصن، فلم يعلم أهله إلاَّ بالمسلمين معهم السيوف، فأخذ الحصن واستبيح ما فيه.



(١) يطيف بالحرس: يدور به ليفتشه.

البَاب الرَابع
في لُطفِ التَدبير في فَتحِ البِلاد

حُكِيَ أن هَرْثَمة[1] لمَّا نزل قرية يُقال لها الجارية، على فرسخين من الكوفة، سدَّ الفرات وصرف ماءه إلى الآجام، فانقطع ماؤه عن أهل الكوفة إلَّا نزراً يسيراً يخرج من تحت السد. فأمر بنقل[2] أقذار العسكر وطرحها في

---

(١) هو هَرْثَمة بن أعْيُنْ من عظام قواد الدولة العباسية. قاد عدة حملات في أفريقية وبلاد الروم حاز فيها انتصارات لامعة. وقد عمل في توطيد حكم العباسيين في أفريقية حينما عينه الرشيد والياً عليها وعند نشوب الخلاف بين الأمين والمأمون انحاز هرثمة إلى المأمون وتولى قيادة عدد من الحملات لإخضاع الخارجين عليه. إلَّا أن الوشاة أغروا عليه صدر المأمون وخاصة الفضل بن سهل الذي كان يبغضه. فاستدعاه المأمون إلى مَرْو فحبسه، ثم قتل في الحبس سنة ٢٠٠هـ.

(راجع عن مقتله: الوزراء والكتاب: ٣١٦ ـ ٣١٨).

(٢) في ب: «بحمل».

الماء المنسل من السد، فامتنع على أهل الكوفة شربه. ثم جعل يركب في أصحابه في كل يوم (حتى يُشارف الكوفة فإذا تنادوا بالسلاح انصرف عنهم) حتى أنس أهل الكوفة بذاك. فلما علم أنه إذا أشرف عليهم لم يحفلوا به، خرج يوماً في أفضل عَدَده وعُدَّته وأوقع بهم. وتنادوا بالسلاح فلم يحفل به أكثرهم، فقتل منهم قتلاً ذريعاً.

وحُكيَ أن أهل أفريقية[1] عصَوْا في أيام الرشيد،

---

(١) أفريقية: قسَّم الجغرافيون المسلمون شمالي أفريقية إلى ثلاثة أقسام وهي:

١ ـ المغرب الأقصى ويشمل مراكش والريف.

٢ ـ المغرب الأوسط ويشمل الجزائر وأطرافها.

٣ ـ المغرب الأدنى ويسمونه أفريقية، وهو القسم المحصور بين مصر والجزائر ويشمل تونس الحالية. وفي هذا القسم مدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع.

ويقصدون بمدينة أفريقية مدينة القيروان. وقد ثارت أفريقية عدة مرات في عهد الرشيد وأرسل إليها في إحدى المرات حملة قوية بقيادة هرثمة بن أعين فوطد فيها الحكم العباسي. إلاَّ أنها ما لبثت أن ثارت بعده. وقد طلب إبراهيم بن الأغلب التميمي إلى الرشيد أن يجعله أميراً على أفريقية وأن تبقى الإمارة في سلالته مقابل خضوعه للخليفة ودفع مبلغ من المال سنوياً، فقبل الرشيد ذلك فظهرت إمارة الأغالبة.

فـدعـا جمـاعـة من (جِلّة) قـواده فيهم جعفـر بن محمـد بن الأشعث الخزاعي[1]، فشاورهم. فـأشار أكثـرهم بالإمسـاك عن (أهـل) أفريقيـة لبعـد الشقـة وعـظيم المؤونـة. وجعفـر ممسك عنه. فقال الرشيـد لجعفر: مـا عندك فيمـا أشار بـه القوم؟ قال: يا أمير المؤمنين إن طبت نفسـاً بفراشـك الذي تحتك فطب نفساً بأفريقية، فإن أهلها إن أُهملوا تتابع أهـل الأمصـار على المعصية، حتى ينتهي ذلـك إلى عصيـان مَنْ في دارك.

قـال الرشيـد: فما تـرى؟ قال: أرى أن تـوجـه إليهم جيشـاً كثيفاً ولا تستكثـر النفقة عليـه. قال (الـرشيد): فكن أنت الخـارج إليها. قـال جعفر: نعم، على أن تُـزاح علّتي فيما احتاج إليه. قال الرشيد: وما تحتاج إليه؟ قال: أحتـاج إلى عشـرة آلاف رجل من أهـل خـراسـان يُعـطون أرزاقهم لتمام سنة. فـأمر (لـه) الرشيـد بذلـك. فخرج جعفـر حتى وافىٰ تخوم أفريقية. وكان بين مدينتها وبين الماء برية تكون

---

(١) كان جعفر بن محمـد بن الأشعث من القواد المقـربين للرشيد، وقد أوكل إليه الإشراف على تربية ابنه محمد الأمين. وكان أبوه محمد بن الأشعث الخزاعي من كبار القواد في عهـد أبـي جعفر المنصـور، وقد قـاد حملة كبيرة إلى أفـريقية وأعـادها إلى حكم المنصور بعد أن خرجت عليه.

عشرة فراسخ لا ماء فيها، ودونها جبل فيه عين كثيرة الماء. فكان أهل أفريقية كلما أتاهم جيش خلّوا له الطريق، حتى إذا قطع هذه البرية، خرجوا إليه وهم مستريحون، والجيش تَعِبٌ ظمآن لا ماء له فيهزمونه.

فلما وافى جعفر طرف هذه البرية، أقام على العين التي في طريقها وخندق على عسكره خندقاً وأدخل العين في الخندق، وجعل فيه المِيرة. وأمر أصحابه بإراحة دوابهم، وإدرار أرزاقهم. وشنَّ بهم الغارات في النواحي. وانتظر أهل أفريقية أن يضجر فيقطع المفازة إليهم فتقع به المكيدة. حتى إذا جمَّ[1] أصحابه وكُراعه[2] جمع (مَنْ) في عسكره من تجار أفريقية وصُنَّاعهم وأوباشهم فقسَّمهم أقساماً ثلاثة. ثم رحل متوجهاً نحو مدينة أفريقية، وأرسل الثلث من أهلها إليها أول النهار، فخرجوا فوافوا المدينة ليلاً، فأعلموهم أنه قد رحل إليهم. فساروا جميعاً بالسلاح، وخرجوا من غد ذلك اليوم. ثم أرسل الثلث الثاني ضحوة، وقد بَعُد أهل المدينة عنها نحواً من ثلاثة فراسخ، فأعلموهم أنه قد أقبل إليهم فتقدموا قليلاً. ثم أطلق الثلث الثالث مع الليل، فوافوا أهل أفريقية نصف

---

(١) جَمَّ: استراح.

(٢) الكراع: اسم يطلق على الدواب من خيل وبغال وحمير.

النهار، فأعلموهم أن جعفراً خلفهم، فتقدم القوم أيضاً حتى قطعوا أكثر البرية، ووافاهم جعفر في جيشه وهوريَّان مستريح، وهم ظِماء مُتعَبون[1]، لا ماء خلفهم ولا معقل لهم. فأوقع بهم فقتل أكثرهم، وصار إلى المدينة ولا امتناع بها، فتُلقي بالطاعة.

وحُكِيَ أن ملكاً من ملوك الروم اليونانيين غزا (بلاد) أفريقية، فعبر البحر إليهم فحاصر مدينة لهم زماناً طويلاً، فحاربوه على أبواب المدينة. وكان في أصحاب ملك الروم رجل يُقال له أرسلاوس لم يُدْرك مثله في النجدة، وكان قد عتب على الملك في بعض أموره فاعتزل الحرب. وكان في أهل مدينة أفريقية رجل يقال له أقْطَر في غاية النجدة، وكان لا يخرج إليه رجل من الروم إلَّا قتله. فبلغ ذلك ملك الروم فاحتال على أرسلاوس بأن قال لأخ له: لو ركبت فرس أرسلاوس وخرجت إلى أقطر، رجونا أن تقتله فتريحنا منه، فاختدعوه. فلبس أخوه سلاحه وشُهرة[2] كان أرسلاوس يُعرف بها، ثم خرج إلى أقطر فقتله. فقالت الروم لأرسلاوس: إن أقْطر قتل أخاك. فغضب ودعا بسلاحه وفرسه، ثم خرج إلى أقطر فبارزه فقتله أرسلاوس.

---

(١) في ب: «متعبون مزحفون» ومزحفون: إعياء من السفر.

(٢) الشهرة: علامة يشتهر بها الفارس.

ففتَّ ذلك في عضد أهل أفريقية. فقال أرسلاوس للملك: إني لا يقنعني من القوم بعد قتل أخي إلَّا الاستباحة فقلدني الرأي، فقلده الملك ذلك. فأمر الصُّنَّاع فعملوا مِثال فرس عظيم أجوف، ثم نقشوه بالذهب وفصصوه بألوان الحجارة، وجعلوا مقدار ما يسع جوفه مائة رجل، وجعل له عَجَلاً يُجَرُّ عليها وباباً يدخل منه الرجال خَفيًّا. ثم قال أرسلاوس للملك: ارسل إلى أهل المدينة بقول يطمئنون إليه. ولا يوجب عليك عذراً، ثم انكشف عنهم وأوهمهم أنك راجع إلى بلدك، وتَنَحَّ بمراكبك حتى تغيب عنهم في البحر، فإذا جَنَّ الليل فارجع في نفر من أشد أصحابك في أسرع سير حتى توافي القوم في السحر. وخَلِّف هذا الفرس فإني أرجو أن أدخله في مائة رجل من ثقاتك.

فراسل الملك أهل المدينة، فأحبوا[1] الصلح فأطمعهم فيه، وقبل منهم شيئاً أهدوه له، وقال لهم: إني كنت معتزماً على أن لا أبرح حتى أخرب مدينتكم، واتخذت هذا الفرس لأجعله مكان أصنامنا في بلادنا، وحمله معي لا يمكن، فاحتفظوا به لنا. فدخل في الفرس أرسلاوس ومعه مائة رجل من أنجاد الروم. فلما انكشف

---

(١) في ب «فأجابوا للصلح».

ملك الروم عن المدينة فغيَّب في البحر، وخرج أهل المدينة يطيفون بالفرس ويتعجبون منه. ثم جروه على عجلة ليدخلوه المدينة فضاق الباب عنه. فوُسِّع الباب له حتى دخل الفرس على عجلة. ثم أطافوا به يشربون حوله الخمر ولا يرون فيه أثر مدخل، حتى دجا عليهم الليل وأسرعت[1] فيهم الخمر.

فلما جاء السحر وتفرق القوم من بين سكران وآمن، سرى نحوهم ملك الروم في مراكب خفيفة وفيها أنجاد عسكره. فوافاهم في السحر وباب المدينة مقلوع. وخرج عليهم أرسلاوس ومَنْ معه من جوف الفرس يضربون بالسيوف، فشغلوهم عن حفظ الباب، ودخل ملك الروم المدينة فاستباحها[2].



---

(١) في أ: «فأشرعت».

(٢) في هذه القصة شبه كبير من قصة فتح طروادة.

البَاب الخامِس
في لُطفِ التَدبير في عَقد مُلكٍ

حدَّث المدائني[1] عن مسلمة قال: لما أراد معاوية أن يبايع ليزيد كتب إلى زياد[2] يستشيره. فبعث زياد إلى

(١) هو علي بن محمد بن عبد الله، راوية ومؤرخ بصري، سكن المدائن انتقل إلى بغداد. وله تصانيف عديدة في السيرة النبوية وأخبار النساء وتاريخ الخلفاء والفتوحات وأخبار الجاهليين. توفي في سنة ٢٢٥هـ.

(٢) هو زياد بن أبيه، ويعتبر من أدهى رجال عصره. وقد اشتهر بكفاءته في الإدارة والسياسة وبمقدرته الخطابية. أمه جارية اسمها سُمَيَّة وأبوه غير معروف ويُشك في أنه أبو سفيان. وكان زياد من أتباع الإمام عليٍّ وقد ولاه خراسان. وقد استطاع معاوية بعد قتل الإمام علي، أن يستميله إليه فألحقه بأبي سفيان ـ أي جعله أخاً له ـ فوجد زياد أن التحاقه بمعاوية يعود عليه بالنفع، وخاصة بعد أن تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية. وقد لعب زياد دوراً خطيراً في العراق حينما ولي حكم الكوفة والبصرة، وقد تميزت إدارته بالصرامة والحزم.

(راجع عن استلحاق زياد بأبي سفيان: وفيات الأعيان ٥: ٣٩٧ ـ ٤٠٦).

عُبَيْد بن كعب النميري، فقال: إن لكل مستشار ثقة، ولكل سرٍّ مستودعاً، فإن الناس قد أبدعت بهم خصلتان: إضاعة[1] السر، وإخداع[2] النصيحة. وليس موضع السر إلَّا أحد رجلين: رجل آخرة يرجو ثواب الله، أو رجل دنيا شريف عاقل يصون حسبه وعقله[3] وقد عجمتهما[4] منك فأحمدت الذي قِبَلَك، فدعوتك لأمر اتهمت[5] عليه بطون الصحف. إنَّ أمير المؤمنين كتب إليَّ يزعم أنه قد أجمع على بيعة يزيد، وهو يتخوَّف نفرة الناس ويرجو مطابقتهم[6]. وقد كتب يستشيرني، وعِلاقة أمر الإسلام[7] وضمانه شديد. ويزيد صاحب رَسْلَةٍ[8] وتهاون مع ما أولع

(١) في الطبري «إذاعة». وإضاعة السر إفشاؤه وعدم الحرص عليه، وكذلك إذاعته.

(٢) إخداع النصيحة: إخفاؤها وعدم بذلها. وفي الطبري «إخراج النصيحة إلى غير أهلها».

(٣) في الطبري «ورجل دنيا له شرف في نفسه وعقل يصون حسبه».

(٤) عجم الأمر: خبره وجرَّبه. وفي الطبري «وقد خبرتهما عنك».

(٥) اتهمت عليه بطون الصحف: لم آمنها عليه.

(٦) المطابقة: الموافقة. وفي الطبري «يرجو طاعتهم».

(٧) علاقة أمر الإسلام: شؤونه وارتباطاته.

(٨) صاحب رَسْلَةٍ: صاحب كسل ولين.

به من الصيد. فالقَ أمير المؤمنين مؤدياً عني، فأخبره عن فَعَلات يزيد، وقل رويدك بالأمر يستتم لك، فإنه قَمِن[1] أن يتم لك ما تريد، ولا تعجل فإن دَرْكاً[2] في تأخيرٍ خيرٌ من تعجيلٍ عاقبته الفَوْت.

قال عُبيد: فهلاّ غير هذا؟ قال: ما هو؟ قال: لا تفسِدْ على معاوية رأيه، ولا تمقت إليه ابنه. وألقىٰ يزيدَ سرًّا من معاوية، فأُخبره عنك إن أمير المؤمنين كتب إليك يستشيرك في بيعته وإنك تخوَّفت خِلاف الناس لهَناتٍ ينقمونها منه، وإنك ترى له تَرْكَ ما يُنقَم عليه. فتستحكم لأمير المؤمنين الحجة على الناس، ويسهل لك ما تريد[3]. وتكتب إلى أمير المؤمنين بما أحببت مما لا ينكر الكتاب به. فتكون قد نصحت يزيد وأرضيت أمير المؤمنين، وسلمت مما تخاف من علاقة أمر الأمة.

قال زياد: رميت الأمر بحجره[4]، أشخِص على

---

(١) قمِنٌ: لابد، جدير.

(٢) الدَرْك: إدراك الحاجة أي بلوغها.

(٣) في ب: وتسهل له ما يريد.

(٤) رمى الأمر بحجره: مثل يقال لمن يصيب الهدف ــ وفي أ: «بجحوده». وجاء في مجمع الأمثال: ١ :٢٨٧: إنه يعني بقرن الأمر بمثله في الصلابة والصعوبة، وجعل الحجر مثلاً للقرن، لأن الحجر يختلف باختلاف المرميٍّ.

بـركة الله، فـإن أصبت فمـا لا ينكـر، وإن يكن خـطأ فغيـر مستعثر[١]، وأبعد بك إن شاء الله تعـالى من الخطأ. قـال: (نقول) بما نرى ويقضي الله بغيب ما يعلم، فقدم على يزيد فذاكره ذلك. وكتب زياد إلى معاوية يشيـر عليه بـالتؤدة وأن لا يعجل، فقبل ذلك معاوية، وكفَّ يزيـد عن كثير ممـا كان يصنع. وقدم عُبيد على زياد فأقطعه «قطيعة»[٢].

وحدَّث ابن عياش[٣] قال: أراد الوليـد بن عبد الملك أن يبايع لابنه عبد العزيز بعد سليمان بن عبد الملك، فأبـى ذلـك سليمان وامتنـع منه. فقيـل للوليـد يـا أميـر المؤمنين: لـو أمرت راجـزاً يُرَجِّـز وهو معـك لعله يُقِرُّ بشيء فنشهـد به عليـه. فدعـا الأُقَيْبِل القَيْني[٤] فقـال له: رَجِّـز بذلـك شعراً

(١) خطأ غير مستعثر، أي غير مقصود.

(٢) اقطعه جعل له رزقاً. وتعني هنا أنه أكرمه. وسقطت في الأصـل كلمـة قطيعـة وقـد وردت في الـطبـري فـأثبتنـاهـا. (الـطبـري ٦: ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٣) هــو إسمـاعيــل بن عيــاش بن سليم العنسي، عــالم الشــام ومحدثها. رحل إلى العراق وعمـل في خدمـة المنصور. تـوفي سنة ١٨٢هـ.

(٤) الأقيبـل القيني بن نبهـان من بني القين من قضــاعـة، شــاعـر إسلامي اشتهر في صدر الدولة الأموية. وقد هجـا الحجاج مـرة فطلبه فهرب إلى عبد الملك بن مروان واستجار بـه، وكتب إلى الحجاج ألاَّ يعرض له.

يسمعه سليمان. قال: فدعا الوليد سليمان يوماً فسايره، وسار الأُقَيْبِل خلف القوم، ثم رفع صوته فقال:

إنَّ وَلِيَّ عهده ابْنُ أُمِّهِ
ثم ابنه وَلِيُّ عهد عمه
قد رضي الناس به فسمه
فهو يضم الملك في مَضَمِّه[1]
يا ليتها قد خرجت من فمه
حتى يعود الملك في إضطمه[2]

قال: فالتفت إليه سليمان فقال: يا ابن الخبيثة، من رضي بهذا، لا أُمَّ لك؟.

وحدَّث المدائني عن مبارك بن فضالة، قال: دخل الأحنف بن قيس[3] على معاوية حين أراد البيعة ليزيد،

---

(١) المضم: ما يضم به شيء إلى شيء.
(٢) الإضطم: المضم. واضطمه: ضمه إليه واشتمل عليه.
(٣) الأحنف بن قيس: سيد تميم وأحد الفصحاء الشجعان. يضرب به المثل في الحلم والدهاء، كان يحتكم إليه في الخلافات ويؤخذ بأحكامه. وفد على عمر بن الخطاب في المدينة وساهم في الفتوحات في خراسان، وشهد صفين مع الإمام علي. وكان معاوية يخشاه ويحاول ترضيته. وقد التحق بمصعب بن الزبير لما دخل الكوفة، وتوفي في سنة ٧٢هـ. (وفيات الأعيان ١: ١١٨٦ ـ ١٩٤).

فتكلم الناس؛ فبلغ الكلام رجلاً منهم، فقال: والله يا أمير المؤمنين لئن لم تعقد العهد لتلقَيَنَّ الله مضيعاً لأمة محمد ﷺ. وأقبل معاوية على الأحنف فسارَّه، فقال مالك: لا تتكلم في هذا الأمر يا أبا بحر؟ فقال: نخافكم إن صدقناكم ونخاف الله إن كذبناكم. فقال معاوية: جزاك الله خيراً يا أبا بحر عن السمع والطاعة، احملوا إلى منزله خمسين ألف درهم. فقام الناس لا يشكُّون أَنَّه بايع.

وحدَّث عمرو بن واقد الدمشقي قال: كان في الزمن الأول ملك له سبعة وزراء، وهم قوَّاده وعمَّاله على جميع مملكته. وكان يجلس لهم يوماً من السنة يأمرهم فيه بما أراد، ويتغدون معه. وكان قد سنَّ عليهم أن يقترعوا في ذلك اليوم؛ فأيهم أصابته القرعة[1] ذبح ولداً من أولاده وشواه وقدَّمه على الخوان. فإذا رآه الملك قال: على مَنْ كانت النوبة؟ فيقال: على فلان. فيأمر (به) فيرفع، فمكثوا بذلك دهراً حتى أَضَرَّ بأولادهم. وكان في السبعة رجل سديد العقل، فأتى رجلاً منهم لم يكن له إلَّا ابن صغير، فخلا به ثم قال: أخبرني إن أصابتك القرعة غداً أليس تثكل واحدك؟ قال: فما أصنع؟ قال: فأنا رسول جميع

(١) في ب: «وقعت عليه القرعة».

أصحابك إليك، وقد تعاهدوا جميعاً سواك، على الامتناع من هذه السُّنَّة التي أثكلتنا أولادنا ونغَّصت علينا عيشنا، وليس للملك في ذلك منفعة، قال: وقد أجمع رأيكم على هذا غيري؟ قال: نعم. قال: فأنا أسرعكم إليه وأحرصكم عليه لتخوفي على واحدي؛ فاستحلفه حتى استوثق منه.

ثم دار[1] إلى آخر، فقال له: إنا قد اجتمعنا على الامتناع من هذه السُّنَّة التي قد أفنت أولادنا وأهلكتنا ولم يبقَ غيركَ، قال: فإني أُبايعكم، فاستحلفه حتى استوثق منه. ثم دار عليهم واحداً فواحداً، حتى أجمعوا على رفض تلك السُّنَّة.

فلما كان ذلك اليوم، حضروا عند[2] الملك وفرغوا من غدائهم، ولم يأتوه بالصبي المشوي، فقال الملك: عَلَى مَنْ كانت النوبة؟ قالوا: دَعْ عنك هذا؛ فإنا قد اجتمعنا على رفض هذه السُّنَّة التي لا تنفعك، وقد أضَرَّت بنا وأثكلتنا أولادنا، قال الملك: فعزمت عليكم، أيكم البادىء بهذا؟ فأخبروه. فأخذ التاج عن رأسه ووضعه على رأس ذلك الرجل، وقال لهم: يا مجانين، إنما كنت أمتحنكم،

---

(١) في ب: «أتى».

(٢) في ب: «غداء».

هل فيكم أحد ينكر المنكر؟ فلم يكن غير هذا! وقد كبرت سني ودنا أجلي، ولست أرى أحداً أولى بالملك منه؛ فاسمعوا له وأطيعوا (فقد) ملَّكته عليكم.



الباب السادس
في كَسرِ العساكِر
بقُوّة الرأي لا بقُوّةِ المُكاثَرة

حُكَى أن كسرى أبرويز[1]، وجّه رجلاً من جِلَّة أصحابه في جيش جرار إلى بلد الروم، فنكىٰ فيهم[2] وبلغ منهم، وفتح الشامات وبلغ الدرب[3] في آثارهم[4]. وعظم أمره وقوي سلطانه. فخافه أبرويز ولم يأمنه على ما بلغ وقلق من أجله. فكتب إليه كتابين، أحدهما يأمره فيه أن يستخلف على جيشه من يثق به ويُقبل إليه، والكتاب الثاني يأمره فيه بأن يقيم بموضعه فإنه أدار الرأي فلم يجد لموضعه سادًّا غيره، ولم يأمن الخلل بغيبته.

وأرسل بالكتابين رسولاً من ثقاته وقال له: أوصل

(١) هو كسرى الثاني ولقبه أبرويز، أي: «المظفر».
(٢) نكى فيهم: قهرهم في الحرب جرحاً وقتلاً.
(٣) الدرب: مدخل بلاد الروم من جبال طوروس.
(٤) في ب: «في ديارهم».

الكتاب الأول بالأمر بالقدوم، فإن خفَّ[1] لذلك فهو ما أردت، وإن كره الكتاب وتثاقل عن الطاعة فاسكت أياماً، ثم أعْلمه أن الثاني ورد عليك، وأوصله إليه ليقيم بموضعه. فخرج رسول كسرى حتى ورد على صاحب الجيش ببلاد الشام، فأوصل الكتاب إليه. فلما قرأه، قال: إما أن يكون كسرى قد تغيَّر لي وكره موضعي، وإما أن يكون قد اختلط عقله، يصرف مثلي وأنا في بحر العدو، فيوهي جيشه لأمر لا يقوم فيه غيري مقامي، ودعا أصحابه فقرأ الكتاب عليهم فأنكروه.

فلما كان بعد ثلاثة أيام، أوصل الرسول إليه الكتاب الثاني بالمقام، وأوهمه أن رسولاً ورد به عليه. فلما قرأه قال: هذا تخليط، ولم يقع منه. ودسَّ إلى ملك الروم من ناظره في إيقاع الصلح بينه وبينه، على أن يخلِّي الطريق لملك الروم حتى يدخل بلاد العراق على غِرَّة من كسرى، وعلى أن لملك الروم ما تغلب عليه من دون العراق، وللفارسي ما وراء ذلك (إلى بلاد فارس)، فأجابه ملك الروم إلى ما طلب. وتنحَّى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة[2] وأخذ أفواه الطرق[3].

---

(١) في أ: «لف».

(٢) الجزيرة: أرض ما بين النهرين شمالي العراق.

(٣) أفواه الطرق: مداخلها.

فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم عليه من ناحية قرقيسياء[1]، وكسرى غير مُعِدٍّ وجنده متفرق في أعماله. فوثب من سريره وقال: هذا وقت حيلة، ليس هذا وقت شدة. وجعل ينكت[2] في الأرض ملياً. ثم دعا برقٍّ فكتب فيه كتاباً بخط دقيق إلى صاحبه بالجزيرة يقول فيه: قد علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم وإطماعه في نفسك وتخلية الطريق له، حتى إذا تولج في بلادنا أخذتهُ من أمامه وأخذتَه أنت من خلفه، لما أملت في ذلك من بواره. وقد تمَّ عليه ما دبرت، وميعادك في الإيقاع به يوم كذا وكذا. ثم دعا راهباً في دير بجانب مدينته، فقال: أيُّ جار كنت لك؟ قال الراهب: أكرم جار. قال: لي حاجة إليك. قال: الملك أَجَلُّ من أن تكون له حاجة إلى مثلي، ولكن عندي بذل نفسي في الذي يأمر به الملك. قال كسرى: تحمل كتاباً إلى فلان صاحبي؟ قال: نعم. قال كسرى: فاخفِهِ فإن الروم على طريقك. قال: نعم. فلما ولَّى عنه الراهب، قال له كسرى: أَعلمت ما في الكتاب؟ قال: لا. قال: فلا تحمله حتى تعلم ما فيه. فلما

(١) قرقيسياء: مدينة كانت عند ملتقى الخابور بنهر الفرات على تخوم ما بين العراق والشام.

(٢) ينكت في الأرض: يحفر فيها بقضيب أو بأصبعه عند التفكير.

قـرأه عليـه أدخله في جيبـه ومضىٰ. فلمـا صـار في عسكـر الروم ونظر إلى الصلبان والقسيسين احترق لهم مـا خاف أن يقـع بهم، وجعـل يصيـح: أنـا لم يحملني كسـرى رسـالـة ولا معي له كتاب. فأُخذ فوُجد الكتاب معه.

وكـان كسرى وجَّـه رسولاً اختصـر الطريق، حتى مـرَّ بعسكـر الروم كـأنه رسـول إلى كسرى من صـاحبـه، ومعـه كتـاب فيه: إن الملك كـان قد أمـرني بمقاربـة ملك الـروم واختداعه وتخليـة الطريق لـه، ليأخـذه من أمامـه وآخذه من خلفـه، وقد فعلت ذلـك. فرأى (الملك في) إعـلامي وقت خروجه إليه. وأخذ ملكُ الروم الرسولَ وقرأ الكتـاب فقال: قـد عجبت أن يكون هـذا الفـارسي أدهن[1] على كسـرىٰ. ووافاه أبرويـز فيما أمكنـه من جنده، فـوجد ملك الـروم قد ولَّى هـارباً، فـاتَّبعه يقتـل ويـأسـر مَنْ أدرك. وبلغ صـاحب كسرى هزيمة ملك الروم، فأحب أن يجلِّي عن نفسه ويستر ذنبـه، لمَّا فـاتتـه مـا دبَّـر على كسـرى. فخـرج إلى الـروم الهاربين فلم يسلم منهم إلاَّ القليل.

وحُكيَ أن عبْسـاً دخلت وهي في معاورة[2] فَـزارة في

(١) أدهن عليه: أي غش وأظهر ما لا يبطن.

(٢) المعاورة: المداولة والمطاولة.

حـــرب داحس والغبـــراء[١]، في شِعْب[٢] لا منـفــذ لــه، ونَذِرَت[٣] بهم فَزارة، فـأتت باب الشِعب فـأخذتـه عليهم. فعــطَّشت بنـو عبس إبلهم، حتى إذا بلغ العــطش منهــا، خــرجت عبس فنـاشبت فَــزارة الحــرب، ثم أرسلت عبس الإبل وصيَّحت بها من خلفها، فخرجت الإبل لشدة العطش وقد تذكرت مشاربهــا، لا يردُّهــا شيء. ففرقت جمـع فَزارة وكشفتهم وهـــدَّت جيشهم، واتبعت عبس الإبـل، فكـــانت الهزيمة على فَزارة[٤].

وحُكيَ أن عبساً لما علمت يـوم الهباءة[٥] أن الجيش قد سار إليهم، وأنـه لا قوة بهم عليـه، أتوا الـربيع بن زيـاد

---

(١) حرب داحس والغبراء: من أيام العرب المشهورة في الجاهلية، قامت بين قبيلتي عبس وذبيان. وكـانت الحرب سجـالاً بينهما، انتهت بصلح بين الـطرفين. وداحس والغبـراء: اسمــا فـرسين لقيس بن زهير سيد عبس قامت الحرب بسببهما.

(٢) الشعب: الطريق الضيق. وقد التجـأت عبس إلى شعب جبلة، ولهذا عرفت هذه الواقعة بيوم جبلة.

(٣) نذرت: علمت.

(٤) راجع تفصيلات هذه الحرب بين عبس وفـزارة في «أيام العـرب في الجاهلية ص ٣٤٩ ـ ٣٦٤».

(٥) اشتملت حرب داحس والغبراء على عدة أيام مشهورة، منها يوم الهباءة.

العبسي[1] فقالوا له: إنك تقول إنه لم يرد عليك أمر إلاَّ عرفت المخرج منه، فما المخرج من جيش بني بدر؟ قال الربيع: إذا شارفكم القوم فقدِّموا الحُرُم[2] وانكشفوا عن النَّعَم[3]، فإذا شغلهم النهب، فكُرُّوا عليهم. ففعلت عبس ذلك. فتشاغلت بنو فَزارة بالنهب، وكرَّت بنو عبس عليهم فهزمتهم، ومضوا متفرقين. فلحقت بنو عبس ببني بدر بماء يقال له الهَباءة، فقتلت «حذيفة وحَمَل» ابني بدر. وفيه قيل[1]:

---

(١) الربيع بن زياد العبسي: أحد دهاة العرب وشجعانهم في الجاهلية، من رؤساء عبس، وقد اشترك في حروب داحس والغبراء، وكان يسمى «الكامل» لرجاحة عقله. اتصل بالنعمان بن المنذر في الحيرة ونادمه. توفي سنة ٣٠ قبل الهجرة.

(٢) الحرم: النساء.

(٣) النعم: واحد الأنعام وهي المال الراعية وأكثر ما يطلق هذا على الإبل.

(٤) كان قائد بني بدر في يوم الهباءة حذيفة بن بدر وقد قتل في ذلك اليوم هو وأخوه حمل. فرثاه قيس بن زهير سيد عبس بأبيات مطلعها هذا البيت. وقد سقطت كلمتا «حذيفة وحمل» في النسخ.

راجع عن حروب داحس والغبراء ويوم الهباءة: (أيام العرب في الجاهلية ص ٢٤٦ ــ ٢٧٧).

تَــعَــلَّم أنَّ خــيــرَ الــنــاس مَــيْــتٌ
عــلى جَــفْــر الــهــبــاءة لا يــريــم

وحُكيَ أن طـاهر بن الحسين[1] لمـا قرب جـائيـاً من خراسان لمحـاربة عليّ بن عيسى بن مـاهان[2]، وطـاهر من قِبَـل المأمـون وعليّ من قِبَـل محمـد الأمين. حبس طـاهـر جمالاً مقبلة من خراسان عليها التجارات، فلما شارف طاهر عليًّا، جعل الجمال وسواد عسكـره على الروابـي وأعـطاهم الأعلام، ودلف إلى عليّ بأصحابه. فلما نظر عليّ إلى تلك الجمـال والأعلام، ظن أنهـا عسكر متفـوقة عليهم فـانهزم. وقتل عليّ بن عيسى.

---

(١) طاهر بن الحسين: من كبار قواد الدولة العباسية، وأبوه الحسين من رجال الرشيـد، كان طـاهر مـع المأمـون عندمـا ولي الأمين الخلافة، فأرسله للزحف على بغداد ومحاربة الأمين، فهـاجمها وقتـل الأمين وأخذ البيعـة للمـأمـون. وتـولى بعـد ذلـك ولايـة خراسان. وخرج في أواخر أيامه على المأمون. (وفيات الأعيان ٢: ٢٠١ ـ ٢٠٦).

(٢) علي بن عيسى بن مـاهان، القـائـد الـذي سيـره الأمين لحـرب المأمون وانتزاع ما بيـده من بلاد فـارس، فما كـاد جيشه يصـل مدينة الري حتى قابلته جيوش طـاهر بن الحسين فنشبت بينهمـا معركة ضارية انتهت بقتل علي بن عيسى واندحار جيشه. وكـان انكسار جيش علي بن عيسى إيذاناً بزوال حكم الأمين وانتصـار المأمون.

وحُكيَ أن غـزيـاً[١] من العـرب، أغـزاه[٢] سعــد بن أبـي وقاص بعد فتـح القادسيـة، فخرج جمـاعة من العـرب بنسائهم، فلما رأوا عدوهم من العجم خلَّفوا النساء والسواد ودلفـوا إلى عـدوهم، فـاشتـدت الحـرب بينهم. فلمـا رأى النساء ذلك عقدن خُمُرَهن على العيدان وأقبَلن نحو رجالهن فلمـا رآهن العجم من بعيد، ظنـوا أَن جيشـاً قـد أتى مـدداً (للعرب) فانهزمت العجم.

وذُكـر أن جيشـاً من قبـل السلطان خـرج إلى نـاحيـة طبرستان[٣]، فلما دنا الجيش منها، علم صاحب الناحية أنه لا منزل للجيش إلاَّ في غيضة بقرب جبل وعر. فأمر الطبري بشجر الغيضة فقُطع وأُقيم كما كان وسُند بـالتراب، وغـطِّي موضع القـطع حتى خفي على الجند. وجـاء العسكر فنـزل الغيضـة، واستخفىٰ الطبـري وأصحـابـه في الجبـل، وشـدَّ الجنـد دوابهم في الشجر. فلمـا كان الليـل صيَّحَ الـطبـري بالجند، فنفرت الدواب وتساقطت الشجر، فجرتهـا الدواب

(١) الغزي: اسم الجمع للغازي.
(٢) أغزاه: حمله على الغزو.
(٣) طبـرستان: الإقليم الممتـد جنوب بحـر قزوين الـذي كان كـان يعرف ببحر طبرستان.

يقتل بعضها بعضاً، وخرج الجند فزعين لا يلوي أحـد منهم على أحد، وتبعهم الطبري يقتل ويأسر.

وحُكيَ أن ملكـاً من ملوك الأعـاجم، وجَّـه رجـلاً من جِلّة قـواده في جيش إلى ملك الـروم فحـاربـه، فـأجـلاه الفـارسي عن أكثر بـلاده حتى فتح أنـطاكية ومـا جـاورهـا. فأوغل في بـلاد الروم واحتـوى على مملكتها، فجمـع ملك الـروم رؤساءهم فشـاورهم، فأشـاروا عليه بـأمور مختلفـة. حتى انفـرد له رجـل من أهل المملكـة، ولم يكن من أبنـاء الملوك. فقال: إن عندي رأياً أُشير به. فإن رزق الله الملك الـظفر فمـالي عنده؟ فقـال الملك: سـل حـاجتـك. قـال: تجعلني الملكَ بعدك؟ قال: نعم. قـال: فوثِّق لي بـذلك. قال فوثَّق له به. قال الرومي للملك: إن الفـرس قد طمعت في ملكنا وبلدنا فلم يبقَ منهم نجدُ إلَّا وجهوه في وجـوهنا، وقد ضعفنا عنهم. وقد حملوا ذراريهم إلى الشام والجزيرة. وإني أرى أن تـأذن لي، فأنتخب من عسكـرك خمسة آلاف رجـل، ثم أحملهم في البحـر ودوابهم وأمـوالهم. وأوكِّـل بمضـايق الطريق وصعب النقـاب[1]، رجـالاً من أصحـابـي من أهـل البـأس والنجـدة. فـإنَّ خبـري إذا بلغهم فتَّ في

(١) النقاب: جمع نقب وهو الطريق في الجبل.

عَضُدهم ونَخَب قلوبهم[1]. ورجعوا إلى عيالاتهم وأموالهم متقطعين. فلا يمر بالمضايق التي قد وكّلت بها أحدٌ من الفرس إلاَّ قُتل، ولا يسلم أحد فيصير إلى الشام إلاَّ أتيت عليهم وشردتهم أنت من خلفهم. فأجابه الملك إلى ما رأى وأنفذهم إلى الشام.

فلما بلغ الفرس أن الروم قد خلفتهم في أهاليهم وأموالهم، خرج أكثرهم متقطعين لا يلوون على شيء، ومروا بمضايق الطرق فقتل أكثرهم، وخرج ملك الروم إلى مَنْ بقي منهم فهزمهم، فلم يسلم منهم إلاَّ القليل. فتحوَّل الملك بذلك السبب من أهل بيت المملكة إلى قوم ليسوا من أهل المملكة، بل هم من أهل أرمينياقس[2]. فبقي فيهم إلى هذه الغاية.

وحُكيَ أن الحجاج بن يوسف لمَّا حارب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس[3]. اشتد عليه

---

(١) نخب قلوبهم: نزعها من الخوف والهلع.

(٢) كذا في الأصل والصحيح «أرمينيا» لأن أرمينياقس هو صاحب أرمينيا وتسميه العرب أرميناق. (راجع معجم البلدان ١: ٢٠٤).

(٣) من القادة الشجعان، كان قائداً تحت إمرة الحجاج، سيره على رأس جيش لغزو بلاد الترك ما وراء سجستان. وقد اختلف مع =

أمر عبد الرحمن، فمنعه الحجاج ومنع أصحابه من دخول البصرة. وكان أكثر أصحاب عبد الرحمن من أهل البصرة، فقال للحجاج كاتبٌ له من الدهاقين[1] يُقال له الفرخان: خلِّ بين الناس وبين دخولهم البصرة، وتنحَّ لهم عن الطريق، وأبذل الأمان لمن دخلَ منهم، ومُرْ أن لا يُتَعَرَّض لهم. فإنهم إن دخلوا البصرة إلى عيالاتهم وأوطانهم، لم يخرج منهم إلى عسكر عبد الرحمن أحد، لأن القوم قد أشرفوا من حربك على أمر عظيم. فمنهم من يَرِقُّ لأولاده، ومنهم من يمنعه أمه وأبوه، ومنهم من يبقى على نفسه وماله.

ففعل الحجاج ما قال له الفرخان وتنحى عن طريق البصرة، فتتابع الناس إلى البصرة، فلم يبقَ في عسكر عبد الرحمن إلاَّ القليل. ثم رجع الحجاج على الطريق،

= الحجاج فخرج عليه وأعلن خلع الخليفة عبد الملك بن مروان، ودخل العراق لمحاربة الحجاج. فنشبت بينه وبين جيوش الأمويين معارك عديدة، انتصر فيها عبد الرحمن أول الأمر. ثم قصده الحجاج بجيش كبير فانتصر عليه، فتتابعت هزائمه حتى اضطر إلى الالتجاء إلى ملك الترك «رتبيل» الذي غدر به فقتله وبعث برأسه إلى الحجاج.

(١) الدهاقين: جمع دهقان وهو الرئيس عند الفرس القدامى.

فقتل كل من وقع في يده ممن يريد عسكر عبد الرحمن، وأمسك الناس عن الخروج من البصرة، وزحف الحجاج إلى عبد الرحمن فقتله واستأسر أكثر أصحابه وأثخن فيهم القتل[1].

وحُكيَ أن قتيبة بن مسلم الباهلي[2]، حارب أهل سمرقند والشاش[3]، وقد زحفوا إليه، فبعث إلى الرساتيق

---

(١) جاء في الطبري: أن عبد الرحمن هزم أمام جيوش الحجاج في موقعتين، الأولى في «دير الجماجم» بظاهر الكوفة من جهة الصحراء للسالك إلى البصرة، والثانية في «مسكن» بالقرب من البصرة. ولعل المؤلف يقصد هنا هزيمة عبد الرحمن بهذه المعركة. إلاَّ أنه يلاحظ أن ابن الأشعث لم يقتل فيها إذ هرب إلى كرمان فهراة ملتجأ إلى ملك الترك الذي اغتاله (الطبري ٨: ١٢ ـ ١٤).

(٢) قتيبة بن مسلم بن عمر الباهلي: من قواد العرب الكبار في صدر الإسلام. تولى الري أيام عبد الملك بن مروان وخراسان أيام الوليد بن عبد الملك، ومن هنا توغل في بلاد ما وراء النهر وافتتح أكثر مدنها حتى وصل أطراف الصين. وقد وطد الحكم العربي في البلدان التي افتتحها. وعندما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة، وكان يكره قتيبة، حاول قتيبة الاستقلال بما في يده من البلاد، ولما جاهر بذلك ثار عليه بعض قادة جيشه، فقتل سنة ٩٦ للهجرة.

(٣) راجع عن حروب قتيبة في سمرقند والشاش وفتحهما (الطبري ٨: ٨٤ ـ ٩٢. وفتوح البلدان ٤٠٩ ـ ٤١١).

فحمل شراباً كثيراً إلى عسكره، وأظهر أنه يولم على تـزويج ابنـه في يـوم كـذا وليمـة عـظيمـة، وبعث قـومـاً من قِبله مستأمنة[1] إلى أهل سمرقند والشاش فقالوا لهم: إن قتيبـة عـزم على أن يولم على تـزويج ابنـه يوم كـذا، وقـد بلغكم ما حُمل إليـه من الشراب وأصحـاب الملاهي، ومـا هيأ من الـطعام، فقـالوا: قـد بلغنا ذلـك. قـالت المستـأمنـة لهم: فـانتهزوا الفـرصة في ليلة كـذا ببياتـه[2]، فـإنـه وأصحـابـه سيسكرون في هذه الليلة فلا يكون بأكثرهم حراك.

فـطمع أهـل سمرقنـد والشاش وهم معسكـرون منهم على مرحلة، في قتيبة وأصحابه. فلما علم أنهم قد طمعـوا فيه، عمل وليمة عظيمـة ومنع أصحـابه الشـراب. حتى إذا أمسىٰ، خـرج في ألف فـارس من أصحـابـه، فكمنــوا في روابـي على طـريق عدوه للبيـات. وجاء القـوم لبيات قتيبـة فلمـا مَـرُّوا بـه، خـرج عليهم من ظهـورهم فقـطعهم وقتـل أكثرهم. ثم رجع إلى عسكرهم، فظن أهل العسكر أن قتيبة وأصحابَه أصحابُهم، فلم يتحرزوا منهم، فقتل أكثرهم.

وحُكيَ أن بعض ملوك الجبـل[3]، علم بعسكر يسيـر

---

(١) المستأمن: طالب الأمان.

(٢) البيات: الهجوم على العدو ليلاً.

(٣) الجبـل: الاسم الـذي كـان يـطلق في العهـد الإسـلامي على =

إليـه. فأخـذ شعيراً فـطبخه بـالماء مـع قضبان الـدفلى، ثم جففه، ثم جربه على دابة فلما أكلت الدابة (منه) نفقت من يـومهـا. فخـرج فعسكـر بنـاحيـة من جبله[1] ونثـر الشعيـر والميرة. فلما ظنَّ أن القوم يسيرون إليه، ترك ما في عسكره من الميرة وتنحَّى عنه، وجاء مَنْ كان يطلبه، فـوجدوا ذلـك الشعير فأطلقوا عليه دوابهم فنفقت كلها.



= المنـطقـة الغـربيـة من بـلاد فـارس المحـادّة للعـراق شمـال خوزستان، وتسمى الجبـال أيضاً. وكـان هذا هـو الإقليم الثاني من أقاليم مملكة فارس التي وضعها أنوشروان (راجع غرر السير ص ٦٠٩).

(١) في أ: «من خيله».

الباب السابع
في كَسرِ الجُيوشِ بتفريق كلِمتها

حُكِيَ أن قسطنطين ملك الروم، مَلَكهم حتى كبرت سنه وساء خلقه، وظهر به وضح[1] شان وجهه. فأرادت الروم خلعه، وقالت: حسبك من الدنيا فاعتزل ملكنا، فقد شبت[2] ولك من الأموال ما لا تفقد معه شيئاً كنت فيه من نعمتك؛ فشاور نصحاءه في أمره، فقالوا له: لا طاقة لك بقومك وقد اجتمعت كلمتهم على خلعك، وهم على غير دين يفهمونه. هذا والروم لا تعرف النصرانية، وهي تعبد الأوثان على جاهليتها، قال: فما الحيلة؟ قالوا له: تستأذن لتحج إلى بيت المقدس، ثم تطلب ديناً من أديان الأنبياء فتدعوهم إليه وتحملهم عليه، فإنهم يفترقون (فرقتين) فرقة تصير معك على دينك، وأخرى تشذ عنك، فتقاتل من

---

(١) الوضح: البرص.

(٢) في أ: «شبنا» وهو خطأ في النسخ.

عصاك بمن أطاعك، فإنك تظهر عليهم، لأن كل قوم قاتلوا على دين فهم غالبون.

قال قسطنطين للروم: أنظروني أحج إلى بيت المقدس (ثم أرجع فأعتزلكم. فأنظروه، وخرج إلى بيت المقدس)، فدعا باليهود والنصارى فتناظروا بين يديه. فاختار النصرانية وتنصَّر هو وجماعة ممن معه. ثم رجع إلى بلاد الروم ومعه الرهبان والشمامسة والأساقفة، فدعا الروم إلى النصرانية فأجابه أكثرهم. فقاتل من عصى فظفر بهم، وأحرق كتب حكمتهم وهتكها، وبنى البِيَع[1] وحملهم على النصرانية بالسيف[2]، وبنى القسطنطينية[3] لنفسه وخاصته،

---

(١) البِيَع: مفردها البِيعَة وهي المعبد للنصارى.

(٢) اعتنق قسطنطين الديانة المسيحية وفرضها على أهل القسطنطينية ومنع مزاولة الديانة الوثنية فيها. (راجع الإمبراطورية البيزنطية ص ٩).

(٣) وضع قسطنطين أسس المدينة التي أنشأها في شبه الجزيرة البارز من أوروبا والذي يكاد يلاقي الشاطىء الآسيوي، في بقعة يحميها بحر مرمرة، في سنة ٣٢٤م وهي السنة التي توِّج فيها إمبراطوراً. وكانت تسمى روما الجديدة. ثم احتفل بإكمالها سنة ٣٣٠م وجعلها مدينة مسيحية، بينما بقيت روما حصناً للديانة الوثنية إلى وقت طويل بعد ذلك (المصدر السابق ص ٧ ــ ٨).

وكـانت دار ملكهم رومية. وغلبت النصـرانية على الشـام[1] حتى ظهر الإسلام.

وحُكِيَ أن العـرب لَمَّا غلبت الـروم على بعض أرض الشـــام، واشتـد أمـرهـا على الـــروم، أتت الـروم ملكهـا قيصر[2]، وهو عليل قد أشرف على الموت، فقالت له: قد علمتَ ما لنا بالعرب من طـاقة، ومـا نحن بعرضـه منهم من ذهاب أمرنا، وعلتك أشـد علينا من ذلـك فأوصِنـا... قال قيصر: إن العرب قـوم كانـوا في بؤس شديـد، يعيشون في الفيـافي من حَلَب الناقـة والشاة، ويحتـرشون الضِّبـاب[3]، وقد رأوا ما أنتم فيه من رفاهيـة العيش بلين الملابس وطيب

(١) لأن بلاد الشام كان يحكمها الرومان قبل الإسلام.

(٢) «قيصر» لقب كل ملك من ملوك الـروم والجمع قيـاصرة. وكـان قيصر الروم عند ظهور الإسلام «هِرَقْل» وقد امتد حكمه من سنة ٦٢١ حتى سنـة ٦٤١ للميلاد، وقـد استطاع أن يثـأَر لرومـا من فارس إذ شنَّ حرباً على الإمبراطورية الفـارسية وتـوغل في قلب فـارس حتى وصل المـدائن عـاصمتهـا بعـد أن كسـر الجيـوش الفـارسية في معـركـة نينـوى. إلَّا أن ظهـور الإسـلام واكتسـاح العرب بلاد الشام وفتحهم مصر، على عهـده، أضعف من شأن الإمبـراطوريـة الرومـانيـة (الإمبـراطـوريـة البيـزنـطيـة ص ٣٣٤ و ٣٦٠ ـ ٣٦٢).

(٣)) يحترش الضباب: يصطادها، والضباب جمع ضب.

الطعام وحسن المناكح[1]. وقد وعدهم نبيهم أَنَّ لمن قتلنا منهم قصور الذهب والفضة وحياة الأبد. فهم كلما لقوكم حرصوا على الموت وكَلِبوا[2] لما أنتم فيه من النِّعم. وأنتم تحرصون على الحياة لطيب ما ترجعون إليه، فهم يهزمونكم. ثم أغمي على قيصر، فظننت أنه مات، فأعولت عليه وبكت عنده. فأفاق، فقالت له: يا سيدهم! إنا شاورناك في أمر العرب فزدتنا منهم رعباً، قال: صدقتكم عنهم قالوا: فما الرأي؟ قال: خَلُّوا لهم عن بعض بلادكم وارفقوا بهم، وادفعوهم بالحرب قليلاً حتى يموت منهم مَنْ شاهد نبيهم، وينالوا من طيب العيش (مثل) ما نلتم، فيكرهون الموت مثل كراهتكم. ثم ضعوا بينكم وبينهم حدًّا وقاتلوهم عليه، فإنهم لا يجوزونه أبداً. ففعلت الروم ذلك ووضعت بينها وبين العرب جبل الدرب، وقاتلت عليه، فبقي الحد إلى هذه الغاية.

وحُكي أن الطالبي، المعروف بالكوكبي، لمَّا طابق ابن حسان صاحب الديلم، أقبلا إلى الريّ فأناخا بها

---

(١) المناكح: النساء.

(٢) كلبوا: حرصوا وطمعوا.

وحاصروا أهلها، وكان عند أهل الريّ امرأة الكوكبي ومعها صبيان له منها. فلما اشتدت الحرب بينهم أياماً، خرج رجل من أهل الريّ إلى الديلمي بأمان فاستخلاه[1]، فلما حلوا، قال له الرازي: إن الكوكبي قد كاتب أهل المدينة أن يطلقوا له امرأته وولده ويمالئهم عليك، وأهله وولده يخرجون إليه في هذه الليلة، فخذ حذرك. فخاف الديلمي مما قال له الرازي، وجعل يدور المدينة بنفسه.

وانصرف الرازي إلى قومه فأخبرهم بما قال للديلمي. فأخذوا امرأة تشبه امرأة الكوكبي ومعها صبيان، فأُخرجوا من باب المدينة، فوقعوا في يد ابن حسّان، فظن أن الرازي نصحه. ووجد مع المرأة كتاباً من أهل الريّ إلى الكوكبي: إنا قد وفيناك بما حالفناك وعاهدناك عليه، ففِ لنا بما وعدتنا من الغارة على ابن حسّان.

وجاء الرجل الذي نصح لابن حسّان إلى امرأة الكوكبي فقال لها: إن ابن حسّان قد كاتب أهل الري على أن يثبوا بزوجك فيجتاحوه[2] في هذه الليلة المقبلة،

---

(١) استخلاه: طلب أن يخلو به.

(٢) يجتاحه: يهلكه.

فاكتبي إليه بخطك كتاباً أعلميه ذلـك. قالت: ومَنْ يـوصله إليه؟ قال الرجل: أنا أخرج جاريتك من سور المدينـة حتى تمضي إليه، فكتبت المرأة إلى زوجها تُعلمه أنَّ فلاناً خبَّرها بكذا، وأنَّ القوم على بياته. فوصل الكتاب إليه فبـات على حذر. فلما وقعت المرأة على ابن حسَّان قال لها: مَنْ أنتِ؟ قالت: فلانة امرأة الكوكبـي، فخرج نحو الكوكبـي ليعاتبه، فلما شعر بـه الكوكبـي تصـايح أصحـابه بـالسلاح، ونشبت الحرب بينهم بالليل. وصَحَّ عند كل واحد منهم ما قيـل له. فهـرب الكوكبـي بـالليل، ومضى ابن حسـان أيضـاً هـاربـاً لوجهه.



الباب الثامن
في التَدبير على مفسِدٍ أو مُستَعصٍ

حُكيَ أن أبرويز كسرىٰ، لمَّا هـزم ملك الروم، كتب إلى قائده الذي كان أدهن عليه، يجزيـه خيراً ومَنْ معـه من الجند، ويعدهم البِرَّ والزيـادة في أرزاقهم. فعلم القائـد أنَّ الـذي فعـل من تخليـة الـطريق لملك الـروم لم يخفَ على أبرويز، وأن كتابه إليه إنما هو استدراج منـه له. فكتب على لسان كسرىٰ إلى الجند بغير مـا كتب له كسـرى، من الشتم لهم والوعيد والتهدد. وكتب إلى أبرويز عنهم كتابـاً غليظاً. فأفسد قلوب الجنـد على أبرويـز، وأفسد قلب أبـرويز على الجند الذين كانوا معه في وجوه الروم.

وكـان أبرويـز قد تغيَّـر لرعيتـه وساء خلقـه فـأبغضـوه جميعاً. وكان قد عتب على ابنه شيـرويه فحبسـه في حصن بابل من المدائن مستقر كسـرى على خمسة عشـر فرسخـاً. وكتب كسرى إلى صاحبه الذي في وجوه الروم وإلى جميـع من معـه من الجند بـالقفـول حـذراً من مفـاسـدهم، وأحبَّ

مشاهدتهم ليصلح قلوبهم وفسادهم. ووجَّه في موضع هـذا القائد رجلاً من جِلَّة الفرس ووجـه معه أكثـر الجند. فخـلا بابه منهم إلاَّ اليسير من الجند. فقدم القائـد الأول ومن معه من الجند وقلوبهم فاسدة، فمالـوا إلى شيرويـه بن أبرويـز، فـأخرجـوه من حبسه وبـايعوه على الفتـك بأبيـه. ثم ساروا نحوه، وكان ذلك سبب قتل أبرويز[1].

وكان أبرويز كتب إلى عامله على اليمن في إشخاص رسـول الله ﷺ. فوجَّـه عامله إلى رسـول الله ﷺ رُسُلاً وهـو بالمدينة. فلما وردوا على رسول الله ﷺ قالوا له: إن ربَّنـا، يعنـون كسـرىٰ، أمـرنـا بـأن نشخصـك إليـه. فقـال لهم رسـول الله ﷺ: إن ربـي أعلمني أنَّ ابن كسـرى وثب على أبيـه فقتله البارحـة، فارجعـوا إلى صاحبكم. فـرجعـوا إلى صـاحب اليمن فأعلمـوه الخبر. فحفـظوا تاريخـه، فأتـاهم الخبر بأن شيرويه قتل أباه أبرويز في تلك الليلة التي ذكـرها رسول الله ﷺ[2].

وحُكيَ أن بقيـة المحمَّرة[3] لمـا انهـزمت من الجبـل

---

(1) راجع عن مقتل أبرويز: إيران في عهد السـاسانيين ص ٤٧٥ ــ ٤٧٧، وغرر السير ص ٧٢٤ ــ ٧٢٧.

(2) انظر تفصيل الخبر في الطبري ٢: ٦٥٥ ــ ٦٥٨ (طبعة ــ م).

(3) المحمرة: هم اتباع بابك الخُرَّمي. وكان بابك قد ظهر في عهد =

مـرَّت بـأرمينيــة، ثم انحـازت إلى ملك الــروم فـأكــرمهم واصطنعهم، فغلظ ذلك على أهل الثغور. وكـانت المحمرة الـذين وصلوا إلى ملك الروم نحـواً من عشرة آلاف رجـل أكثـرهم فـرســان. وكـان على الثغــور محمـد بن يــوسف المعروف بأبـي سعيد ذي العلمين[١]. فدسَّ رجـلاً من قبله

= المأمون في بـلاد فارس، ودعـا إلى إباحـة المحرمـات وإشاعـة الأموال بين أتباعه. واستفحل أمـره إذ دخل في دعـوته كثيـر من أهـل الجبال من همـذان وأصفهان. واسـتطاع أن يصمد بـوجه جيوش الدولة العباسيـة طيلة حكم المأمـون. حتى إن المأمـون عندما أدركته الوفـاة أوصى خلفه أخـاه المعتصم بالاستمـرار في تجـريد الجيـوش لمحاربـة بابـك وأتبـاعـه للقضـاء عليـه وعلى دعوته. فبذل المعتصم جهده في ذلك. وقد تم لقـائده الأفشين أن ينتصر على بابك، بعد أن قاوم الدولـة قرابـة عشرين سنـة. فأتى به وبأفراد عائلته إلى سـامراء حيث صلب. وقـد هرب من نجا من القتل من أتباعه ملتجئاً إلى بلاد الروم.

(١) المعروف بالثغري الطائي، من قواد حميد الطوسي في حربه مع بابك الخرمي، وتولى قيادة جيوش المعتصم بعد مصرع حميد، وكـانت أول هزيمـة لأتباع بـابك على يـده. سمى الثغري لأنـه قضى معظم حياتـه في العمل في الثغـور الإسلاميـة. توفي في عهد المتوكل وهو والٍ على أرمينية وأذربيجان، فـولى المتوكـل ابنـه يـوسف مـا كـان لأبيــه من شؤون الحـرب، ولأبـي تمــام والبحتري في أبـي سعيد الثغري مدائح كثيرة.

من أهل الجبل بكتاب على لسان المحمرة إلى أبي سعيد يسألونه الأمان، على أن يثبوا بملك الروم في وقت الحرب من خلفه. وعَرَّضه لأن يقع في يد ملك الروم. فلما وقع الكتاب في يد ملك الروم، حذِرَ المحمَّرة وتنكَّر لهم، فحذروه. وكتب إليهم أبو سعيد كتاباً بالأمان، فوقع الكتاب أيضاً في يد الملك فزاده وحشةً منهم، ولم يبدِ لهم ما في نفسه، تخوفاً من أن يحسبوا أنه قد خافهم. ثم طلب عليهم عثرةً وتجنَّى عليهم فحاربهم فقتلهم أجمعين.

وحكَى أن رجلاً من مدينة السلام يُقال له سَهْل بن سَلَامة[1] خرج في جماعة من غوغاء أهل مدينة السلام، فأغواهم بأن وسم نفسه بالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، فعظم شأنه. والمأمون بمرو، فبلغه خبر سهل فدعا ثُمامة بن أشرس[2] فقال له: إن رجلاً خرج بمدينة السلام

(١) سهل بن سلامة: يقول الطبري في حوادث سنة ٢٠١ للهجرة: «وفي هذه السنة تجردت المُطوِّعة للنكير على الفساق ببغداد... ثم قام رجل يقال له سهل بن سلامة الأنصاري من أهل خراسان يكنّى أبا حاتم، قد دعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بكتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، وعلق مصحفاً في عنقه...» الطبري ١٠: ٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٢) ثمامة بن أشرس: من كبار المعتزلة وكان فصيحاً بليغاً. كان مقرباً من الرشيد ثم من المأمون الذي تأثر بآرائه في الاعتزال

في نحوٍ من خمسمائة رجل، يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فما ترى؟ قال ثمامة: يا أمير المؤمنين هذا خطب جليل ينبغي أن يُتلافىٰ. ثم دعاه المأمون بعد مدة، فقال: يا ثمامة، إن الرجل قد صار في ألفٍ. قال: وهذا خطب جليل (أيضاً) هائل مخوف. ثم دعاه بعد مدة وقال: يا ثمامة إن الرجل في مدينة السلام قد صار في خمسة آلاف رجل. قال ثمامة: هذا أمر قد ضعف فلا تحفل به. فقال له المأمون: كيف استعظمت حاله في خمسمائة وفي ألف وقد استضعفتها في خمسة آلاف؟ قال ثمامة: لأني ظننت أنَّ مخرجه ومن معه لقصد الدين فراعني، فلما كثر أصحابه علمت أن خمسة آلاف رجل لا يجتمعون على نصرة الدين في مثل هذه السرعة، وأن أصحابه غوغاء.

فلمَّا دخل المأمون مدينة السلام أمر بسهل، وكره أن يقدم عليه بعقوبة فيفسد قلوب أهل الديانة والرعية. ثم أمر أن يستعمل سهل على صدقات الجبل فلما وليها سقطت حالته عند أهل الديانة والعامة. ثم وجَّه خلفه لمَّا خرج إلى الجبل مَنْ حاسبه وتتبع عمله فأظهر خيانته. وأمر المأمون

= وبلغ من تقدير المأمون له أنه أراد أن يستوزره فاستعفاه. ويسمى أتباعه من المعتزلة «الثمامية» نسبة إليه. (راجع الشهرستاني ١ : ٧٠ ـ ٧١).

بتقييد سهل، وحبسه بالجبل حتى مات في حبسه.

وحُكيَ أن قتيبة بن مُسلم الباهلي، وليَ خراسان وعزل يزيد بن المهلب[1] عمَّا كان في يده. فشخص يزيد بن المهلب إلى الشام، إلى سليمان بن عبد الملك، وهو على ملك قومه، فقال له: كيف خلَّفته؟ فأفسد يزيد بن المهلب قلب سليمان على قتيبة بن مسلم. فكتب سليمان إلى قتيبة كتباً أنكرها، وارتفعت حال يزيد عند سليمان، فعلم قتيبة أن يزيدَ أفسد حاله عند سليمان بن عبد الملك، فكتب إليه كتباً يتنصل فيها، فلم يزد عليه سليمان إلَّا غلظةً. فوجَّه قتيبة إلى سليمان رسولاً فطناً لبيباً، ودفع إليه ثلاثة كتب، وأمره أن يوصل الأول منها إلى سليمان. وقال: إنك ستدخل عليه ويزيد بن المهلب جالس عن يمينه، فإذا

---

(١) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي: من القادة الشجعان وقد ولي خراسان بعد وفاة أبيه ثم عزله الحجاج لأنه خشي طموحه. ولما ولي سليمان بن عبد الملك الخلافة ولاه العراق ثم خراسان، فافتتح جرجان وطبرستان. وعزله عمر بن عبد العزيز وحبسه. وعندما مات عمر استطاع يزيد أن يهرب إلى البصرة ويتغلب عليها ويعلن الخروج على يزيد بن عبد الملك. فوجه إليه أخاه مسلمة بن عبد الملك والي العراق، فنشبت الحرب بينهما وقتل فيها يزيد في سنة ١٠٢هـ (راجع وفيات الأعيان ٥: ٣٢٢ ــ ٣٥٢).

دفعت إليه كتابي الأول فأقرأه يزيد، فادفع إليه كتابي الثاني. فإذا دفعته إليه فشتمني وتنقَّصَني، فادفع إليه الكتاب الثالث. فإنه إذا قرأه أمر بإكرامك وبِرِّك وصلتك، وأجابني على كتبي بما أُحبُّ[1].

فخرج رسول قتيبة حتى ورد الشام، فلما أُذن له على سليمان، إذا يزيد بن المهلب على يمينه. فقال الرسول: يا أمير المؤمنين، إن معي كتباً أَفأوصلها على ما أُمرت؟ قال: فهاتها. فناوله الكتاب الأول وفيه: يا أمير المؤمنين أنا أمسّ بك رحماً، وأقدم بك حرمةً، وأوجب عليك حقاً، فلا تشمت بي يزيد بن المهلب. فلما قرأ الكتاب دفعه إلى يزيد كالهازىء بقتيبة. فدفع رسول قتيبة الكتاب الثاني إلى سليمان، وفيه: يا أمير المؤمنين يكتب إليك مثلي، وليٌّ من أوليائك كتاباً فتتضاحك به وتدفعه إلى يزيد بن المهلب الفاسق الكذاب المعروف بكذا، لا يألو قتيبة ما أفحش على يزيد بن المهلب في كتابه. فقال سليمان: (ومَنْ قتيبة) بن مسلم حتى يجترىء بمثل هذا الكتاب؟ لا يألو سليمان ما أفحش في شتم قتيبة، ولم يدفع الكتاب الثاني إلى

---

(١) راجع عن المكاتبة هذه بين سليمان بن عبد الملك وقتيبة: الطبري ٨: ١٠٣ ـ ١٠٤، والعقد الفريد: ٤: ٤٢٦ ـ ٤٢٧، ووفيات الأعيان ٥: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

يـزيد، فـدفع الـرسول الكتـاب الثـالث كمـا أمـره قتيبـة بن مسلم، إلى سليمان بن عبد الملك وفيـه: من عبد الله قتيبـة أميـر المؤمنين إلى سليمان بن عبـد الملك، أمـا بعـد فـأنتم أئمة الضلال وبنو طريد رسول الله ﷺ[1]، لم تستحقـوا هذا الأمر بسابقـة ولا قرابـة، فادخـل في السلام أو ائـذن بحرب والسـلام. فلمـا قـرأ سليمـان هـذا (الكتـاب) وضعـه تحت وسـادته وقـال لحاجبـه[2]: خذ الـرسول إليـك فأكـرم مثواه وارفع إلينا حوائجه لتقضىٰ. (وكتب سليمان إلى قتيبة يـزيد في عمله) ويُحسن صلتـه. ثم دسَّ سليمان رجـالاً فصـارُوا في عسكر قتيبة فسعـوا في الفساد في أصحـابه حتى شغبـوا على قتيبة بن مسلم فقتلوه[3].

---

(١) طـريد رسـول الله: هـو الحكم بن أبـي العـاص بن أميـة، عم عثمان بن عفان. أسلم يـوم فتح مكـة، وقد طـرده الرسـول من المـدينة فنـزل الطائف ومعـه ابنه مـروان. ولم يـزل الحكم في الـطائف إلى أن ولى عثمـان الخـلافـة فـأذن لـه بـالعـودة إلى المدينة. وكان سبب طرده من المدينة أنـه كان يتسمـع ما يسـره النبـي ﷺ إلى أصحابه فيفشيـه إلى المشركين من قـريش. كما كـان يقلد النبـي ﷺ في مشيته وبعض حـركاتـه بشكـل ينـطوي على التهكم.

(٢) في أ: «لجليسه».

(٣) راجع عن مقتل قتيبة: الطبري ٨: ١٠٦ ـ ١٠٧، وفتوح البلدان ص ٤١٢ ـ ٤١٤.

وحُكيَ أن بِشْر بن داود المُهَلّبي[1] كان من شأنه أنه عظم بالسند، فوجّه المأمون إليه غسَّان بن عبَّاد[2] في اثني عشر ألف رجل من الجند، وأمره إذا قرب منه أن يهوِّل عليه ويكاتبه، ويعرض عليه الأمان. فإن أذعن له أعطاه أماناً بخط أمير المؤمنين، وإن أبى ولَّاه السند وخلع عليه وضمّنه خراجها وانصرف. فشخص غسَّان بن عباد حتى إذا قارب السند، كاتب رؤساء السند يُعلم كل واحد منهم أن ولاية السند له إن انصرف عنها بِشْر، ويأمرهم بالتنكر لبِشر وإظهار معاندته. فلما أجابوه إلى ما أراد، كتب إلى بشر: أما بعد، فقد جرى أسلافك وجريت بعدهم في الطاعة إلى غاية وجبت بها حقوقكم، وشُهر بها صفاء نيتكم، وفضلت بها منزلتكم. ولم يعرَ من الخطأ الأنبياء المنتخبون ولا الأصفياء المقربون، بل وصفهم جلَّ ثناؤه في كتابه وأخبر عن محبته إياهم، فقال:

---

(١) بشر بن داود المهلبي: والي السند على عهد المأمون، عصى عليه ولم يرسل إليه خراجها، وكان اتفق معه على أن يحمل إليه كل سنة ألف ألف درهم.

(٢) غسان بن عباد: من رجال المأمون وهو ابن عم الفضل بن سهل. وقد ولاه الحسن بن سهل خراسان. ثم ولاه المأمون السند بعد بشر بن داود المهلبي، فأقام هناك مدة أصلح خلالها شؤونها.

﴿إن الله يُحبُّ التوابين ويحب المتطهرين﴾[1].

وقد وجَّهني أَمير المؤمنين في جيوش لا يُرىٰ طرفها كثرةً، وأمرني بعرض الأمان عليك لنفسك ومن اتصل بك من أهلك وحاشيتك على أنفسهم، وجميع ما حوته أيديكم، وكتب بذلك كتاباً بخطه. فإن قبلته أصبت رشدك وربئت[2] ما مضى عليه أوائلك. وإلَّا فتعرف نواصي الخيل سائلة عنك ومحيطة بعقوبتك، واطئة عقر حريمك. وأَيَّة حال عند ذلك حالك إلَّا حال العاضّ على أنامله غيظاً والقارع لسنِّه ندماً؟ وكأني بك وقد واثبك الموتور وصاف[3] عنك المقهور، وشمت بك المكاشح[4] وأسلمك الناصح، وأنا أعيذك بالله من الحال التي أصبحت بعرضها إن لم تنتهز الفرصة وتتوقَّ العثرة.

فلما وصل الكتاب إلى بِشر توقف عن الإجابة، فتنكر له الرؤساء من أهل عمله، وبلغه عنهم ما لا يحبه. وجعل أصحابه يحبون الرجوع إلى أوطانهم بالعراق. فاضطربت

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٢) ربئت: حفظت وأصلحت.

(٣) صاف: مال. وفي أ: «ضاق بك المقهور»، ولعل الصحيح أنها «وحاف عليك المقهور»، أي: جار وتعدى.

(٤)) المكاشح: العدو الباطن العداوة.

عليه أموره، فقبل الأمان ورجع فمات بمدينة السلام.

وحُكِيَ أن نجاح بن سَلَمة[1]، قد كان وعد أمير المؤمنين المتوكل على الله أن يُظهر خيانات الكتَّاب، وضمن له بذلك مالاً جليلاً. وكان فيمن ضمنه نجاح أحمد بن الخطيب كاتب المنتصر بالله[2]، وأبو نوح كاتب الفتح، وموسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج، والحسن بن مخلّد صاحب ديوان الضياع[3]. وكتب رقعة بخطه يتضمَّنهم للمتوكل على الله وهم على شرابهم. وانصرف نجاح على أن يبكر فيسلم القوم إليه يستخرجهم ويكشفهم. فشقَّ ذلك على الفتح[4] وعلى عبيد الله بن

---

(١) كان نجاح بن سلمة صاحب ديوان التوقيع للمتوكل على الله، أي الذي يتولى ختم الرسائل وتسجيلها. وكان من واجباته كذلك تتبع أعمال الموظفين والعمال.

(٢) المنتصر بالله: محمد بن جعفر المتوكل على الله وولي عهده، وقد اشترك في مؤامرة اغتيال أبيه، وبويع له بالخلافة بعده، إلاَّ أنه لم تطل مدته بها.

(٣) ديوان الضياع: الديوان الذي يتولى إدارة ضياع الخليفة أي المزارع وقراها (التمدن الإسلامي ٢: ١٢٤ ـ ١٢٥).

(٤) هو الفتح بن خاقان بن أحمد، أديب وشاعر فصيح. فارسي الأصل اعتمد عليه المتوكل على الله واستوزره وقتل معه. كان يشجع الأدباء والكتّاب على التأليف حتى اجتمعت له مكتبة حافلة.

يحيى[1]، فأَعملا الحيلة.

فلما حضر نجاح من الغد دار السلطان، خلا به عبيد الله فقال: إنك تقلدت أمراً عظيماً استفسدت به المنتصر بالله وهو ولي العهد الأكبر، والفتح وهو أغلب الناس على أمير المؤمنين، وإن هما كاداك لم تكن لك بهما طاقة، فقال نجاح: فما أصنع وقد رهنت لساني عند أمير المؤمنين؟ قال عبيد الله: فاكتب إليه رقعة تخبر فيها بأنك ضمنت هؤلاء القوم على النبيذ تهويلاً عليهم، ليكفوا عن الخيانة ويعلموا أن لهم من يكشفهم. وتعتذر إلى أمير المؤمنين وتسأله إقالتك مما دخلت فيه. وأنا أتولى إيصال الرقعة وأقوم بعذرك. فخدعه حتى كتب رقعةً بخطه بذلك.

ثم أمر الفتح صاحب الدار أن يحجب نجاحاً قدر ساعة، فجاء نجاح ليدخل فحُجب. ودخل عبيد الله مع الفتح فقالا للمتوكل: إن نجاحاً قد رجع عن جميع ما ضمن لك، وهذه رقعته (بخطه) يعتذر مما ضمن، ويسأل الإقالة، ويخبر أن ذلك كان منه على نبيذ. فلما قرأ المتوكل الرقعة اشتد على نجاح غضباً، ودعا بموسىٰ بن

---

(١) عبيد الله بن يحيى بن خاقان، انتخبه المتوكل لوزارته، وبقي في منصبه حتى مقتل المتوكل. وقد عرف بالحزم وأصالة الرأي.

عبد الملك والحسن بن مخلّد، فضمنا نجاحاً بمال جليل، فدُفع نجاح إلى موسى فقتله[1].

وحُكيَ أن أبا الحسن علي بن هشام. لما ولَّاه المأمون أذربيجان، شخص إليها عليّ وشخص المأمون إلى بلاد الروم، دبَّ[2] أبو إسحاق المعتصم بالله عند المأمون. وكان قد غلب عليه في إفساد أبي الحسن علي بن هشام، لِمَا تَخوَّف من ميل أبي الحسن علي بن هشام إلى العباس[3]. فكتب المأمون إلى عليّ كتباً غليظة أنكرها عليّ فتنكر للسلطان، دالَّةً عليه[4] بموضعه منه. فلم تزل الغلظة تنمو بينهما حتى فَشَت في الناس ولم يمكن المأمون عزل علي بن هشام لأنه كان في بلاد الروم، وعليّ في ناحية بابك، فلم يأمنه إن بادهه[5] بالعزل. وبلغه أنَّ عليًّا قد أفسد قلوب أصحابه وأهل عسكره بقطع أرزاقهم والسفه

---

(١) راجع مفصل القصة في محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٣: ٢٨٧ ـ ٢٨٨. وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على فساد موظفي الخليفة وحاشيته ووقيعتهم بعضهم ببعض، وعلى انتشار الرشوة والخيانة بين العمال والموظفين.

(٢) دب: نمَّ.

(٣) العباس بن المأمون، وكان والياً لأبيه على الجزيرة والثغور.

(٤) دالة عليه: جرأة عليه بسبب وجاهته عنده.

(٥) بادهه: بادره.

عليهم والكِبر. فوجَّـه المأمـون عُجَيْفاً، وأمـره أن يصير إلى عليّ كالمعاتب له المستصلح لقلبه، وأن يدبَّ بالفساد عليه في عسكره، وجعل عطاء الجند وعرضهم إلى عُجَيف.

(فـدخل عُجيف) عسكـر عليّ، فـأظهـر لعلي غـايـة التعـظيم واستعتبـه لأميـر المؤمنين، فـاعتـذر علي وقـال لعُجيف: أحسب الـذي جئت لـه غيـر هـذا، فـاحـذر على نفسك، فإني إن لدغتك بالمراغة[1] لدغةً أبطأت رقيتك من بلاد الروم[2]. فتـذلل عُجيف لعليّ وتلقَّى قـوله بـالتواضـع حتى سكن. ثم دبَّ في أصحـابـه بـالفسـاد حتى إذا أحكم عليهم الأيمان بالطاعة مع العطاء، وعلم سوء نياتهم لعليّ، وأعَدَّ رؤساءهم للفرصة، فخـرج عليّ إلى بعض متنزهـاته، وجمـع[3] عُجيف الجنـد فقـرأ عليهم كتـاب أميـر المؤمنين بعـزل علي. فقوبـل بالسمـع والطاعـة لعُجيف، فبلغ الخبر عليًّا فرجع مبادراً. فوثب الجند عليه وعلى أخيه الحسين بن هشام فدفعوهما إلى عُجيف، فـأوثقهما بـالحديـد وحملهما إلى المأمون، فقتلهما بإذنه.

***

---

(١) مراغة: بلدة كانت من أشهر وأكبر مدن أذربيجان.

(٢) يعني أنه إذا ما أراد به سوءاً، فـإن نجدة المـأمون لـه، وهو في بلاد الروم، تبطىء في الوصول إليه لبعد المسافة.

(٣) هكذا في الأصل، والواو زائدة.

الباب التَاسِع

في تَسكين شَغَبٍ وإصلاحِ نَفار أو ذات بَيْن

حُكِيَ أن أبا جعفر المنصور، لما أعدَّ ما أراد باتخاذ مدينته بغداد (ونزلها) فرَّق جنده من أهل خراسان في الكور[١] والثغور[٢] إلَّا القليل منهم. وخلَّف على بابه من قبائل العرب. فلما قلَّ أَهل خراسان ببابه وكثرت العرب، شغبت على المنصور وطلبت من الأرزاق ما يُستكثر لها. واجتمعت كلمتها من نزار واليمن على الوثوب بالمنصور، واجتمعت ببابه المعروف بباب الذهب، وهي متنكرة متذمرة. وقد جلست نزار عن يمين الباب واليمن عن يساره. فأتى محمد بن جعفر بن عبيد الله بن العباس[٣] باب

(١) الكور: جمع كورة وهي مجمع القرى.

(٢) الثغور: المدن والحصون التي على حدود الأعداء.

(٣) في الكامل لابن الأثير ٥ :٢٤٣ : أن الذي دخل على المنصور هم قثم ابن العباس بن عبيد الله بن العباس، وهو ابن عم محمد المذكور.

المنصور فدخل عليه. وكان شيخاً جليلاً معروفاً بجودة الرأي، وقد علم[1] ما يفيض فيه الجند من العرب من توعد المنصور، فقال له: يا أمير المؤمنين، إني رأيت جندك من العرب متنكرين لك، وسمعت منهم ما لا أحبه. فقال المنصور: وما عندي في ذلك إلاَّ مداراتهم حتى توافينا خيلنا ممن نناهضهم. فقال العباسي: لا وجه لقتال جندك، لأنك إن ظفرت بهم أفسدت عُدَّتك وفتت في عضدك، وإن ظفروا بك فهو البوار الذي لا إقالة منه. فقال المنصور: فما الحيلة فيهم؟ قال العباسي: عندي فيهم حيلة ورأى لا يجوز أن أُخبر به حتى أمضيه. قال المنصور: وما هو؟ قال: إن خبَّرتك به فسد. قال المنصور: فشأنك.

فخرج العباسي إلى دهليز المنصور، فدعا رجلاً من مواليه فقال له: ركبتُ فسرتُ بين صفّي العرب فقل لي بصوت يُسمع، (يا سيدي) أيُّ القبيلتين أشرف، نزار أم اليمن؟ فإن زبرتك[2] وزجرتك، فأعِد عليَّ القول واستحلفني بحق الله عز وجل وبحق رسوله ﷺ. فلما ركب العباسي دابته ومشى ومعه مولاه (سأله عمَّا أمره به فزجره، فاستحلفه مولاه) وهما بين صفّي نزار واليمن، فاشرأبت

(١) في ب: «سمع».

(٢) زبر السائل: نهره.

أنفس العـرب من الفريقين لِمَـا يقـول الشيـخ. فقـال: وَمَنْ اليمن، بنو كذا وكـذا. لا يقصِّر عن الإفحـاش، نزار سـادة الناس. فأمـرت اليمن شابـاً منها أن يقـوم إلى الشيخ يعنفـه وينكِّسه عن دابته. وسمعت نزار بقول الشيـخ. قال: فـوثب بعضهم على اليمنى فضـربه بـالسيف فخلَّى عن العبـاسي، فرجع مسرعاً إلى دهليز المنصور. وتهـايج الحيَّـان من نزار واليمن بالسيوف[1].

ودخل العباسي على أمير المؤمنين المنصور فقال: قد

---

(١) كانت الخلافـات القبلية من أهم الأسبـاب التي أدت إلى سقوط الـدولة الأمـوية، وكـانت القبائـل قد كـونت جبهتين منـذ عهـد معاوية، الأولى، وتمثلها القبائل العدنـانية أو القيسيـة، والثانيـة وتمثلها القبائـل اليمانيـة أو القحطانيـة. وكانت هـذه الخلافـات تشتد وتضعف حسب سياسة الخلفاء تجـاه القبائـل المذكـورة. فإذا ما قرَّب أحدهم القيسيين، عـلا شأن هـذه القبائـل وضعف شأن القبائل اليمانيـة، وبالعكس إذا انتصـر الخليفة لليمـانيين، فإن ذلك يؤدي إلى إضعاف القبائل القيسية. ولم يقتصر أثر هذه الخلافات القبلية على بلاد الشام وحدها، بل انتقل إلى الأقطار الأخرى. فظهر بوضوح في العراق وفارس وما وراء النهر، وكان لـه أثر عميق في إضعـاف الدولـة الأمويـة وسقوطهـا. ومع تلك النتائج السيئة لهذه الخـلافات، فـإنها استمـرت مدة طـويلة في العهد العباسي حتى أضعفت في النتيجة كلمة العرب في الدولة العباسية.

كفيتك القوم وأغـريت بينهم، فكل فـرقة منهم محتـاجة إلى حسن رأيك لئلا تميل مع الفرقة الأخـرى عليها، فـلا يكون لهم بـك وبعدوهم طـاقـة. والـرأي أن تبني داراً في شـرقي دجلة وتحـوِّل ابنك المهـدي إليها، وتُصَيِّـر جندك من أهـل خراسان معه. فيكون (هو) ومن معه مسـرعاً لـك[1] واخرج إلى القوم وانههم عن الحرب. ففعل المنصور ذلـك، وبنى الرصافة[2].

وحُكِيَ أن مُصعب بن الـزبيـر[3]، لمَّـا قـدِم البصــرة لحرب عبد الملك بن مروان ندب الناس للقتال معـه. وكان فيمن ساعده الأحنف بن قيس، فـأخرج مضـربه فضـربه في

(١) في ب «مفرغاً لك».
(٢) راجع عن بناء الرصافة: الكامل لابن الأثير ٥: ٢٤٣.
(٣) مصعب بن الزبير: هو أخو عبد الله بن الزبير وعضده القوي في تثبيت ملكه. ولاه أخوه البصرة فأخضعهـا وقتل المختـار الثقفي وجمع إليه ولاية الكوفة: ولما استفحل أمره في العـراق وأصبح خـطراً رئيسيـاً يهـدد الـدولـة الأمـويـة في الشـام، سيَّــر إليـه عبـد الملك بن مروان الجيـوش فدحـرها مصعب، فخـرج إليـه عبـد الملك بنفسـه على رأس جيش كبيـر. وحـاول أن يستميله إليـه فأبـى وحـارب حتى قتـل، فـدخـل عبـد الملك الكـوفـة. وبمقتل مصعب ثبت حكم الأمويين في العراق.

عسكر مصعب، فخرجت معه بنو تميم. فجاءت زبراء جارية الأحنف وكانت إحدى الدهاة، فبكت بين يديه، وكانت حظيَّةً عنده. فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: يقول الناس إن الأحنف قد ارتكس[1] في الفتنة، وخرج في الطمع لشيء يأخذه. فقال لها: فإني راجع. فبعث فردَّ مضربه. فبلغ مصعباً فغمّه ذلك وقال: من أين أُتيت في الأحنف؟ قيل له: جاريته زبراء ردَّته. فبعث إليها بعشرة آلاف درهم، فضمنت له ردَّ الأحنف. فأتته تبكي، فقال: ما يبكيكِ؟ قالت: عيَّرتني النساء وقلن: كبر مولاكِ (وجَبُن) ولا قوة به على الحرب، ولا علم له بها. فحمي من قولها فردَّ مضربه. فقيل: هاجت زبراء[2]. وكانت إحدى سقطات الأحنف.

وحُكِيَ أنه لما ولي محمد بن موسىٰ العباسي[3]

---

(١) ارتكس: وقع وانتكس.

(٢) كانت زبراء جارية الأحنف سليطة اللسان، وكانت إذا غضبت، قال الأحنف: قد هاجت زبراء. فذهبت مثلاً في الناس حتى ليقال لكل إنسان إذا هاج غضبه: قد هاج زبراؤه، والأزبر الأسد الضخم، واللبؤة زبراء، (مجمع الأمثال ٢ : ٣٨٤).

(٣) محمد بن موسى العباسي بن يعقوب بن المأمون بن هارون الرشيد، من علماء بني العباس في الحديث وكان ثقة. ولد بمكة وتوفي في مصر سنة ٣٤٢هـ.

اليمامة والبحرين وطريق مكة، نزل بجنده في ظهر البصرة. وفرّق الخيل في جباية الصدقات وبذرقة السابلة[1] إلّا أقل خيله. وبقي على بابه ألف رجل من غوغاء بغداد، ومن الأنبار رجّالة معهم رماح طوال وتراس حصينة. فشغبوا وطمعوا في الغارة عليه وعلى من بقي معه من جنده. فلمّا انتهى إليه ما يفيضون فيه، وعلم أن لا طاقة له بهم، أمر محمد بن موسىٰ بعض ثقاته، فأخرج من البصرة باعةً معهم الأطعمة وغيرها. وأسلفهم مالاً وأمرهم أن لا يعطوا مَنْ جاءهم من الرجّالة ما يريدون، إلّا برهن سنان أو سيف أو ترس، وأن يرخِّصُوا عليهم السعر، ويحملوا ما يرهنون (من أسلحتهم) يوماً يوماً إلى البصرة. فأقبل الرجّالة على أولئك الباعة للإمكان[2] ورخص السعر، يرهنون أسلحتهم وهم لاهون في أكلهم وسكرهم. حتى ارتهن جميع أسلحتهم إلّا اليسير منها. فلما استنظف السلاح[3] من أيديهم، تنحّى الباعة عنهم، فانتبهوا من سكرتهم ولا سلاح معهم، وفقدوا ما كانوا يجدون. فهاجوا في الشغب طمعاً في النهب. فخرج إليهم من بقي معه من جنده في غايةٍ من

---

(١) بذرقة السابلة: خفارتها وحراستها.

(٢) الإمكان: السهولة واليسر.

(٣) استنظف السلاح من أيديهم: أخذه من أيديهم.

العُدَّة والعتاد والسلاح، ولا سلاح مع الرجَّالة إلاَّ الحجارة فشردَّهم كل مُشَرَّد.

قال: وخرج أبو سفيان[١] في جماعة من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم. فلما ساروا ثلاثاً جمعهم أبو سفيان فقال: إنا من مسيرنا هذا لعلىٰ خطر، إنما قدومنا على ملك لم يأذن لنا في القدوم عليه، وليست بلاده لنا بمتجر. ولكن أيّكم يذهب بالعِير، فإن أصيب فنحن براء من دمه، وإن يغنم فله نصف الربح؟ فقال غَيْلان بن سَلَمة الثقفي[٢]: دعوني إذن، فدخل الوادي

---

(١) أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية، من سادات قريش وقوادهم في الجاهلية، وكان من رؤساء المشركين عند ظهور الإِسلام، وقد قاد جيوشهم في معركة أحد وفي غزوة الخندق. إلاَّ أنه أسلم يوم فتح مكة، ودعا أهلها إلى الدخول في الإِسلام. وقد رحب الرسول ﷺ بإسلامه وسُرّ به، فاعتبر داره بمثابة الحرم، كل من يدخله فهو آمن. وشهد بعض المعارك بعد ذلك إلى جانب الرسول ﷺ. كما اشترك في معارك الفتح الإِسلامي، فعمي في معركة اليرموك حيث كان يحارب تحت راية ابنه يزيد. وهو أبو معاوية مؤسس الدولة الأموية في الشام.

(٢) غيلان بن سلمة الثقفي، حكيم وشاعر جاهلي، أدرك الإِسلام وأسلم. وكان من وجوه بني ثقيف وممن وفد على كسرى. كان عنده عشر نسوة فأمره الرسول ﷺ أن يختار أربعاً منهن، فصار ذلك سنة.

يضرب فروع الشجر وهو يقول:

فلو رآني أبو غَيْلان إذ حسرت
عني الأمور إلى أمر له طبق

لقال رعب ورهب يَجمعان معاً
حب الحياة وهول الفضل والشفق

إما تَشَفٍّ على مجدٍ ومكرمةٍ
أو أسوة لك فيمن يُهلك الورق[1]

ثم قال: أنا صاحبكم. فخرج بالعِير. فلما قَدِم بلاد كسرى، وكان أبيض طويلاً جعداً، فتحلق ولبس ثوبين أصفرين وشهر أَمره. وقعد بباب كسرى حتى أُذن له فدخل، وبينهما شباك من ذهب. فقال له الترجمان: يقول لك الملك ما أدخلك بلادي بغير إذني؟ قال: لست من أهل عداوة لك، ولم آتك جاسوساً، وإنما حملت تجارةً، فإن أردتها فلَكَ، وإن كرهتها رددتها. قال: فإنه لَيتكلم إذ سمع صوت كسرى فخرَّ ساجداً. فقال الترجمان: يقول لك الملك: ما أسجدك؟ قال: سمعت صوتاً مرتفعاً حيث لا ترتفع الأصوات فظننته صوت الملك فسجدت. قال: فشكر له ذلك وأمر له بمرفقة[2] توضع تحته، فرأى عليها

(١) الورق: الحي من كل حيوان.
(٢) المرفقة: المخدة.

صورة فوضعها على رأسه. قال: فاستخفَّه عند نفسه وقال: إنما بعثنا بها إليك لتقعد عليها. قال: قد علمت، ولكني رأيت عليها صورة الملك فوضعتها على أكرم أعضائي. قال: ما طعامك في بلادك؟ قال: الخبز. قال: هذا عقل الخبز. ثم اشترى منه التجارة بأضعاف أثمانها، وبعث له من بنى له أطَماً[1] بالطائف، فكان أول أطَم بالطائف.

وعن ابن عيَّاش قال: كانت عاتكة[2] بنت يزيد بن معاوية ـ وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ـ تحت عبد الملك بن مروان. فغضبت عليه، فطلب رضاها بكل شيء فأبت. وكانت من أحب الناس إليه. فشكى ذلك إلى خاصته. فقال عمر بن بلال ـ رجل من بني أسد ـ: ما لي إن رضِيتَ؟ قال: حكمك. قال: فخرج فجلس في[3] بابها يبكي، فقالت له حاضنتها: ما لك أبا حفص؟ قال: العجب، فزعت إلى ابنة عمي، فاستأذني لي عليها، فأذنت له وبينها وبينه ستر. فقال: قد عرفتِ حالي عند أمير

---

(١) الأطم: الحصن وجمعها آطام.

(٢) عاتكة بنت يزيد بن معاوية، أم يزيد بن عبد الملك. تزوجها عبد الملك وأحبها حباً عظيماً. عرفت بالدهاء كجدها معاوية. وكانت ممن حدَّث بالشام.

(٣) في ب: «على».

المؤمنين معاوية، وأمير المؤمنين يزيد، وأمير المؤمنين مروان (وعند) أمير المؤمنين عبد الملك، ولم يكن لي غير ابنين، فعدا أحدهما على صاحبه فقتله، فقال أمير المؤمنين: أنا قاتل الآخر، قلت: أنا ولي الدم وقد عفوت. فقال: ما أحب أن أعوِّد رعيتي هذا، وهو قاتله بالغداة. فأنشدك الله (أن تشفعي لي). قالت: ما أكلمه. قال: ما أظنك تكسبين شيئاً أفضل من إحياء نفس. فلم يزل بها خدمها وحواضنها وحاشيتها حتى قالت: عليَّ بثيابي، فلبست. وكان بينها وبين عبد الملك باب، وكانت قد ردمته، فأمرت بفتحه، ثم أقبلت فدخلت. فأقبل حُديج الخصيّ يشتد[1] فقال: يا أمير المؤمنين، هذه عاتكة. قال: ويلك، أرأيتها؟ قال: نعم. قال: فبينا هما في حديثهما إذ طلعت وعبد الملك على سريره، فسلَّمت فسكت. فقالت: أما والله لولا مكان عمر بن بلال ما فعلت ولا أتيتك، اللَّهَ لئن عدا أحد بنيه على الآخر فقتله، وهو الولي وقد عفا لتقتلنه؟ قال: أي والله وهو راغم. قالت: أنشدك الله أن لا تفعل. فسكت، فدنت منه فأخذت بيده فأعرض، فأخذت برجله فقبلتها. فقال: هو لكِ، فتراضيا، قال: فراح عبد الملك فجلس مجلسه للخاصة فدخل عمر

---

(١) أقبل يشتد: أقبل مسرعاً في مشيه.

بن بلال فقال: أبا حفص، الحكم؟ قال: يا أمير المؤمنين ألف دينار ومزرعة بما فيها من الرقيق والآلة. قال: هي لك. قال وفرائض لولدي وأهل بيتي؟ قال: هي لك، فأنفذ ذلك كله.

حُكِيَ أن مُصعب بن الزبير قدم الكوفة ومعه الأحنف، فقال الناس: قدم الأحنف بأهل البصرة. قال: فجئنا ننظر وهو في المسجد الأعظم وقد احتبي بسيفه، ووضع مرفقه على ركبتيه ويده على خده، وقد أطاف به بنو تميم. فكلمهم الأحنف بشيء فقالوا: لا، فأطرق الأحنف ساعة ثم رفع رأسه إلى الناس وقال: إن بني تميم خيل ضعاف تأبى الشيء ثم ترجع بعده، فقالوا: نعم نعم.

وحُكِيَ عن الأصمعي[1] أنه قال: قال هِشام بن عُقْبة[2] شهدتُ الأحنف وقد جاء إلى مقبرة بني تميمٍ في

(١) الأصمعي: عبد الملك بن قريب الباهلي، من أهل البصرة. راوية العرب وأحد أئمة اللغة والشعر. كان كثير التطواف في البوادي يقتبس أخبار العرب ونوادرهم ويحفظ أشعارهم وكلامهم. وله عدة مؤلفات في اللغة والنوادر. توفي سنة ٢١٦هـ (وفيات الأعيان ٢: ٣٤٤ ـ ٣٤٩).

(٢) هشام بن عقبة العدوى: شاعر من أخوة ذي الرمة وكان أكبر منه، وهو الذي رباه.

دمٍ، فقال: احتكموا، قالوا: ديتين، قال: ذاك لكم. فلما سكتوا، قال: إني قائل قولاً لا أقوله راجعاً عما جعلت لكم، ولكن الله فضَّل دينه، والسلطان يأخذ دِيَةً، والعرب بينها تتعاطى دِيَةً، وأنتم اليوم طالبون، وأخشى أن تكونوا غداً مطلوبين، فلا ترضى منكم العرب إلاَّ بمثل ما سننتم، قالوا: فقد رددناها إلى دِيَةٍ. فحمد الله تعالى وقام. قال: وما جاء معه بأحد. فلما قام رأيت رداءه مشمراً عن قميصه، وقميصه مشمراً عن إزاره، وإزاره مشمراً عن كعبه.

حكى الهيثم عن ابن عياش قال: كان بين طلحة بن عبيد الله[1] والزبير ابن العوام[2] مدرة[3] في وادٍ بالمدينة

---

(١) طلحة بن عبيد الله القرشي، صحابي وأحد العشرة المبشرة بالجنة. ومن السابقين في الإسلام. كان من الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة بعده: وكان من دهاة قريش ومن علمائها. شهد أكثر الحروب مع الرسول ﷺ. واشتهر بالجود والتسامح. قتل يوم الجمل وكان يحارب علياً إلى جانب عائشة.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي صحابي وأحد العشرة المبشرة بالجنة. وهو ابن عمة الرسول ﷺ، وشهد أكثر الحروب إلى جانبه. كان من الذين رشحهم عمر بن الخطاب للخلافة بعده. وكان تاجراً غنياً. قتل يوم الجمل وكان يحارب مع عائشة.

(٣) المدرة: القرية.

يقال له قناة. وهو موضع قبور الشهداء، أعلاه لآل الزبير وأسفله لآل طلحة. فقالا: نجعل بيننا مَنْ ينظر في هذا الأمر، فجعلا عمرو بن العاص، أتياه فقالا له: إنا جعلناك بيننا حَكَماً في أمرٍ شَجَر، فاسمع واقضِ فيه برأيك. فقال: مرحباً بكما وأهلاً، وأنتما في فضلكما وقديم سابقتكما ونِعَم الله عليكما، وقد سمعتما من رسول الله ﷺ مثل ما سمعت، وحضرتما مثل ما حضرت، مَنْ اقتطع من أخيه شبراً من الأرض بغير حقه طوّقه الله من سبع أرضين[1].

والحَكَمُ أحوج إلى العدل من المحكوم عليه، وذلك أن

---

(١) ورد هذا الحديث في كتب الحديث الرئيسية بنصوص متباينة ولو أن معانيها واحدة. وأقربها إلى هذا النص ما ورد في «نيل الأوطار ٥: ٣١٧» وهو: «من اقتطع شيئاً من الأرض بغير حقه طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين». وجاء في: «الفتح الرباني ١٥: ١٤٥» ما يلي: «... عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال: أتتني أروى بنت أويس في نفر من قريش فيهم عبد الرحمن بن عمرو بن سهل، فقالت: إن سعيد بن زيد انتقص من أرضي إلى أرضه ما ليس له، وقد أحببت أن تأتوه فتكلموه. قال: فركبنا إليه وهو في أرضه بالعقيق، فلما رآنا قال: قد عرفت الذي جاء بكم وسأحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله يقول: من أخذ من الأرض ما ليس له طوّقه إلى السابعة من الأرض يوم القيامة».

الحَكَمَ إذا جارَ زرى دينه[1]، والمحكوم عليه إذا جِير عليه زرى عَرَضَ الدنيا. فأدليا حجتكما وإن شئتما فأصلحا أمركما. فاصطلحا وأعطى كل واحد منهما صاحبه الرضى.

حَكى المدائني قال: تنافر[2] عامر بن الطفيل[3] وعَلْقَمة[4] إلى هَرِم ابن قُطْبَة الفَزاري[5]. فضرب لهما القباب ونحر لهما الجُزُر. فلما أمسى أتى عامراً فقال: يا عامر، أَرجوتَ أن أنفِّرك على علقمة وهو أبو عشرة

---

(١) زرى بالأمر: عابه ووضع من شأنه.

(٢) تنافر: المنافرة في الجاهلية، أن يحتكم المتفاخرون إلى من يفاضل بينهم ويحكم لأفضلهم.

(٣) عامر بن الطفيل بن جعفر العامري، كان فارس قومه وأحد فتاك العرب في الجاهلية، وكان شاعراً كريماً وفارساً جريئاً، وهو ابن عم لبيد الشاعر. أدرك الإسلام ووفد إلى المدينة ولكنه لم يسلم.

(٤) علقمة بن عُلاثة بن عوف من الصحابة من بني عامر، كان من أشراف قومه في الجاهلية وقد وفد على قيصر، أسلم ثم ارتد في زمن أبي بكر، ثم عاد إلى الإسلام في عهد عمر بن الخطاب فولاه حوران. كان جواداً كريماً.

(٥) هرم بن قطبة بن سيّار الفزاري، من قضاة العرب في الجاهلية كان يحتكم إليه المتنافرون. وكان خطيباً بليغاً، أدرك الإسلام وأسلم وعاش حتى أيام عمر بن الخطاب.

وأخـو عشرة وعم عشـرة، وجدّه الأحـوص سيد بني عـامـر؟ وعدَّ مناقبه، ثم دخل على علقمـة فقال: يـا علقمة أرجـوتَ أن أنفِّـرك على عامـر وهو أفـرس العـرب وأشهـرهـا؟ وعَـدَّ منـاقبه. فلمـا أصبح دعـا بهما فقـال: أنتما عنـدي كركبتي البعير[1]، قالا: فأيهما اليمنى؟ قـال: كلتاهمـا يمنى. فلما قامٍ عمر بن الخـطاب رضي الله عنه قـال: يا هَـرِمُ، لو كنت منفِّـراً مَنْ كنت تنفِّـر؟ قـال: يـا أميـر المؤمنين إليَّ تخـطب عقلي، ولـو قلت ذاك اليوم دخلت عليهمـا قبـورهمـا. قـال عمر: مثلك فليستودع القوم أحسابهم.



---

(١) يقال هما كركبتي البعير، مثل يضرب للاثنين يستبقان فيستويان، ومثله قـولهم: هما كفـرسي رهان. (مجمـع الأمثال ٢ : ٣٩١ ـ ٣٩٢).

الباب العاشر
في التَّضريبِ[1] والإغراء

حُكيَ أن بني قُرَيْظَة كان لهم حصن بقرب المدينة، وكانوا يهوداً. فلما غزت الأحزاب[2]، وهم قريش وكنانة وغَطَفان، رسول الله ﷺ، خندق النبي ﷺ خندقاً على المدينة. وأرسلت الأحزاب إلى بني قريظة على أن يعينوهم

---

(١) التضريب: الاستفزاز والتهييج.

(٢) غزوة الأحزاب: تحالف يهود المدينة من بني النضير مع قريش وغطفان على محاربة الرسول ﷺ، ونقضت بنو قريظة عهدها مع الرسول وانضمت إلى أعدائه. وكان قائد قريش أبو سفيان بن حرب. وكان الرسول ﷺ أمر بحفر خندق حول المدينة بإشارة من سلمان الفارسي، فحاصرت جيوش المشركين المدينة. واستمر الحصار قرابة الشهر، اقتصرت الحرب فيه على المناوشات البسيطة وبعض المبارزات. وانتهت الحملة بفشل المشركين وانصرافهم خائبين لم ينالوا شيئاً. راجع: تاريخ الأمم الإسلامية ١: ١٧٧ ـ ١٨٥.

على رسول الله ﷺ. قال نُعَيْم بن مسعود الثقفي[1]: كانت قريظة أهل شرف وأموال، وكنا عرباً لا نخل لنا ولا حرم[2] وإنما نحن أهل شاءٍ وبعير. فكنت أقدم على كعب بن أسد من بني قريظة، وأقيم عندهم الأيام وأشرب من شرابهم وآكل من طعامهم، ويحملونني تمراً على ركابي ما كانت، فأرجع إلى أهلي. فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ بيثرب، سرت مع قومي وأنا على ديني، وكان رسول الله ﷺ بي عارفاً. فأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدب الجناب وهلك الخف والكراع. وأدخل[3] الله سبحانه وتعالى في قلبي الإسلام، وكتمت عن قومي إسلامي. فأخرج حتى آتي رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء فأجده يصلي، فلما رآني جلس ثم قال: ما جاء بك يا نُعيم؟ قلت: إني جئت أصدقك، وأشهد أن لا إلّه إلّا الله وأن ما جئت به حق، فمُرْني بما شئت يا رسول الله،

---

(١) نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي، كان من دهاة العرب، أسلم وكتم إسلامه عن قومه. ولعب دوراً مهماً في تفريق كلمة الأحزاب المجتمعة لحرب المسلمين.

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصحيح «لا نخل لنا ولا جُرْم» والجرم قطف ثمر النخل.

(٣) في ب: «وقذف».

فوالله لا تأمرني بأمرٍ إلاَّ مضيت له. وقومي لا يعلمون بإسلامي ولا غيرهم.

قال عليه السلام: ما استطعت أن تُخَذِّل فافعل[1].

قال، قلت: أفعل ولكن يا رسول الله أقول؟ فأَذن لي، قال: قل ما بدا لك وأنت في حلٍّ. قال: فذهبت حتى أتيت بني قريظة، فلما رأوني حيوا وأكرموا وعرضوا عليَّ الطعام والشراب. قلت: إني لم آت لشيء من هذا إنما جئتكم نصباً[2] بأمركم وتخوفاً عليكم، لأشير عليكم برأي. وقد عرفتم ودّي إياكم وخاصية ما بيني وبينكم. قالوا: قد عرفنا ذلك، وأنت عندنا على ما تحب من الصدق والبر. قلت: فاكتموا عليَّ. قالوا: نعم. قلت: أمر هذا الرجل بلاء، أعني النبي ﷺ، صنع ما قد رأيتم، ببني قينقاع وبني النضير قوم من اليهود، وأجلاهم عن بلادهم بعد قبض الأموال. وكان ابن أبي الحقيق[3]، يعني رجلاً من اليهود،

---

(١) روى ابن ماجه عن عائشة قالت: إن نعيم بن مسعود قال: يا نبي الله، إني قد أسلمت ولم أُعلم قومي بإسلامي، فمرني بما شئت. فقال: إنما أنت فينا كرجل واحد، فخادع إن شئت، فإنما الحرب خدعة. فتح القدير ٢ : ٤١١.

(٢) كذا في الأصل، ولعلها «سعياً بأمركم» أي اهتماماً به.

(٣) هو سلام بن أبي الحقيق من يهود بني النضير وأحد سادتهم.

قد ساد فينا واجتمعنا معـه لنصركم. وأرى الأمـر قد تـطاول كما ترون، وإنكم والله مـا أنتم وغطفـان سواء. أولئـك قوم جـاءوا سيَّارة حتى نـزلـوا حيث رأيتم، إن رأوا فـرصـة انتهزوها، وإن كانت الحرب أو أصابهم ما يكـرهون، مـرُّوا إلى بلادهم، وأنتم قوم لا تقـدرون على ذلك. البلد بلدكم وفيـه أبناؤكم ونسـاؤكم وأموالكم. وقـد غلظ عليهم جـانب محمـد ﷺ، أجلبوا[1] عليهم أمسِ إلى الليـل فقُتل رأسهم عمـرو بن ودّ وهـربـوا هـربـاً. وهم لا غنًى بهم عنكم لِمَـا يعـرفون عنـدكم. فلا تقـاتلوا مـع قـريش ولا غـطفـان حتى (تـأخـذوا منهم رهنـاً من سـاداتهم تستـوثقـون بـه منهم، لا يبـرحون) حتى ينـاجزوا محمـداً. قالـوا: أشرت بـالـرأي علينـا والنصح. ودعـوا لي وشكروا، وقـالوا: نحن فـاعلون (ذلك)، قال: ولكن اكتموا عليَّ، قالوا: نفعل.

ثم أخرج حتى آتي أبا سفيان بن حرب في رجـال من قريش، فقلت: يا أبا سفيان قد جئتك بنصيحة فاكتم عليَّ، قـال: أفعل، قلت: تعلم أن بني قـريـظة قـد أقـدمـوا على مـا فعلوا بينهم وبين محمـد ﷺ، وقـد أرادوا استصـلاحـه ومراجعته. فأرسلوا إليه وأنا عندهم: إنـا سنأخـذ من قريش

---

(١) أجلب القـوم: ضجـوا واختلطت أصـواتهم، وأجلبـوا عليهم: هجموا عليهم.

وغطفان من أشرافهم سبعين رجلاً نسلمهم إليك تضرب أعناقهم، وتردّ جناحنا الذي كسرته إلى ديارهم، يعنون بني النضير، ونكون معك على قريش حتى نردهم عنك. فإن بعثوا إليكم يسألونكم رهناً فلا تدفعوا إليهم، واحذروا على أشرافكم. ولكن اكتموا عليَّ ولا تذكروا من هذا حرفاً، قالوا: لا نذكره.

ثم خرجت حتى صرت إلى غطفان، فقلت: يا معشر غطفان، قد عرفتم أني رجل منكم فاكتموا عليَّ، واعلموا أن بني قريظة بعثوا إلى محمد ﷺ، وقلت لهم مثل ما قلت لقريش، فاحذروا أن تدفعوا إليهم أحداً من رجالكم. وأرسلت يهود قريظة رجلاً منهم يقال له عِراك بن سِماك إلى أبي سفيان بن حرب وأشراف قريش: إن ثواكم[1] قد طال ولم تصنعوا شيئاً، وليس الذي تصنعون برأي. إنكم لو وعدتمونا يوماً تزحفون إلى محمد ﷺ، فتأتون من وجه وتأتي غطفان من وجه، ونخرج نحن من وجه آخر لم يفلت من بعضنا. ولكن لا نخرج معكم حتى ترسلوا إلينا برهائن من أشرافكم يكونون عندنا، فإنا نخاف إن مسَّتكم الحرب أو أصابكم ما تكرهون تشمرتم[2] وتركتمونا في عقر دارنا،

---

(١) الثوى: المقام.

(٢) أي أسرعتم في الهرب.

وقـد نابـذنا محمـداً ﷺ بالعـداوة. وانصـرف الـرسـول إلى بني قريظة ولم يـرجعوا إليهم شيئـاً. وقال أبـو سفيان: هـذا ما قال نُعيم.

فخرجتُ إلى بني قريظة فقلت: يا معشر بني قريظة، أَنـا عنـد أبـي سفيـان حين جـاء رسـولكم إليـه يـطلب منـه الرهائن فلم يـرد عليه شيئـاً. فلما ولّى قـال: لو طلبـوا مني عقـالاً[1] مـا أرهنتـه إيـاهم، فـأنـا أرهنهم سـراة أصحـابـي يدفعونهم إلى محمد ﷺ يقتلهم. قرّوا رأيكم ولا تقاتلوا مع أبـي سفيان وأصحابـه، حتى تأخـذوا منه الـرهن، فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً ﷺ وانصرف أبو سفيان بن حرب، تكـونوا مـع محمد ﷺ على مـوادعتكم الأولى، قالـوا: نرجـو ذلك يـا نُعيم، قلت: نعم. قال كعب: فـإنا لا نقـاتله والله أبداً، والله لقـد كنت لهذا كـارهاً، ولكن حُيَي بن أخـطب رجـل مشؤوم. قـال الزبيـر بن باطـا: إن انكشفت قريش وغـطفان عن محمد ﷺ لم يقبل منهـم إلاَّ السيف، قـال نُعيم: قلت: لا تخشين ذلك يا أبـا عبد الـرحمن. قال الـزبير: بلىٰ ورب التـوراة، ولو أصـابت اليهود رأيهـا وقد لحم الأمـر لتخرجن إلى محمد ﷺ، فلا تطلبوا من قـريش رهناً فـإنها لا تعـطينا

(١) العقال: الحبل الذي تربط به الإبل.

رهنـاً أبداً، وعـلامَ تعطينـا رهناً وعـددهم أكثر من عـددنـا، ومعهم كـراع ولا كـراع معنـا، وهم يقـدرون على الهـرب ونحن لا نقدر عليه. وهذه غطفان تطلب إلى محمد ﷺ (أن يعـطيهـا بعض تمـر الأوس والخـزرج وتنصـرف، فـأبَـى محمد ﷺ) إلّا السيف[1]، وهم ينصرفون بغير شيء.

فلما كانت ليلة السبت، كـان مما صنـع الله عز وجـل لنبيه عليه السـلام أن قال أبـو سفيان: يـا معشر قـريش، إن الجنـاب قد أجـدب وهلك الكراع والخف، وغـدرت يهـود وكذبت، وليس هذا بخير مقام، فـانصرفـوا. قالت قـريش: فاعلم يهود واستكشف خبرهم. فبعثوا عكرمة بن أبـي جهل حتى أتى بني قريظة عند غروب الشمس مساء ليلة السبت، فقـال: يا معشـر بني قريـظة، قد طـال اللبث وجهـد الخف والكـراع وأجدب الجنـاب، ولسنا بـدار مقام. اخـرجوا إلى

---

(١) عندما اشتد الحصار على المـدينة حـاول الرسـول ﷺ أن يفرق كلمـة الأحزاب. فبعث إلى زعيمي غـطفـان، عيينـة بن حصين والحارث بن عوف يفاوضهما على ثلث ثمـار المدينـة، على أن يرجعا بمن معهما عن حرب المسلمين، فـوافقا على ذلـك. إلاَّ أن بعض أصحاب الرسول رفضوا ذلك وقالوا: ليس لهم عندنـا إلاَّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فأخـذ برأيهم. (الـطبري طبعة م، ٢: ٥٧٢ ــ ٥٧٣).

هذا الرجل حتى نناجزه بالغداة. قالت اليهود: إنَّ غداً يوم السبت ونحن لا نعمل فيه شيئاً، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم أبداً إذا انقضى سبتنا حتى تعطونا الرهائن من رجالكم يكونون معنا بأن لا تبرحوا حتى نناجز محمداً ﷺ. فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تتشمروا إلى بلادكم وتَدَعونا وإيَّاه ولا طاقة لنا به.

فرجع عكرمة إلى أبي سفيان فأخبره بما ردَّت يهود. فقال أبو سفيان: أحلف بالله إنَّ الخبر هو الذي جاء به نُعيم. فكرر أبو سفيان وغطفان الرسل إلى يهود، فردَّت عليهم يهود كالمرَّة الأولى. وقالت لمَّا كثر ترداد الرسل إلى يهود: نحلف بالله إن الخبر كما قال نُعيم. فانصرفت الأحزاب عن رسول الله ﷺ. وغزا يهود بني قريظة[1]. وكان نُعيم يقول: أنا أمين رسول الله ﷺ على سرِّه، وأنا فرَّقت الأحزاب عنه[2].

وحُكيَ أنه كان للمتوكل على الله ولأحمد أخيه معلم

---

(١) على إثر انسحاب قريش وحلفائها، أمر الرسول ﷺ أتباعه بالمسير إلى بني قريظة، فحاصرهم حتى فتح حصنهم وشتَّتهم فأمن جانبهم.

(٢) راجع عن دور نعيم بن مسعود في غزوة الأحزاب: الطبري طبعة: م ٢: ٥٧٨ ــ ٥٧٩.

يُقال له إسماعيل بن غيث. فلما ولي المتوكل الخلافة انضم إسماعيل المؤدب إلى أحمد بن المعتصم، فغلب على قهرمته وأمر قصره، فخانه خيانة فاحشة. فأسند أحمد أمره إلى يعقوب بن إسحاق الكندي المنجم(١)، فنصحه وكشف عن خيانات إسماعيل. فكتب إسماعيل المؤدب إلى المتوكل رقعة يخبره فيها، أن يعقوب بن إسحاق الكندي يقول لأحمد بن المعتصم، إنه يرى له في النجوم أنه يملك الأمر بعد أخيه، وأن بيعة ولاة العهود لا تتم. ثم جاء إسماعيل بالرقعة إلى محمد بن موسى المنجم(٢) فدفعها

---

(١) أبو يوسف، فيلسوف العرب والإسلام في عصره. نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد وبها تعلم. واشتهر بالطب والفلسفة والفلك والهندسة والموسيقى. وألف وترجم وشرح كتباً كثيرة. وقد أصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة وإكراماً بالغاً. إلَّا أنه لقي بعض المتاعب في زمن المتوكل، إذ ضرب وأخذت كتبه بتأثير الوشاة ثم ما لبث أن نال العفو، فردت إليه كتبه. توفي سنة ٢٦٠هـ.

(٢) هو أحد الإخوة الثلاثة الذين اشتهروا باسم «بني موسى» وإليهم تنسب حيل الميكانيك، وكان عالماً بالهندسة والموسيقى والفلك، وكان مقرباً من المأمون والخلفاء من بعده، يرجعون إليه فيما يستعصى عليهم من آراء الحكماء المتقدمين. وقد استعان المأمون بالإخوة الثلاثة في التثبت من مقدار محيط الكرة الأرضية، فقام الإخوة بقياس ذلك وتحقق لهم صحة قول

إليـه، وكان بينـه وبين الكندي مبـاعـدة. فـأوصـل الـرقعـة محمد بن موسى إلى المتوكل على الله. فغضب على أخيـه أحمد، ووكَّل بمنزله قصر الجص، وأمر بالكندي أن يُحبس في أضيق الحبوس، ووكَّل بضياع أحمد.

ولم يعلم أحمد من أين أُتيَ. وكان المتـوكل وأحمـد ولدا في سنة سبع ومائتين، وكانت أم المتوكل[1] ترأف على أحمد لأنها أرضعته. وكلمت المتوكل في أحمد وقـالت له: غضبت على أخيـك لشبهة لم تصـح عنـدك. قـال لهـا: إن الـرافع عليـه مؤدّبنا إسمـاعيل بن غيث، وهـو ثقـة عنـدي. فوجهت أم المتوكل إلى أحمد تُعلمه ذلك، وتأمره أن يـدعو إسمـاعيل فيـردَّه إلى ما كـان عليـه من أمـره ويصله ويـرفـع قــدره. ثم يقـول لــه: بلغني أنـك رفعت رقعــةً عليَّ إلى السلطان، فإنه سيجحد ذلك. فخذ رقعة بخطه أنه لم يـرفع عليك شيئاً، وأن كل ما قيل عنه في رقعته فباطـل، وليجعل

القدماء من أن محيط الأرض أربعـة وعشرون ألف ميـل، وذلك بعـد أن ثبت لهم أن كل درجـة من درجـات الفلك يقـابلهـا من سطح الأرض ستة وستون ميلاً وثلثا الميل. راجـع عن الطريقـة التي اتبعوها: وفيات الأعيان ٤: ٢٤٨ ــ ٢٤٩.

(١) وهي أم ولد خوارزمية، يقال لها شجاع.

في رقعته يميناً بالله وبحياة أمير المؤمنين، ثم انفذ الرقعة إليَّ.

فتعطَّف أحمد بن المعتصم لإسماعيل بن غيث حتى أخذ رقعته بذلك، وأنفذها إلى أم أمير المؤمنين، فدفعتها إلى ابنها وقالت له: هذا خط إسماعيل ينكر ما رفع على أخيك، وإنما كان سببه أنه استكفاه فخانه فكشف خيانته. فلما قرأ المتوكل رقعة إسماعيل استشاط غضباً عليه، ثم قال: يرفع إليَّ على أخي ما يوجب قتله، ثم يكتب رقعة يجحد ذلك وأنا أعرف خطه. فرضي عن أحمد أخيه وأقطعه غلة عشرة آلاف دينار، وأخرج الكندي من حبسه. وأمر بإسماعيل فصُيِّر في ذلك الحبس، فمكث فيه حتى هلك.

وحُكيَ أن كلثوم بن مرة العجيلي، كان يحارب ابن أخيه دُلف بن عياض بن عاصم، فبقي كلثوم مشرداً عن الدِّينَوَر[1] زماناً طويلاً. فشاور بعض نصحائه، فقال له ناصحه: دُلَف رجل مستقر في مدينته الدينور، وأموالها تُجبىٰ إليه، وأنت مُشرَّد في صعاليك يصحبونك على

---

(١) الدينور: مدينة في منطقة الجبال في بلاد فارس قرب مدينة همذان.

الغارة على الناس ولا يناصحونك في حرب. وعندي لك ولدُلَف مثلٌ. قال كلثوم: وما هو؟ قال: ذُكر في كتاب كليلة ودمنة، أن غراباً كان يُفرِّخ في شجرة وكان تحتها جحر لحيَّة عظيمة، وكان الغراب كلما أفرخ فشوَّكت فراخه، طلبت الحية غِرَّةً منه ثم انسابت إلى فراخه فأكلتها، فشقَّ ذلك عليه، وهمَّ بمحاربتها. فقال له غراب كان يوده: إن الذي عزمت عليه من محاربة الحيَّة خطأ، لأنها أعظمُ منك جسماً وأحدُّ ناباً، وإنها إن التفَّت عليك قتلتك. قال: فما الحيلة؟ قال: إنَّ بقربك جحراً لدلق[1] عظيم وطبعه عداوة الحيَّة. وقد كان يقال عدوُّ عدوِّك صديقُك. فاحتمل قطعاً من لحم وخبز، فانظمها من جحر الدلق إلى جحر الحيَّة، فإن الدلق يأكل ما نظمت له أولاً فأولاً حتى يقف على باب جحر الحيَّة. فيتردد يطلب ما عوَّدته، ولا تقطعه عنه. فإنه متى ما ظفر بالحيَّة قاتلها وأكلها فاستغنيت وسلمت. ففعل الغراب ذلك بالدلق. فأكل الدلق ما نظم له الغراب حتى بلغ جحر الحيَّة فلم يزل يتردد إلى جحرها حتى صارت الحيَّة خارج جحرها، فنشبت الحرب بينهما والغراب ينظر،

---

(١) الدلق: حيوان وحشي يقرب من السنور في حجمه، أصفر اللون وفي بطنه وعنقه بياض.

حتى قتلها الدلق وأكلها[1].

لكني أرى لك أن تصير إلى يعقوب بن الليث الصفَّار[2] فتغريه بالجبل، وتجتهد أن تقع بين أصحابه وبين أصحاب دلف حرب، فيكفيك يعقوب مؤونته. ففعل كلثوم

---

(١) لم ترد هذه الحكاية بهذا الشكل في كتاب كليلة ودمنة. فقد راجعنا طبعة دار المعارف من الكتاب المذكور، وهي أصح وأكمل طبعة بالعربية على ما نعلم، فلم نجد هذه الحكاية بنصها الوارد هنا. وفي الطبعة المشار إليها حكايتان تشبهان هذه، إحداهما «حكاية الغراب والأسوَد» ص ٦٣ ــ ٦٦، والأخرى «حكاية العلجوم والأسود وابن عرس» ص ٩٢ ــ ٩٣. على أن عدم وجود هذه الحكاية بنصها هذا في الطبعة المشار إليها من كتاب كليلة ودمنة، لا تدل على أنها لم ترد في هذا الكتاب المذكور. إذ ربما كان مؤلف كتابنا هذا قد اطلع عليها في إحدى النسخ المتيسرة من الكتاب في عهده، ولم يُعثر عليها بعد.

(٢) هو مؤسس الدولة الصفارية. كان في صغره صفاراً، وقد تطوع لقتال الخوارج، وما لبث أن جمع بعض المغامرين حوله فاشتدت شوكته فتغلب على سجستان وهراة ثم أوغل في تركستان، واستولى على فارس. وقد توجه على رأس جيشه إلى بغداد للاستيلاء عليها وإخضاع الخليفة المعتمد على الله، فقاتله الجيش العباسي ورده، فعاد إلى فارس ومات في جنديسابور سنة ٢٦٥هـ. (وفيات الأعيان ٥: ٤٤٤ ــ ٤٧٦).

ذلك. فوجَّه يعقوب بن الليث (أحمد بن عبد العزيز) وعزيز بن عبد الله إلى الجبل، فهرب منهما دلف بن عياض. ثم لم يطل ذلك حتى عاد الأمر إلى دلف بتشريد أحمد بن عبد العزيز وعزيز بن عبد الله عن الجبل[1].

وحُكِيَ أن حُجراً أبا امرىء القيس الكندي، لما حارب بني أسد وحاربت معهم تميم والرباب، قتلت بنو أسد حُجراً. فشخص امرىء القيس بن حُجر إلى ملك الروم يستجيشه[2] على بني أسد. وخرج معه الطماح القيسي[3]. فلما ورد امرؤ القيس على ملك الروم أكرمه وعظَّمه وأجابه إلى ما سأل من النجدة. فكره ذلك الطمَّاح لِما خاف على بني أسد من البوار، وتعصب للمضرية، وخاف أن تعلو كندة على مضر ثانية. وكان امرؤ القيس رجلاً جميلاً بهيًّا، فدسَّ الطمَّاح على لسان امرىء القيس إلى بنت ملك الروم يراسلها ويغازلها، فنظرت ابنة ملك الروم إلى امرىء القيس (فأعجبها جماله وهيبته ولبسته

---

(١) الجملة في الأصل مرتبكة وقد صححناها بهذا الشكل استناداً إلى القسم الأول من الفقرة.

(٢) يستجيشه: يحرضه على المعاونة، ويستجيش الجيش يجمعه.

(٣) الطماح القيسي: من وجوه بني أسد وكان امرؤ القيس قد قتل خاله.

فعشقتـه، وكانت تبعث إليـه) بألـطاف[1] من طيب وجـوهـر وغير ذلك. فيحبسها الطمّاح ويجيب عنه. ويوهمها أن امـرأ القيس لا يحب أن يظهر نفسـه وأن الطمّـاح واسطة بينهمـا. حتى إذا شخص امــرؤ القيس عن ملك الــروم بكتبــه إلى جنده بالشـام في إنجاد امـرىء القيس، تخلّف الطمّـاح عن امرىء القيس متمارضاً.

ثم دخل إلى ملك الروم فقال له: إن هذا العربـي قد فعل فعلاً يجب به قتله. فإن أمنني الملك خبّرته بغشـه له، فأمّنه الملك على نفسـه، فأخـرج إليه مـا كانت ابنـة الملك تهـدي إلى امـرىء القيس. فلمـا رأى ذلـك الملك صــدّق الخبـر وقرر ابنتـه فقتلها. ووجّـه خلف امرىء القيس بخلع مسمومة، وأمر رسوله أن يُلبسها امرأ القيس. فلحقه الرسول بـأنقرة فـألبسه الخِلَع على جلده، وسقـاه الخمر حتى سكـر فبات في الخِلَع، ثم أفاق وقـد دبَّ السم في بدنـه[2] فقرَّح جلده وتسـاقط لحمه، فمـات هناك. وهـو الـذي يقـول في مرضه:

---

(١) الألطاف: مفردها لطفة وهي الهدية.

(٢) في أ و ب: «يديه» والسياق يقتضي ما أثبتنا.

لقــد طمح الـطمَّاح من بُعــدِ أرضــه
لـيـلبسـني مـن دائـه مـا تـلبسـا[1]

فــلو أنــهـا نــفس تــمـوت سـويَّـةً
ولــكـنــهــا نـفس تـســاقط أنـفـسـا

وكـانت كندة ملوك اليمن[2]، فلم يقم لهـا بعد مـوت امرىء القيس قائمة بنجد، حتى لحقت بأرض اليمن[3].

وحُكِيَ أن الأفشين[4] لمَّـا انصرف مـع أمير المؤمنين

---

(١) وفي بعض الروايات: «ليلبسني مما يلبِّس أبؤساً».

(٢) يقصد القبائل اليمانية.

(٣) لم يعرف تاريخاً أن قبائل كندة عادت ثانية إلى اليمن.
راجع لـزيـادة التفصيـلات: أيـام العـرب في الجـاهليـة ص ١١٢ ــ ١٢٣.

(٤) هـو حيدر بن كـاوس، تـركي الأصـل من بـلاد مـا وراء النهـر، والأفشين لقب يـطلق على ملوكهم. عمل في حـاشية المعتصم عندما كـان هذا واليـاً لأخيه المـأمون على مصـر والشام. ولمـا استخلف المعتصم جعل الأفشين في مقدمـة قواده، وقـد وجهه لحرب بابك الخُرَّمي فحاربه مدة طويلة حتى ظفر به. كما أبلى بلاء حسناً في حرب الروم عنـدما غـزا المعتصم عموريـة، مما جعل له مركزاً خطيراً في الجيش. وما ذكره المؤلف هنا لم يكن نتيجة الوشاية والحسد وحدهما، إذ لا يستبعد أن يكـون المركـز الذي وصله الأفشين حفزه على الوثوب بـالدولـة العباسيـة. وقد =

المعتصم بالله بعد غزوة عمورية[1] إلى سُرَّ من رأى، تقدمت حال الأفشين عند المعتصم وأكرمه غاية الإكرام لحمده ما كان من بلائه وحسن أَثره في بابك وفي ملوك الروم. فاستخفَّ بأحمد بن أبي دؤاد[2] ومحمد بن

= ثبت للمعتصم أن الأفشين قد كاتب بعض الرؤساء والدهاقين في بلاد فارس مثل «مازيار» دهقان طبرستان، ولذا أمر بمحاكمته. وقد تولّى المحاكمة القاضي أحمد بن أبي دؤاد، فأمر بحبسه حتى مات.

راجع التفصيلات: في الطبري ١٠: ٣٦٢ ــ ٣٦٧، وخلاصتها في تاريخ الأمم الإسلامية ٣: ٢٦٥ ــ ٢٦٨.

(١) عمورية من أمنع مدن الروم وأكثرها حصانة، وقد غزاها المعتصم بجيش كبير وافتتحها عنوة وغنم منها مغانم كثيرة. وكان سبب غزوها أن الروم أخذوا يهاجمون الثغور الإسلامية مغتنمين فرصة انشغال الجيوش العباسية في حرب بابك، واستولوا على قسم منها، فقتلوا رجالها وسبوا نساءها فثقل ذلك على المعتصم فغزا غزوته المظفرة هذه.

(٢) أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي، أحد القضاة المشهورين ومن رؤساء المعتزلة، وكان على رأس المحنة بالقول بخلق القرآن في عهد المأمون، وهو الذي امتحن الإمام أحمد بن حنبل بذلك. وقد عرف بالفصاحة وقوة الحجة والدهاء. وأعجب به المأمون كثيراً فقربه إليه واتخذه مستشاراً له، ولما دنت وفاته قال لأخيه المعتصم في وصيته له: «أما أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك وأشركه في المشورة في كل أمرك =

عبـد الملك[1]. فأعمـلا الفكر في أمـره، فلم يريـا شيئاً في

= فإنه موضع لذلك». فاختص به المعتصم وجعله قـاضي قضاتـه ومستشاره الخاص، حتى كان لا يفعل فعلاً باطنـاً ولا ظاهـراً إلاّ برأيه. وعاش حتى عهد المتوكل فأصيب بالفالج.

(١) المعروف بابن الـزيات، نشـأ ببغداد ونـال حظاً وافـراً من العلم والأدب، وعمل أول أمره كاتباً في الديوان. وكان أديباً شـاعراً. استـوزره المعتصم لِمَا رأى من علمـه وأدبه فقـام بالـوزارة خيـر قيـام. ولاستيزاره قصـة لهـا دلالتهـا. يقـال إن كتـابـاً ورد على المعتصم من أحد ولاته، فقرأه وزيره أحمد بن عمار الخراساني عليه، وكان في الكتاب ذكر الكلأ، فقال المعتصم: مـا الكلأ؟ فقـال الـوزيـر: لا أدري. قـال المعتصم: خليفـة أميّ ووزيـر عـاميّ، وكـان المعتصم ضعيف القـراءة والكتـابـة، ثم قـال: ابصـروا من في البـاب من الكتّـاب. فـوجـدوا محمـد بن عبـد الملك الزيـات فأدخلوه إليـه. فقال لـه: ما الكـلأ؟ قـال: الكـلأ العشب على الإطلاق، فـإن كان رطبـاً فهو الخـلا، فإذا يبس فهـو الحشيش. وشـرع في تقسيم أنـواع النبـات. فعـرف المعتصم فضله واستوزره.

وكان ابن الزيات شديداً في معاملة العمـال ومحاسبتهم. واستوزره من بعد المعتصم ابنه الواثق. ونقم عليه المتوكل لأنه اجتهد في تولية الواثق بعد المعتصم بدلاً منه، فنكل بـه وسجنه ومـات في سجنه سنـة ٢٣٣هـ. ويقـال إنـه أحـرقـه في التنـور الحـديد الـذي كـان ابن الـزيـات اتخـذه لتعـذيب المصـادرين والمطلوبين بالأموال (وفيات الأعيان ٤: ١٨٧).

كيده أبلغ من إيحاشه من المعتصم بالله. وكان (محمد بن إبراهيم، أخو إسحاق بن إبراهيم الطاهري، صديقاً ونديماً للأفشين، وكانت بينه وبين) محمد بن عبد الملك مؤانسة. فاستمال محمد بن عبد الملك، محمد بن إبراهيم ووعده أن يوليه فارس والأهواز، ويرفع عند السلطان قدره، على أن يلطف لإيحاش الأفشين من المعتصم بالله. وقال له: أوحش الأفشين من صاحبه فإنّا نوحش صاحبه منه، فدخل محمد بن إبراهيم على الأفشين يوماً فرآه الأفشين كئيباً (متغيراً) فسأله عن شأنه، فكتمه، فعزم عليه الأفشين. فقال محمد بن إبراهيم: أنا في حال ضيقة، إن بحت بما في نفسي خنت سلطاني، وإن أمسكت خنت صديقي.

فلم يزل الأفشين يُنقِّر[1] محمداً حتى قال له محمد: فاحلف أنك لا تبدي شيئاً مما ألقيه إليك. فحلف له بأوكد الأيمان. فقال محمد بن إبراهيم: إن أمير المؤمنين قد تغيَّر لك وأخذ في التدبير عليك. قال الأفشين: هذا باطل لأني على عظيم البركة قد فتحت له الفتوح الجليلة، ولم يظهر له مني سوء. قال محمد بن إبراهيم: قد بحت بما في نفسي وستعلم ذلك عن قليل، وحلف له على ما قال. فاغتم الأفشين وكثر نكده وساء ظنه. فدخل بعد ذلك على

---

(١) ينقره: يراجعه في الكلام، أي يؤكد عليه.

المعتصم بالله فوافق من المعتصم ضجراً ببعض أموره، وغيظاً على أحد خدمه، ورآه متغيِّر البِشْر عابس الوجه، فظنَّ الأفشين أن الذي رأى من المعتصم هو ما قال محمد بن إبراهيم، وتحقق قوله. فحذر على نفسه، فتحرز في منزله واحتفظ بأبوابه. فبلغ المعتصم بالله فعله فأنكره. فقال له ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، أنت منا بمنزلة الروح من البدن، وهذه الأعاجم تدخل عليك وأنت متفضل[1] في ثوبك، وفي أيديها العُمدُ ومعها السيوف والخناجر. فقال المعتصم: لا تخف فأنا أهيب للخلافة مما تظن، ولا تُعد في هذا شيئاً.

ونفر قلب المعتصم من الأفشين، فلم تزل الوحشة تنشأ بينهما حتى تفاقمت. فكتب الأفشين إلى منكجور[2]

---

(١) تفضل: لبس الفضال وهو الثوب الذي يلبس في البيت.

(٢) المعروف أن الأفشين كاتب المازيار دهقان طبرستان وشجعه على إظهار الخلاف على عبد الله بن طاهر أمير خراسان، فتحصن بالجبال غير أن جيوش ابن طاهر استطاعت إخماد ثورته والقبض عليه. إلَّا أن الخليفة المعتصم كان يتهم الأفشين بأمر منكجور عندما خرج في أذربيجان، لأنه من أقارب الأفشين وكان الأفشين عينه عاملاً على أذربيجان. وقد جرد المعتصم حملة أعادت أذربيجان وأسرت منكجور فجيء به إلى سامراء فأمر الخليفة بحبسه.

خليفته بأذربيجان كتباً في التدبير على السلطان. فوقعت الكتب إلى المعتصم. فقتل المعتصم الأفشين. وذُكر أنه لم يختتن ولم يكن على الإسلام.

قيل لما خرج من خرج من الأوس[1] إلى مكة ليحالفوا قريشاً على الخروج، فحالفتهم قريش، ولبثوا فيهم أياماً. ثم قدم أبو جهل بن هشام المخزومي من سفر فبلغه شأنهم. فقال لقريش: ما أصبتم حين حالفتموهم لأنهم أهل عدة وجلد، وقلَّما نزل قوم على قوم إلَّا أخرجوهم من بلادهم وغلبوهم عليها. قالوا: فما المخرج من حلفهم؟ قال: أنا أكفيكموهم، إنهم من أشد العرب غيرةً ومرارةً، فلعلِّي آتيهم من قِبَل ذلك.

ثم خرج حتى جاءهم فقال: إنكم حالفتم قومي وأنا غائب، فقدمت فجئتكم لأحالفكم، وأذكر لكم من أمرنا أمراً تكونون منه على رؤوس أموركم. إنّا قوم تخرج نساؤنا إلى أسواقنا يبعن بها، ولا يزال الرجل منا يدنو من المرأة

---

(١) الأوس: إحدى القبيلتين الكبيرتين في يثرب اللتين بادرتا إلى اعتناق الإسلام ونصرة النبي ﷺ وتشجيعه على الهجرة. والقبيلة الثانية هي الخزرج.

منهن إذا أعجبته فيضرب عجيزتها. فإن كنتم طيِّبي الأنفس أن يُفعل بنسائكم حالفناكم، وإن كرهتم ذلك فردوا حلفنا. فقالوا: لا نقر ذلك أبداً، وقد رددنا إليكم حلفكم.

*
**

البَاب الحَادي عَشر
في تَدبيرِ المُنهَزِم

حُكِيَ أن ملك الفرس لمَّا هـرب من بهرام جـوبين[١] إلى ملك الروم، وجَّه بهرام في طلبه رجـلاً يُقال لـه بسطام في جيش كثيف على سَرَعان الخيل. فنزل الملك في ناحية هيتِ في دير ليريح[٢]. ومضى وهو في جماعة من غلمانه، ومعه خال له يقال له كربا، إذ لاحت لهم غبرة خيل بسطام.

---

(١) بهرام جوبين: كان قائـداً كبيراً من قـواد هرمـزد كسرى فـارس، وقد وجهه لحرب الروم فمني بهزيمة منكرة، فانتزع كسرى منـه القيادة بصورة مهينـة. فأعلن بهـرام الثورة على هـرمزد، الـذي كان يجابه ثورة داخلية أخرى لم يستطع إخمادها. فخسر عـرشه ونُصب ابنه برويز مكانه. إلاَّ أن بهرام جوبين استطاع أن يتغلب على بـرويز ويـطرده فالتجـأ هذا إلى إمبـراطور الـروم فأنجـده، فـاستطاع استعـادة عرشـه بعد أن فـر بهـرام. (إيـران في عهـد الساسانيين ص: ٤٢٧ ــ ٤٢٩).

(٢) ليريح: ليستريح.

فقال الملك لخاله: قد أدركنا الطلب فما ترى؟ قاله له خاله: لم يبق شيء إلاَّ أن أقيك بدمي. قال: وما ذاك؟ قال خاله: اركب أفَنَّ[١] خيلك وأجنب فرساً[٢] وانج بنفسك فأني أصده عنك. فركب الملك فرساً (وجنَّب فرساً) ومضى نحو مسالح[٣] الروم. ولبس كربا ثوباً منسوجاً بالذهب، ووضع التاج على رأسه، وأقام سائر مَنْ معه بين يديه وهو على ظهر الدابة، حتى إذا علم أن بسطاماً قد تأمل لبسته ولم يعرف وجهه، نزل[٤] كربا فنزع تلك الثياب ولبس أقبيته[٥]. وخرج فتلقى بسطاماً فحيَّاه ثم قال له: الملك يقرئك السلام ويقول لك إن الدهر قد ألجأنا إلى ما ترى، ولنا عليك حق المملكة. قال بسطام: وما ذاك؟ قال: قد ظفرت يدك بطَلِبتك وأدركت ما وُجهت إليه، وقد زمزمت[٦] وبدأت طعامي، فأنظرني حتى آكل وأخرج إليك. فقال

---

(١) أفن الخيل: أمهرها بفنون السير. ويقال استفن الخيل إذا حملها على فنون السير. وفي نسخة ب: «أفره خيلك».

(٢) أجنب فرساً: سير فرساً إلى جانب فرسه ليربكها عند ما تتعب فرسه.

(٣) المسالح: الثغور، أي المدن والحصون القائمة على الحدود.

(٤) في أ: «قام».

(٥) الأقبية: جمع قباء وهو الثوب الذي يلبس فوق الثياب.

(٦) زمزم: دمدم حين الأكل، وهي عادة الفرس عند الطعام.

بسطام: كل متمهلاً فنحن منتظروك، ونـزل بأصحـابه حـول الدير. فلمـا مضى من الزمـان قدر الغـداء، خرج كـربا إلى بسـطام فقال لـه: إن الملك يسألـك أن تتم إحسـانـك بـأن تنظره قليلاً ليخرج في وقت قد اختـاره، فأذن لـه. فلم يزل كربا يدافعه حتى أمسى. وهـو يُخرج لـه لُطَفـاً من الجوهـر والكسوة الفاخرة. حتى إذا أصبح وعلم كـربا أنَّ الملك قـد لحق بمأمنه. قـال بسطام: إن الحقَّ بنـا أولى. قال: نعم. قـال: فإن الملك قـد نجا بنفسـه حيث رأى غبرتـك، وإنما صددتك عنه حتى لحق بمأمنه، وها أنا ذا فاحكم بما تريد. فهمَّ بسطام بقتله فأبـى عليـه أصحابـه وقالـوا: أخَّرت طلب الرجل حتى فات بغير أمر، وتريد قتل هذا بغير أمر. فحمله بسـطام إلى بهرام. فلمـا علم بهرام الخبـر، قال: أمـا أنت يا بسطام فغششت فجزاؤك القتل، وأما كربا فنصح لصـاحبه فجزاؤه الصفح. وأمر بكربا فحُبِس[1].

وحُكِيَ أن عبد الله أخا بابك انهزم في بعض حروبه، فمرَّ منفرداً فارًّا من المحاربين له. فمضى يكُدُّ دابته[2] حتى إذا صار[3] إلى جانب غيضة والنفر خلفه، نزل يقـود دابته،

(١) في كتـاب الأخبـار الـطوال مـا يشبــه هـذه القصــة مـع بعض الاختلاف، ص ٨٧ ــ ٩٠.

(٢) يكد دابته: يشتد عليها ويحثها على السير.

(٣) في ب: «حتى إذا وصل».

وصاح وأومأ إلى الغيضة يوهم النفر الذين يطلبونه، أنه يصوِّت بقوم من أصحابه في الغيضة. فتوقف النفر عن طلبه، وقالوا: لم ينزل عن دابته ونحن نكُدُّه إلاَّ وقد صار إلى أصحابه. فتراجعوا عن مضيق كانوا صاروا إليه. فلما علم أنهم قد تراجعوا ركب دابته ومضى، فرأوه من بُعْدٍ و (قد) فاتهم.

***

الباب الثاني عَشر
في لُطفِ التّدبير[1]

حُكِي أن عـديّ بن حـاتم طيّ[2]، لمَّـا بلغـه خبـر رسـول الله ﷺ[3]، أراد اللحاق بـه، وخاف قـومه على إبله وماله. فأمر ابنه أن يتمسى[4] بإبله فلا يردُّهـا إلاَّ في الليل، ففعل فلامه بحضرة قومه. ثم أمره بعد فتمسى بـالإبل أيضـاً فلامه وشتمه وتوعده. فلما كان في اليوم الثالث قال لأهله: إن لابني لشأناً في تمسيته بالإبل، وإني خارج (معـه) يومي

---

(١) في ب «في لطف المخْلَص».

(٢) عدي بن حاتم طي: من المعمـرين، اشتهر أبـوه حاتم الـطائي بكـرمه الـذي غدا مضـرب الأمثـال. أدرك الإسـلام ووفـد على الـرسول ﷺ في السنـة العاشـرة للهجرة. وقـد امتدحـه عمر بن الخـطاب حينما وفـد عليه لمـا صار خليفـة. وانضم إلى الإمام علي وحارب معه في معركتي الجمل وصفين.

(٣) في أ: «خبر وفاة رسول الله» وهو غيـر مستقيم المعنى، إذ كيف يريد اللحاق به بعد بلوغه خبر وفاته.

(٤) يتمسى: يجيء مساء.

هـذا لأنـظر مـا شـأنـه. فخـرج مـع إبله وجعـل وجهـه إلى رسول الله ﷺ[1]. فلم يفتقده قـومه إلاَّ من الغـد، فخرجـوا في طلبه فلم يدركوه.

وحـدَّث المـدائني قـال: دخـل رجـل من أهـل مكـة فقال: لألقينَّ بين قريش حرباً لا تُطفأ أبداً. فأناخ ناقته على الحَـزْوَرة، وهي أكمـة وسط مكـة، وقـال: لينحـرهـا أَعــزُّ قـريش. فنحـرهـا أبـو سفيـان بن حـرب، فقــال عُتبـة بن ربيعة[2]: أأنت أعزُّ قريش؟ قال: مَنْ كنتَ ابن عمـه[3] كان أعزَّهم. وقال سعيد بن العاص[4]: أأنت أعزُّ قريش؟ قـال:

---

(١) في أ: «وجعل وجهه إلى أبـي بكـر» وهو خـطأ، لأن عديـاً وفد على النبـي ﷺ.

(٢) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، من زعماء قريش في الجاهليـة، عرف بالحلم والدهاء. وقد اشتهر في حرب الفجار الأولى التي نشبت بين هـوازن وكنـانـة، حيث احتكمـوا إليـه ونـزلــوا على حكمـه. أدرك الإسلام وقـاتل النبـي ﷺ في معـركة بـدر وقتـل فيها. وهو ابن عم حرب بن أمية.

(٣) في أ: «ابن عمته».

(٤) سعيـد بن العـاص الأمــوي، صحـابـي من قــواد الفتـوحــات الإسلامية، فتح طبرستان. وقد ولي الكـوفة لعثمـان. وهو أحـد الذين أسهموا في كتابة المصحف على عهد عثمان، كمـا دافع عنه عندما قامت الثـورة عليه ثم اعتـزل عند نشـوب الحرب بين =

نعم، بعِزِّك. فأطلَّ[1] الناقة ولم يقع بينهم إلاَّ خير. وانقلب الرجل خائباً.

وحَكىٰ العتبي[2] عن أبيه قال: خاصم هشام بن عبد الملك[3]، إسحاق بن طلحة بن عبيد الله في بعض الأمور، وأغلظ له هشام. فقال له إسحاق: أنت تظلمني يا أمير المؤمنين، فاجعل بيني وبينك قاضيك. ففعل. قال: فطُرح لهما مصلىً بين يدي القاضي فجلسا عليه، ثم اختصما. فتوجه القضاء على هشام. فقام إسحاق فقال رافعاً صوته: الحمد لله الذي حال بينك وبين ما أردت من ظلمي. فأَحفَظَ[4] هشاماً فقال: والله لقد هممت بأن أضربك ضرباً أنثر منه لحمك وأُسيل منه دمك على قدمك.

= الإمام علي ومعاوية: وقد استرضاه معاوية وولاه ولاية المدينة وبقي فيها حتى مات.

(١) أطل الناقة: أضاع دمها.

(٢) العتبي: محمد بن عبيد الله بن عمرو، أديب بصري كثير الأخبار حسن الشعر. له تصانيف عديدة في أخبار العرب وأيامها، وأكثر أخباره عن بني أمية. وسمى بالعتبي نسبة إلى جده عتبة بن أبي سفيان.

(٣) تولى الخلافة بعد أخيه يزيد بن عبد الملك، توفي سنة ١٢٥هـ.

(٤) أحفظه: أغضبه.

قال: يا أمير المؤمنين، أما والله لئن ضربتني لتضربني رحماً قريبة وبدناً ضعيفاً قد ذهب أكثره وبقي أقلُّه. قال: فاسترها عليَّ. قال: لا والله إلاَّ بثمنها. قال: ثمنها مائة ألف. قال، فسترها عليه، وحدَّث بها بعد وفاته لابنه[1].

وحَكَىٰ العتبي قال: بينا الحجاج في مسجد واسط يوماً إذ مرَّ به رجل لم يرَ رجلاً (قط) أقرب ما بين هامته وقدمه (منه) فدعا به وكلّمه. ثم قال: إيتوني بفلان، يعني رجلاً من المجوس في حبسه. قال: فأُتي برجل نكَّس رأسه حين أراد دخول المسجد كأنه عادي[2]. فقال الحجاج: افرج بين رجليك، ففعل فقال للقصير: مُرْ بين رجليه. فقال: أصلح الله الأمير (ليس في هذا المسجد أحفظ لكتاب الله ولا أقرأ له مني، فإن رأى الأمير أن) لا ينجس كتاب الله عز وجل بممرى بين رجلي هذا الكافر (فليفعل). قال: (صدق) خَلُّوا سبيله.

وحَكَىٰ الهيثم بن عديّ قال: سمعت أشرس بن ثمامة يحدِّث عن الحسن ابن عمارة قال: دفع يوسف بن عمر[3]

---

(١) في أ: «لأبيه».

(٢) عادي: نسبة إلى قوم عاد الذين اشتهروا بطول القامة وضخامة الجسم.

(٣) يوسف بن عمر الثقفي، من ولاة بني أمية المشهورين. وقد احتذى حذو الحجاج في العنف والشدة في حكمه.

إلى رجل من النخاسين من بني أسد ألف دينار، وقال له: انحدر إلى البصرة فاشتر لي بها عشر وصائف. قال: فحدَّثني الرجل الأسدي، قال: فطلبتهن بالبصرة حتى وجدتهن، فلما أردت الانصراف نظرت إلى إحداهن فإذا بها شامة سوداء مثل هذه، وأشار بيده، فأردت ردَّها فلم أقدر على ذلك. قال: فقدمت بهن فأدخلتهن الحمَّام وهيأتهن، ثم قلت لصاحبة الشامة: تسمعين؟ قالت: نعم.

قلت: إذا قدَّمتُ إليه جارية فتقدمي فإذا زجرتك فانزجري، وأفعل ذلك مرات. قال: فدخلتُ على يوسف، قال: ما صنعت؟ قلت: خيراً، قد جئتك بحاجتك على ما تريد.

قال: ادخلهن. فقلت: يا جارية تقدمي، فتقدمت تلك، فقلت: وراءك. فرجعت. قال: فعرضت عدة «جوار» وهي تتقدم وأنا أردها. فقال: ما بال هذه؟ قلت: أصلح الله الأمير، إنه بلغني أمر هذه فغاليت (بها وزدت) في ثمنها على أثمانهن، وبها شامة زعمت العلماء أنها لم تكن بامرأة قط في ذلك الموضع إلاَّ ولدت ملكاً من الملوك، فقال لغلامٍ له خصيّ: اذهب إلى فلانة فقل لها تصنعها. قال: فأفلَتُّ والله منه، وجعلت لله عليَّ أن لا أعود لمثلها أبداً.

وحدَّث الوليد بن هشام المخزومي عن أبيه عن

مَسْلَمة عن محارب قال: قال معاوية: إن عمراً احتجز[1] دوننا خراج مصر، وعزله واستعمل أبا الأعور السُّلمي[2]. فبلغ عمراً الخبر فدعا وردان مولاه وقال: ويحك يا أبا عثمان عَزَلنا معاوية. قال: فمن استعمل؟ قال: أبا الأعور السُّلمي، فهل عندك من حيلة لطيفة نتخلص بها من المكروه الذي أظلنا؟ قال: نعم، اصنع له طعاماً ولا تنظر له في كتاب حتى يأكل، ودعنا نفعل ما نريد. (قال: نعم).

فلما قدم عليه أبو الأعور وأخرج كتاب معاوية بتسليم العمل إليه، قال له عمرو: وما نصنع بالكتاب؟ لو جئتنا برسالة قَبِلْنا ذلك منك، ضع الكتاب وكُلْ. قال: انظر في الكتاب. قال: ما أنا بناظر فيه حتى تأكل. فوضعه إلى جانبه وجعل يأكل. فاستدار له وردان فأخذ الكتاب والعهد.

فلما فرغ أبو الأعور من غذائه، طلب الكتاب فلم يرَ شيئاً، وقال؟ أين كتابي؟ قال له عمرو: أليس إنما جئتنا جائزاً[3] لنحسن إليك؟ قال: استعملني أمير المؤمنين

---

(١) في ب: «احتجن» والمعنى واحد.

(٢) أبو الأعور السُّلمي: هو عمرو بن سفيان، كان أبوه أحد قادة قريش في معركة أحد. وحارب أبو الأعور في اليرموك. وانضم إلى معاوية في خلافه مع الإمام علي، وحارب معه في صفين وكان مقرباً إليه. عينه معاوية والياً على منطقة الأردن.

(٣) جاز المكان: مر به، وفي ب: «جئتنا زائراً».

وعزلك. قال: مهلاً، لا يظهرنّ هذا منك، إنـه قبيح. نحن نصلك ونحسن جـائزتـك. فرضي بـالجائـزة. وبلغ معاويـة الخبرُ، فاستضحك على فراشه وأقرَّ عمراً على مصر.

وحكىٰ المدائني أن عمرو بن معدي كرب، هجم في بعض غـاراته على جـارية شـابة جميلة منفـردة، فلمـا أمعن لهـا[١] بكت. فقـال لهـا: مـا يبكيـك؟ قـالت: أبكي والله لفـراقي لبنات عمٍّ لي مثلي في الجمـال والشباب وأفضـل، خرجت معهن نلعب فانقـطعنا عن الحي. قـال: وأين هن؟ قـالت: خلف ذلـك الجبـل من الـرمـل، ووددت أنـك أخذتهن. فأخذها إلى ذلك الموضع الذي وصفت لـه، فما شعـر بشيء حتى هجم عليـه فـارس مستلئم بـالسـلاح[٢]، فقـال: خـلِّ عن الـظعينـة. فـأبىٰ عمـرو. فعــرض عليـه المصـارعة فصـرعه الفـارس، ثم عـرض عليـه ضـروبـاً من المنـاوشة، ففي كلهـا كان الفـارس يغلبه. فسـأل عمرو عن اسمه، فإذا هو ربيعة بن مُكَـدَّم[٣]، وسمَّى له عمـرو نفسه. فخلّى عنه واستنقذ الجارية.

---

(١) أمعن لها: طاردها.

(٢) فارس مستلئم بالسلاح: متدرع به.

(٣) ربيعـة بن مكدم: من بني كنـانة وأحـد الفرسـان المعدودين في الجاهلية. وله أخبار في الحرب والطعان كثيرة.

وحَكىٰ المدائني قال: كان ليوسف بن عمر غلام صيرفي فهرب. فقال: مَنْ كان يخالط؟ فقيل له، كان يخالط إلى فلان الصيرفي. فقال: عليٌّ به. فأرسلوا إلى الشيخ فأوصى حين دعا به. فتلقاه رجل من ثقيف فقال له: أذكرك الله تعالى لَمَا دخلت معي. قال: ليس ينفعك أحد. ولكني أشير عليك بشيء عسى أن تنجو به إن كان شيء ينجيك. كلما سألك عن شيء أو قال لك فعلت كذا وكذا، فقل نعم. وإياك أن تقول لا. فلما دخل عليه، قال: يا شيخ، أفسدتم غلامي؟ قال: نعم. قال: وأكلتم مالي؟ قال: نعم. قال: وأمرتموه بالهرب؟ قال: نعم. قال: أَفَرِقْتَ يا شيخ؟ قال: نعم. قال: ارجع إلى أهلك، خَلُّوا سبيله.

***

البَاب الثَالث عشر
في المَكائِدِ على الأَعداء

حُكيَ أن صباحاً الصقلبي[1]، لما وفد على الواثق بالله[2]، جهزه الواثق لغزو الروم مما يلي البحر، بأحسن جهاز من المراكب والرجال وسائر الآلات. فخرج في البحر، وكان لا يقصد لهم ناحية إلاَّ بلغ منها حاجته. وكان أكثر ما يفل[3] جيوش الروم بالنار. فبلغ ذلك من الروم (وأقلق ملكها)[4] فوجه إليه ملك الروم رجالاً مستعربة من ثقاته مستأمنة، ففرح صباح بهم. ثم أناخ على حصن يقال له إنطاكية على ضفة البحر. فاحتال أولئك المستأمنة لنفط

(١) صباح الصقلبي: أحد القواد الذين اشتهروا في العصر العباسي الأول، وقد اشتهر في غزواته في بلاد الروم.

(٢) الواثق بالله: الخليفة العباسي، هارون بن محمد المعتصم، توفي في سامراء سنة ٢٣٢ للهجرة.

(٣) يفل الجيش: يفرقه ويهزمه.

(٤) في أ: «فبلغ ذاك ملك الروم فوجه إليه».

صباح وصبوا فيه الخل الثقيف مدوفاً بالمَغْرَة [1]، ثم لـوَّحوا لأهـل الحصن بعـلامـة بينهم، فُهم بهـا أن نفط صبـاح قـد فسد. وأوقد أهل الحصن للروم بعلامة (بينهم) فقصد جيش من الروم لا تُرام كثرته. وبلغ ذلـك صباحـاً فلم يحفل بـه. فلما وافى الجيش رمى بالنـار فلم يعمل النفط. فقُتـل (هو) وجميع من معه.

وحُكيَ أن رجـلاً خرج بنـاحيـة خـراسـان، يُقـال لـه صالح بن أبـي حبال، من أهل مَرو الشاهجان [2]، يدعو إلى آل أبـي طـالب. وكان مخـرجه على عهـد المهدي. فـوجه المهـدي لمحاربتـه جعفر بن محمـد بن الأشعث الخزاعي. فقال جعفر للمهدي: يا أميـر المؤمنين، إن هذا الـرجل قـد عظم شأنه جداً، والحيلة فيه أبلغ من محاربته، فإن وجهني إليـه أميـر المؤمنين وهـو من نيّتي على الثقـة، وينـزل كـل مـا يبلغـه عني على أحسـن وجـوهـه، رجـوت أن أبلغ محبته [3]. وإلاَّ عملت بما يرى أمير المؤمنين من محـاربته.

---

(١) الخـل الثقيف: الحـامض جـداً، ومـدوفـاً: مخلوطـاً ومـذابـاً، والمغرة: طين أحمر يصبغ به.

(٢) مـرو الشـاهجـان: هي مـرو العـظمى، أشهـر مـدن خـراســان وقصبتها. وسميت شاهجان لجلالتهـا وعظمتهـا. ويطلق عليهـا أحياناً (مرو) فقط. (معجم البلدان ٨: ٣٣ ــ ٣٨).

(٣) لعل الصواب: ما يحبه.

قال له المهدي: امضِ واحتل بما رأيت فأنت عندنا في حال من الثقة.

فخرج جعفر يريد خراسان، فكاتب صالحاً من كل منزل نزله، يواصله بكتبه ويعلمه أن الحق معه وأنه على متابعته. حتى ورد جعفر مرو، فدخلها بصلح وقع بينه وبين صالح بن أبي حبال. ثم أظهر جعفر أنه عليل، وكتب إلى صالح يعلمه أَنَّه لا بد من لقائه ليدبِّرا ما يحتاجان إليه على بني العباس، وأنه عليل ولولا علته لصار إليه. وأقبل صالح حتى وافى مرو، ثم ركب إلى منزل جعفر في أفضل عدته ورجاله وسلاحه. ثم وقف بباب جعفر فراسله، فاتفقا على أن يدخل عليه في مائة رجل من أصحابه، فأجابه جعفر إلى ذلك. وملأ بيوت داره بالرجال عليهم الجواشن[1] ومعهم السيوف، وقال لهم جعفر: إذا كبَّرت فاخرجوا على صالح وعلَى مَنْ معه. ثم أذن لصالح فأُدخل وعليه جوشن وخوذة ومعه عمود، ومعه مائة من أصحابه في مثل ذلك الزي. وجعفر في صحن الدار على سرير عظيم.

فقعد صالح إلى جعفر، وجعفر في ثوبين رقيقين ولا سلاح عليه. فلما رآه صالح في ذلك الزي استرسل،

---

(١) الجواشن: جمع جوشن، وهو الدرع.

فقال جعفر: أتيتنا متقبضاً[1] ونحن واثقون بك ونحتاج إلى أن نتفاوض في أمور نكتمها حتى تظهر في أوقاتها. قال صالح لمن بقربه من رجاله: تنحوا جميعاً، فتنحوا عنهما. قال صالح لجعفر: إن أكثر من في عسكر محمد بن عبد الله، يعني المهدي، قد كاتبني. قال له جعفر: الله أكبر، ورفع صوته ليخرج رجاله على رجال صالح، فلم يخرجوا، وتناظرا ساعة، قال جعفر: فأين الأثر عن رسول الله ﷺ: إن صبيان بني العباس يتلاعبون بها. قال صالح: ما أحب أن أسمع منك مثل هذا، وهذا الأثر كذب على رسول الله ﷺ. فقال جعفر: الله أكبر، ورفع صوته فوق مقدار كلامه كالمستحث لأصحابه. فتغيَّر وجه صالح وأنكر رفع صوته، وحسَّ بأن ذلك من جعفر علامة بينه وبين رجاله، فوثب صالح مسرعاً لينزل من السرير.

قال جعفر: فقلت في نفسي متىٍ ألقى هذا بعد اليوم إلَّا في حرب. فوثب جعفر إليه كالمعظِّم له، القائم بقيامه. وقال: لتدخل دابته، حتى قرب منه، ثم أدخل رجله بين رجلَيْ صالح وأخذ يده بيده، ومنعه من إخراج خنجره، وكبَّر تكبيرة شديدة، فتحرك رجال جعفر في البيوت

---

(١) تقبض عن الأمر: أخذ موقف الحذر منه، أي كان حذراً غير منبسط.

ولم يخرجوا، فسمع رجال صالح صوت الحديد من البيوت فهربوا نحو الباب. وجعل يروم خنجره فلا يقدر عليه. وجعفر يصيح برجاله، فلم يخرج منهم أحد. حتى لحق جعفراً غلام له طبَّاخ يكنى بأبي حميد ومعه طبرزين[1]، فأخذ خوذة صالح عن رأسه وضرب رأسه بالطبرزين ضربة أسكرته. فوثب جعفر عن صدره ووالى عليه أبو حميد حتى قتله.

ومضى جعفر فأخرج رجاله من البيوت وقال لهم: الحقوا باب الدار فقد قُتل صالح. وأَغلق باب القصر، فضربه أصحاب صالح، وهم نحو من عشرين ألف بالنار، فأمر جعفر مَنْ زاد على الباب حطباً حتى لا يمكن دخول الدار. ثم رفع رأس صالح لأصحابه وقال لهم: لكم جميعاً الأمان، فمن أقام فديوانه له، ومن رجع إلى بلاده فهو آمن. فأقام أقلهم مع جعفر؛ ومضى أكثرهم حين رأوا رأس صاحبهم.

وحكى أن جماعة من العرب كانوا يكثرون الغارة على قرية بالشام. وكان بين القرية وبين الحي الذي يغيرون منه مفازة جدبة صعبة المسلك، وكان فيها بئر يمر المغيرون

(١) الطبرزين: الطبر، وهو الفأس من السلاح.

بهـا فيشـربـون منهـا. فيمتنـع طلبهم على السلطان لتلك المفازة وجهلهم بموضع البئر. فقـال رجل من حكمـاء أهل القرية: إن هؤلاء العرب لا يقطعـون إليكم هذه المفـازة إلَّا وقـد وجدوا مـاءً يشربـون منـه مقبلين وراجعين، فـاحتـالـوا لتعرفوا الماء. فوجهـوا قومـاً منهم بتجارات إلى حيّ أولئـك الأعراب، فأقاموا بينهم حتى أنس الأعراب بهم. ثم سألـوا دليلاً يخرجهم إلى الريف، وبذلوا للدليل جُعـلاً[1]. فخرج الدليل بهم حتى وقف على الماء الذي في المفازة. فإذا بئر غزيرة فتزودوا منها. فلمـا وصلوا إلى أهل القـرية أعلمـوهم بذلك، فردوه إلى حاكمهم[2]، فأمرهم أن يطرحوا في البئـر جيفاً كثيرة، فامتنع على الأعراب ورُودها، فانقطعت الغـارة عن أهل القرية.

***

(١) الجُعل: الأجر.

(٢) لعل الصواب «حكيمهم» لسبق الإشارة إليه.

البَاب الرابع عَشر
في مُكايَدة صَغيرٍ لكبير

حُكيَ أن المنـذر بن ماء السمـاء[1] صاحب الحيـرة، كان خليفة كسرى على طائفـة من العرب وطَفِّ السـواد[2]، وكان منزله في الحيرة على طفِّ السواد، لمَّا هلك، شَخَص عـديّ بن زيد العبـادي[3] إلى كسـرى ليسـألـه أن يستخلف

(١) هـو المنذر الثـالث بن امرىء القيس: ومـاء السمـاء اسم أمـه. وكـان من أشهر ملوك المنـاذرة في الحيرة. وهـو صاحب يـومي النعيم والبؤس. وقد عاصـر قباذ ملك فـارس وابنه أنـو شروان. نفـاه قباذ لأنـه أبـى أن يـدخـل في دين مـزدك، ونصب مكـانـه الحارث بن عمرو ملكـاً على الحيرة. إلاَّ أن أنـو شروان عنـدما ولي الملك أعاده إلى عرشه.

(٢) طَفُّ السـواد: الطف مـا أشرف من الأرض، أو الجـانب منهـا، والسـواد الأرض الممتدة بين البصـرة والكوفـة وما حـولهمـا من المدن والقرى.

(٣) عدي بن زيد: نشأ في فارس وأصبح كاتب العـربية لكسـرى. وكـان لـه نفـوذ في الحيـرة، وقـد لعب دوراً مهمـاً في تعيين النعمان بن المنذر ملكـاً على الحيرة دون إخـوته الآخـرين. إلاَّ أن النعمان غضب عليه بعد مدة فحبسه، ثم قتله.

النعمان بن المنذر في موضع أبيه. فأقبل يريد باب كسرى على ناقة له، وكسرى ينظر إلى مَنْ على بابه من حيث لا يرونه. فجلس عديّ بن زيد بالباب، فأطاف به أحداث من الفرس يستهزئون به، فقالوا له، وكسرى يسمع: يا أعرابي أيُّ شيءٍ أقوى؟ قال: ناقتي هذه. قالوا له: هي أقوى من الفيل؟ قال: نعم. قالوا: وكيف ذاك؟ قال: أحمل عليها بوزنها وهي باركة، ثم أثيرها فتقوم، وأحمل على الفيل بوزنه فلا يحمله. فعجب كسرى من حجته. قالوا: يا أعرابي، فأي شيء أشد صوتاً؟ قال: ناقتي هذه. قالوا: بل الكركي أشد صوتاً. قال: وكيف ذاك؟ قالوا: الكركي يصيح وهو محلق في جوف السماء فنسمعه. قال: فارفعوا ناقتي حتى تصيح معه، أو انزلوا الكركي حتى يصيح بجنب الناقة، فهي أشد صوتاً. فعجب كسرى من حجته. قالوا: فأي شيء أطيب لحماً؟ قال: ناقتي هذه. قالوا: هي أطيب لحماً من الدجاج والفراخ؟ قال: نعم، خذوا دجاجاً وفراخاً ومن لحم ناقتي هذه حتى نطرحه في قدر واحدة ثم يُطبخ، وبعدما ينضج الجميع ويطيب، فإن نضج لحم الناقة قبل غيره وزاد في الطيب عليه، وإلاَّ فحكمكم. فعجب كسرى منه، فدعا به فناظره. فقال عديّ بن زيد: إن النعمان أفضل إخوته، ولو أحضرهم الملك فامتحنهم لعرف ذلك. فأحضر ولد المنذر وكانوا عشرة، النعمان أصغرهم

سنًّا؛ فخلا بكل واحد منهم، فقال له: مَنْ أفضلكم؟ قال: أنا أفضل إخوتي. حتى بلغ إلى النعمان فقال له: مَنْ أفضلكم؟ قال النعمان: كل إخوتي أفضل مني. فأعجب به كسرى. فملك النعمان بن المنذر دون إخوته.

وسأل عديّ كسرى أن يجعل ابناً له كان معه في خدمته، يقال له زيد، ففعل كسرى ذلك. فحذق ابنه كلام الفارسية، وكان حاذقاً بالعربية، فصار ترجماناً لكسرى على العرب.

واستحوذ عديّ على أمر النعمان بن المنذر وغلب عليه. وكان في الحيرة قوم يقال لهم بنو بُقَيْلَة[1]، كانوا كتَّاب الملك ووزراءه، فنحَّاهم عدي واستخف بهم. ثم إن عديًّا سأل النعمان أن يزوره إلى منزله، وهيأ له ولأصحابه طعاماً؛ فخرج النعمان يسير إلى عديّ، في جنده الصنائع والوضائع، كما يقال الجند والشاكرية[2]. فمرَّ على دور

---

(١) جدهم الحارث وسمي بقيلة، وإنما سمي بذلك لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين، فقالوا له: ما أنت إلاَّ بقيلة خضراء. ويظهر أن آل بقيلة، استمروا في الحيرة حتى الفتح الإسلامي. (الطبري ٣: ٣٥٩ ـ ٣٦٥).

(٢) الصنائع هم الجنود المدربون المختارون، والوضائع جماعة من الجند يوضعون في موضع ما لحمايته. والشاكرية من فرق =

بنيّ بقيلة وقد وضعوا له أسمطة الطعام وآنية الشراب على الطريق. فقاموا إليه فقالوا: أبيت اللعن أيها الملك، شرِّفنا بأن تنزل عندنا فتأكل طعامنا. قال النعمان: قد وعدت عديًّا أن أصير إليه ولا يحسن تركه، ولكن لكم يوم بيوم. فقالوا له: يا سيدهم، فنقدم إليك جام حلوى فتضع أَصبعك فيه بقدر ما تكون قد مسَّت طعامنا. قال: نعم. فقدموا طبقاً فيه طعام، فوضع إصبعه عليه. ثم قالوا له: يا سيدهم، إنّا قد أعددنا لك قينة حسناء مجيدة، تنظر إليها فإن أعجبتك قبلتها. قال: نعم. فأخرجوا إليه جارية فائقة الحسن كأنما تطلع الشمس من وجهها؛ فلما رآها ـ وكان مغرماً بالنساء ـ ذهبت بنفسه. فأمرها فجلست على كرسي، ثم أخذت مزهراً، وهو العود، فغنَّت. فطرب ودعا بقدح من شراب فشربه، ثم غنَّت فشرب. فقالت له بنو بقيلة: لو نزلت أيها الملك، فقد هيأنا داراً مفروشة فسررت يومك بجاريتك، وجعلت لعديّ يوماً مكان هذا، وعوَّضته من نفقته. قال لهم: نعم. فنزل عندهم في دار قد نُجِّدَت[1] له، وبعث إلى عديّ يعتذر إليه. وأكل أصحابه الطعام.

= الجيش ظهرت أيام المهتدي واستفحل أمرها أيام المستعين، وقد تمردوا عدة مرات ببغداد.

(١) نجدت: أثثت.

فأقام يوماً في غاية السرور، وبات بجاريته في دار بني بقيلة.

وبلغ الخبر عديًّا فأحنقه وأغضبه؛ فلما كان من الغد، قالت الجارية للنعمان: يا سيدها، كيف كانت ليلتك؟ قال: أطيب ليلة. قالت له: نعم، لولا ما أخاف عليك من سخط عديّ. قال النعمان: ومَنْ عدي حتى يسخط عليَّ؟ وهل هو إلَّا أحد عبيدي؟ قالت له: هيهات، ما هو عند نفسه فيما يُبدي ويقول، إلَّا أنه اصطنعك وولاك موضعك. قال: ليس هو كذلك، قالت له: فأرسل إليه أن يصير إلى هذه الدار، فإنه لا يفعل. فبعث إلى عدي مَنْ يدعوه، فأبى أن يجيء. فاستحيا النعمان من الجارية وبعث إلى عدي مَنْ يعزم عليه ليصيرنَّ إليه، فدخلت عديًّا دالة عليه بخدمته أن يجيئه. وكان يقال آفة الخدمة الدالة، فأبى على الرسول وأغلظ له؛ فوجَّه إليه النعمان مَنْ سجنه، وأمر بحبسه وتقييده؛ فأنشأ عدي يقول في (الحبس) من قصيدة له طويلة:

أيها الشامت المغتر بالدهر ... أأنت المبرَّأ الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيام ... بل أنت جاهل مغرور
أم رأيت المنون أبقين أم من ... ذا عليه من أن يُضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أبو ساسان، ... أم أين قبله سابور

وبنــو الأصفـر الكــرام ملوك الــروم لم يبقَ منهم مــذكــور
وأخــو الحَضْــر إذ بنــاه وإذ دجلة تجبــىٰ إليــه والخــابــور[1]
شــاده مــرمــراً وجــلله كـلســاً فــللطيــر في ذراه وُكــور
لم يهبـه ريبُ المنون فـأضحىٰ زائل الملك بـابـه مهجـور[2]
ثم بعــد الفــلاح والملك والإمَّــة دارتهم هنــاك القبــور[3]
ثم أضحـوا كـأنهم ورق جفَّ فـألـوت بـه الصبـا والـدَّبـور[4]
وتفكـر رب الخـورنق إذ أشــرف يـومــاً وللهـدي تفكيــر[5]
ســرَّه مـالُـه وكثـرة مــا يملك والبحـر معــرِضٌ والسـديــر[6]

(١) الحَضْر: تقع بقايا هذه المدينة في الجزيرة غربـي وادي الثـرثار وعلى مقـربة منـه. وقد أسسهـا عرب الجـزيرة، وازدهـرت فيها الحضارة عندما صارت مـركزاً تجـارياً في منتصف القـرن الثاني للميـلاد. وحافظ حكـامهـا العـرب على استقـلالهـا من الحكم الروماني والحكم الفارسي حتى منتصف القرن الثالث للميلاد، حينما هاجمها سابور الأول الساساني واستولى عليهـا وخربهـا. والخابور أكبر روافد نهر الفرات.

(٢) ويروى هذا البيت كما يلي:

لــم يــهــبــه ريــب الــمــنــون فــبــاد
الــمــلــك عــنــه فــبــابــه مــهــجــور

(٣) الإمَّة: النعمة.

(٤) الصبـا والدبـور: الصبا ريـح مهبها من مـطلع الثريـا إلى بنـات نعش، والدبور الريح التي تقابل ريح الصبا. وألـوت به: ذهبت به.

(٥) و(٦) الخـورنق والسديـر: قصران عـظيمـان بنـاهمـا النعمـان =

فـارعـوى قلبـه فقـال ومـا غبـطة حيّ إلى الممـات يصيـر[1]

وحُكيَ أن عـديًّـا لمـا حبسـه النعمـان كتب إلى ابنـه زيد بن عدي يُعلمـه الخبر. فلمـا بلغ الخبر زيـداً، بلغ منه وأرمضـه[2]. وكان كسـرى أبرويـز مغرمـاً مستهتراً بـالنساء، فقـال زيـد بن عـدي لكسـرى أبـرويـز: أيهـا الملك، إن للنعمان بن المنذر أخـوات كأنهن الكـواكب حسناً وكمـالاً. قـال كسرى: وكيف لنـا بهن؟ قال زيـد: إن أرسلني الملك إليـه جئت بهن. قال كسـرى: فامضِ بـرسالتي إليـه فـإنـه لا يـذهب بأخـواته عني. فشخص زيـد بن عـدي بـرسـالـة كسـرى إلى النعمان يـطلب منـه أخـواتـه. فشقّ ذلـك على النعمان، وكره أن يرسل إليه بأخواته[3].

= الأول بن امـرىء القيس الثـاني أشهـر ملوك المنـاذرة. وكـانت تحيط بهما البساتين الغنـاء والريـاض النضرة والميـاه الجاريـة. ويروى أنه قتل الشخص الذي بنى الخورنق واسمه (سنمار) لئلا يعرف أحد سـر قوة البنـاء. راجع: تـاريخنا بـأسلوب قصصي، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(١) وتروى هذه القصيدة في المصادر الأخرى بتقديم وتأخير تسلسل أبياتها. انظر مثلاً:

البدء والتاريـخ ٣: ٢٠٠ ـ ٢٠١، غرر السيـر ص ١٣٢، وفيات الأعيان ٦: ٢٤٣.

(٢) أرمضه: آلمه.

(٣) كان العرب يأنفون من تزويج بناتهم من الفرس.

قال النعمان لزيد بن عدي حين أبلغه الرسالة: أما للملك شغل في نساء عنده كأنهن العين، يعني بقر الوحش، عن نساء عربيات سود المحاجر، دقاق الأَسْوُق[1]. وسأل النعمان زيداً أن يُحسن الرسالة ويدفع (أبرويز) عنهن. فرجع زيد، وعلم النعمان أن عديًّا هيَّج هذا عليه، فأمر به من قتله في حبسه[2]. فلما دخل زيد بن عدي على أبرويز، قال: ما وراءك؟ قال زيد: أجابني بجواب أجِلُّ الملك عنه. قال أبرويز: وما هو؟ قال زيد: لا أطيق اللفظ به، وأخاف إن قلته على نفسي، قال أبرويز: (قل) فأنت آمن على نفسك. قال زيد: إن النعمان لمَّا بلغته رسالة الملك، قال: أما له شغل بنيك البقر عن نساء العرب؟ فغضب أبرويز غضباً شديداً. وكان وهو صبي صغير يُعيَّر بأنه وُجد ينكح بقرة، فيغضب من ذلك ويشتم مَنْ قال له. فاستشاط ووجَّه جيشاً في طلب النعمان. فهرب النعمان وحمل معه امرأته المتجردة[4] (وجلَّة قومه) وخيله

(١) الأسوق: جمع ساق.

(٢) راجع عن قتل عدي بن زيد: أسماء المغتالين ص ١٤١.

(٣) المتجردة: زوجة النعمان، وقد مدحها النابغة الذبياني بقصيدة وصفها بها وصفاً مكشوفاً، عندما كان ينادم النعمان ورآها وقد سقط نصيفها فاستترت بيدها. (والنصيف كل ما غطى الرأس من خمار وغيره) ومطلعها:

وإبله، ومـا أمكنه من أثـاثه ومـاله وأبنيتـه. فكلما صـار إلى قبيلة من قبـائـل العـرب، أبت عليـه أن تؤويــه خـوفـاً من كسرى، حتى صار إلى سلمى جبل طيىء. فآوته طيىء[1].

وكـانت إبله وخيله تسـرح وتــرجـع وقــد تـطرقت[2] وسُرقت. فقالت امرأته المتجـردة: إن خيلك وإبلك في كل يوم تنقص، وإن دام هذا عليك بقيت فقيراً وقتلتـك طيىء. ولعلها إنما تؤويك لمالك، فإن ذهب مـالك (ربمـا) تقربت بـك إلى كسرى. قـال النعمان لهـا: (فمـا) الـرأي عنـدك؟ قالت: إن كسرى بُلِّغ عنك ما لم تقل. فتصير (إليه) وتعتذر

= أمــن آل مــيــة رائــح أو مــغــتــد
عــجــلان ذا زاد وغــيــر مــزود

وفيها يقول:

سـقط الـنـصـيـف ولـم تــرد إسـقــاطــه
فــتــنــاولــتــه واتــقــتــنــا بــالــيــد

بــمــخــضــب رخص كــأن بــنــانــه
عــنــم، يــكــاد مـن الــلطافــة يــعــقــد

(١) جبل سلمى: كانت منازل طيىء في اليمن وقد خرجوا منها بعد سيـل العرم، فنـزلوا بنجـد والحجاز. ثم تغلبـوا على بني أسـد وأجلوهم عن جبلي أجـأ وسلمى في نجـد ونـزلـوهمـا، فعـرف بجبلي طيىء.

(٢) تطرقت الإبل: تفرقت، أو ذهب بعضها إثر بعض.

وتحلف له. فقبل النعمان وجاء يريد كسرى. حتى إذا صار بوادٍ بين الكوفة والبصرة يقال له ذوقار، خلّف ابنتيه حُرقة وهنداً عند قبيصة بن هانىء الشيباني[1]، وسيوفه ودروعه وخيله، ثم خرج يريد كسرى.

فلما بلغ كسرى مقدمه، أمر فضرب على طريقه ألف قبة (من) ديباج[2]، على باب كل قبة جارية مكللة بالحلي، وأمرهن أن يقلن: أما فينا غنىً للملك عن البقر؟ وظنَّ النعمان أنهن كرامة هيئت له، فقلن ما أُمرن به. ولقيه ابن عدي، فقال له: بخٍ نعيم[3]، لقد أَخَيت لك أَخِيَّةً[4] لا يقلعها المهرُ الأرن، يعني النشيط. فأمر به كسرى فطرح

---

(١) في بعض المصادر أنه أودع ذلك عند هانىء بن مسعود الشيباني سيد بني شيبان وأن هانىء هذا هو الذي نصحه بأن يصير إلى كسرى ويعتذر إليه. (مروج الذهب ١ : ٢٩٥).

(٢) لا شك أن في الخبر مبالغة. وهذا ما اعتدناه في المؤلفات القديمة وخاصة في أخبار الفرس، إذ أنها تبالغ في الأرقام للمباهاة، أو لتجعل منها مدعاة للاهتمام بالحكاية.

(٣) نعيم: تصغير النعمان، تحقيراً له.

(٤) الأخية: عروة تربط إلى وتد وتشد فيها الدابة. وهو مثل يضرب لمن يعقد أمراً يصعب التغلب عليه.

تحت الفيلة فداسته فقتلته[1]. وفيه قال الأعشى[2]:

هـو المُـدخـل النعمـانَ بيتـاً سمـاؤه
نحـور الفيـول بعـد بيت مُـسْـرَدَق[3]



(١) كان مقتل النعمان سبباً في حرب ذي قار بين العرب والفرس. راجع تفصيلات هذه الحرب في: أيام العرب في الجاهلية ص ٦ ـ ٣٩.

(٢) الأعشى: هو ميمون بن قيس بن ثعلبة. يعتبر من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، ويعرف بأعشى قيس.

(٣) البيت المسردق: البيت الذي نصب عليه السرادق، وهو الخيمة التي تمد فوق صحن البيت.

الباب الخامس عشر
في دَفعِ مَكْرُوه بِقَولٍ

حُكيَ أن رجلاً مرَّ برسول الله ﷺ وهو بمكة قبل هجرته إلى المدينة، فقال: يا محمد، أغثني فإن خلفي من يطلب دمي. فقال رسول الله ﷺ: امضِ لوجهك لأصدَّ الطلب عنك. ثم قام عليه السلام وجلس بعد نفوذ الرجل[1]، فإذا قوم يتعادون[2] بالسيوف، فقالوا: يا محمد، هل مرَّ بك رجل هارب من صفته كذا وكذا؟ فقال عليه السلام: أما منذ جلست فلا. فصدَّقه القوم وانصرفوا في غير ذلك الطريق.

وحُكي أن خالد بن الوليد لمَّا حارب حنيفة بأرض اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب[3]، حتى صار إلى حصن

---

(١) بعد نفوذ الرجل: بعد جوازه.

(٢) يتعادون: يعدو بعضهم خلف بعض للقتال.

(٣) وهو مسيلمة بن ثمامة بن وائل، نشأ في اليمامة في الجاهلية. وعندما بلغه ظهور النبي ﷺ، قدم إلى المدينة مع وفد قبيلته =

لبني حنيفة. فخرج إلى خالد رجل من الحصن فأسلم على يده ثم قال له: إن في الحصن ضعفة ونساء وصبية، فاعطهم أماناً ليخرجوا إليك، فليس فيهم دَرِكٌ[1] فأخذ أماناً من خالد للجميع، ثم أخرجهم، فخرج فيهم رجال كأنهم الأسْد. فقال خالد: لم أعطك لهؤلاء أماناً، إنما أعطيتك للضعيف. قال الرجل: فهم كلهم ضعيف، لأن الله عزَّ وجل يقول:

﴿وخُلِقَ الإنسانُ ضعيفاً﴾[2].

فكتب في ذلك إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فأجاز الأمان على خالد.

وحكي أن سابور ذا الأكتاف، كان يكثر غزو العرب

= حنيفة في السنة العاشرة للهجرة وأسلم، إلَّا أنه عند عودته ادعى النبوة في قومه، فسماه النبي ﷺ مسيلمة الكذاب. وقد توفي الرسول قبل أن يقضي على مسيلمة ودعوته، فتولى ذلك أبو بكر، فانتدب إليه خالد بن الوليد على رأس جيش قوي هاجم ديار حنيفة وقاتلهم قتالاً شديداً قتل فيه عدد كبير من المسلمين، إلَّا أنه تمكن منهم وقتل مسيلمة وعاد ظافراً، فقضى على حركة الردة.

(١) الدرك: الغلام البالغ.

(٢) سورة النساء (الآية ٢٧).

وقتلهم وطلبهم فغزا مرة بني تميم، وذلك في حياة عمرو بن تميم. وكان عمرو قد عُمِّر حتى أوفى على مائة وعشرين سنة. فلما بلغ بني تميم إقبال سابور نحوهم، هموا بالهرب منه والتنحي عنه. فقال عمرو لبنيه وقومه: اجعلوني في زنبيل وعلقوني على شجرة وارحلوا عني، فلعلي أكفيكم أمره. فصيَّروه على شجرة كيلا تأكله السباع، وأعطوه قوتاً من الطعام والشراب. فلما ورد سابور منازلهم لم يَرَ أحداً، ورأى الزنبيل معلقاً فأمر به فنُزِّل، فإذا شيخ مثل القفة. فقال: من أنت يا شيخ ومن أين أتيت؟ قال: أنا من الذين تطلب، أنا عمرو بن تميم (بن مرة) بن مر بن أدّ بن الياس بن مضر بن نزار. فقال: أيَّاكم أردت، ولِمَ تخلفت عن قومك؟ قال: لأسألك عن قصدك للعرب وأنك لا تزال تغزوهم وتطلبهم ولا ذنب لهم إليك. قال سابور: لأنه بلغني أنه يخرج منكم رجل يكون زوال ملكنا على يده. قال له عمرو: والله لئن كنت على يقين من ذلك وكان ما أخبرتَ به حقاً، إنه لينبغي لك أن تعلم أنه لو لم يبقَ من العرب إلاَّ رجل واحد، لما قدرت على ذلك الواحد حتى ينتهي الله فيه إلى ما تتخوف وقوعه. ولئن كان هذا شيء تظنه ظناً، فما ينبغي لك أن تقتل على الظن قوماً براء لا ذنب لهم إليك.

فقال سابور: ويحكم، أين كنتم عن هذا الرأي قبل

اليوم؟ فوالله لو علمت به ما غزوتكم. ثم انصرف بجيشه عنهم[1]. وفي ذلك يقول جهمة بن جندب (بن العبر) بن عمرو بن تميم يفتخر بما فعله جده على سائر بني تميم:

رددنا جمع سابور وأنتم
بمهواة متالفها كثير[2]
تظل جيادنا متمطرات
تُدار بنا تصيِّح أو تغير[3]
فما زلنا نسل الضب منه
إلى أن عاد ليس له نكير
فهذا الحق ليس به خفاء
تورِّثه عن الكهل الصغير

وحكَى الهيثم عن أسامة بن زيد[4] عن نافع، أن

---

(١) وردت في «غرر السير» حكاية عن سابور وحملته هذه ولكنها تختلف عما ورد هنا، ص: ٥٢٠.

(٢) المهواة: ما بين الجبلين ونحو ذلك.

(٣) متمطرات: تمطرت الخيل جاءت يسبق بعضها بعضاً.

(٤) أسامة بن زيد بن حارثة: صحابي كان أبوه من أوائل المسلمين، وقد تبناه الرسول ﷺ. وكان الرسول يحب أسامة كثيراً. وقد هاجر أسامة معه إلى المدينة، وأمَّره قبل أن يبلغ العشرين من عمره إكراماً لأبيه زيد بن حارثة الذي كان الرسول =

عبد الله بن رَوَاحة[1] وقع على جارية له، فاتهمته امرأته. قال: ما فعلت. قالت: فاقرأ القرآن إذن، فقال:

شهدت بإذن الله أن محمداً
رسول الذي فوق السموات من علِ
وإن أبا يحيى ويحيي كليهما
له عمل في دينه مُتقبَّل
وإن أخا الأحقاف إذ يعدلونه
يقوم بذات الله فيهم ويعدل

فقالت: أولَى لك[2].

= قد تبناه وقد قتل في معركة مؤتة. وكان الرسول جهز هذه الحملة الأخيرة انتقاماً لانكسار الجيوش الإسلامية في تلك المعركة.

(١) عبد الله بن رواحة: أنصاري من الخزرج. كان من الصحابة الملازمين للنبي ﷺ وشهد معه أكثر حروبه وغزواته، واستخلفه مرة على المدينة في إحدى غزواته. ويعد من الشعراء الراجزين. استشهد في معركة مؤتة سنة (٨) للهجرة.

(٢) جاءت هذه الحكاية في «أخبار النساء» لابن قيم الجوزية بتفصيل أكثر، كما أن الشعر الذي قاله ابن رواحة يختلف عما ورد هنا، حيث قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الصبح ساطع =

حكَى مجالد أبو هاشم: أن المهدي اصطاد في يوم تسعة أَضُبٍّ وخَزْراً[1] رمياً بيده، فسُرَّ بذلك وانتشرت ثيابه من شدة الركض، وقوسه موترة في ذراعه. فدنا منه رجل من خدمه ليصلح ثيابه، فوثب بالرجل برذونه، فتقدم وتعلق الثوب بسية القوس على فخذ المهدي فاندقت. فتطيَّر المهدي من ذلك وشتم الرجل وهمَّ به. فقال له الحسن الحاجب: تكون العين[2] بقوسك يا أمير المؤمنين أحبُّ إليَّ من أن تكون بك. فعلتَ ما فعلت وتنكر أن تصيب قوسَك العينُ. فسُرِّي عنه وضحك، ورأى أنه قد صُرف عنه بذلك مكروه.

وحدَّث المدائني قال: مَرَّ الحسن بن أبي الحسن[3]

= أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به مؤمنات إن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخبار النساء، ص: ٧٤ ــ ٧٥.

(١) الأضب، جمع الضب، والخزر: الخنزير.

(٢) العين: الإصابة بالعين.

(٣) أبو سعيد الحسن بن يسار المعروف بالحسن البصري، تابعي وإمام أهل البصرة في الفقه والحديث. كان غاية في الجرأة والفصاحة. وكان زاهداً مهيباً لا تأخذه في الحق لومة لائم، وقد انتقد الخلفاء والولاة كثيراً. توفي سنة ١١٠هـ.

برجل يقاد منه[1]، وقد اجتمع الناس عليه. فقال: ما هـذا؟ قـالوا: رجـل يُقاد منـه. ففَرَج[2] النـاس لـه حتى أتى وليَّـه فقال: مَن المقتول؟ قال: يا عبد الله إنك ما تدري لعل هذا القـاتل قتـل أخاك وهـو لا يريـد قتله، وأنت تقتله متعمـداً، فانظر لنفسك. قال: قد تركته.

***

(١) يقاد منه: يقتل بالقتيل، أي بدلاً منه.

(٢) فرج الناس له: انكشفوا له عن المكان.

الباب السادس عشر
في دَفعِ مَكروهٍ بمَكرُوه

حُكيَ أن فيروز الفارسي[١] لَمَّا خرج يريد أهل خراسان البهلوية، وهم أهل بَلْخ[٢]، نزل بدسكرة[٣] الملك. فبلغه أن بها زاجراً[٤] ضريراً. فخرج فيروز متنكراً حتى وقف باب الزاجر فقرعه، فقال الزاجر لابنه: ما ترى؟ قال ابنه: أرى عُقاباً على نخلة. قال: بخٍ بخٍ عظيم الطير على عظيم الشجر، الملك على الباب. فخرج إلى الملك فسلَّم عليه بتحية الملك. فقال له الملك: كيف علمت أني على الباب؟ فخبَّره. فقال له فيروز: انظر (في) هذا الذي

---

(١) راجع عن تولي فيروز العرش وموته في الصحراء في أثناء حربه مع الهياطلة (إيران في عهد الساسانيين، ص ٢٧٥ ــ ٢٨٠).

(٢) بلخ: مدينة مشهورة في خراسان، وهي اليوم في أفغانستان.

(٣) الدسكرة: القرية الكبيرة.

(٤) الزاجر: الكاهن الذي يتنبأ بواسطة الطير. وزجر الطير: أطاره فتفاءل به إن كان عن اليمين، وتطير منه إن كان عن اليسار.

نسيـر إليه أَيقتلنـا أم نقتله؟ فقال لـه الزاجـر: قل خيـراً أيها الملك. فردد الملك قولـه ثلاث مـرات، يبتدىء بقتلنـا قبل نقتله. قال الزاجر: أنت تقول أيها الملك.

ومضى فيروز نحو خراسان، فلمـا جاوز الـريّ زحف إليه أهل خراسان، فبلغهم أنه في جيش عظيم لا طـاقة لهم به. فقال لهم شيـخ قد كبـرت سنة: أنـا أبذل لكم نفسي، فقـد نلت من الدنيـا منالاً جليـلاً. قالـوا: ومـا ذاك؟ قـال: تقطعون يديَّ ورجليَّ ثم تلقونني على طـريق فيروز، فلعـل هلاكه على يـدي. فأبـوا عليه لجـلالته، فعـزم عليهم حتى فعلوا به. قال: فقـطعوا يـديه ورجليـه ورموا بـه على طريق فيروز. فلمَّا رآه فيروز سأل عنه فخُبِّر عنـه، وعرف جـلالته في قـومه، فسـألـه عن خبـره. فقـال الشيـخ: إني أمـرتهم بطاعتك وأعلمتهم أن لا طاقة لهم بك، ففعلوا بـي ما ترى. وعنــدي رأي تستبيحهم بـه وتبلغ لي منهم الشفــاء. قـــال فيروز: ما هو؟ قال: أُخرجك في برية حتى تـوافي الماء في ثـلاثة أيـام، ثم تخرج خلفهم فتسبقهم إلى بـلادهم، وتبلغ غاية مجيئك، فإنك إذا فعلت ذلك بهم أبدتهم.

فأمر فيروز بتزود الماء لثلاثة أيام. ثم رحـل آخذاً في المفازة مع الشيخ، فسار بهم ثلاثة أيام. فلما كانوا في اليوم الرابع سأله فيـروز عن الماء، فـأومأ إلى جبـل وقال: المـاء

فيـه، فسار أهـل العسكر على جهـد شديـد. فلمّا كـان من اليوم الخامس، سألوا الشيخ عن الماء فقـال: هل بقي منـه شيء؟ قـالوا: لا، وقـد سقط أكثر الـدواب والناس. قـال: هـذا الذي أردت بكم، فـاعلموا أنَّ أقـرب المياه هـو الذي تزودتم منه. فقتله فيروز، وطلب الماء فمـات دونه، وذهب أصحابه جميعاً.

وحكى هشام بن الكلبـي[1] عن شَرْقِي[2] قال: كنت مـع بعض الملوك ضُممت إليـه. فكنت أحـدثـه بـأحـاديث العـرب وأنسـابهـا، فـلا أراه يـرتـاح إلى ذلـك ولا تعجبـه. فاحتلت له حيلةً، فقال لي رجل من جلسائه: يا أبا المثنى، أيُّ شيء الغـريُّ في كلام العـرب؟ قلت: الغريُّ الحسن، تقـول (العـرب هـذا رجـلٌ غـريٌّ أي حسن)، وإنمـا سمي

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبـي، مؤرخ وعالم بالأنساب وأخبار العرب وأيـامها كـأبيه. وهـو من أهل الكـوفة ولـه تآليف عديدة وأكثرها في أنسـاب العرب وبيـوتاتهـا وأيامهـا: توفي في مطلع القرن الثالث للهجرة.

(٢) شرقي: هو الـوليد بن حصين بن حبيب الكلبـي، عـالم بالأدب والأنساب من أهل الكوفة: وقد أوكل المنصور إليه تـدريس ابنه المهدي الأدب. وكان راويـة صاحب قصص وسمـر. توفي في أواسط القرن الثاني للهجرة.

الغـريين[1] لحسنهما في ذلـك الزمـان. وإنما بنى الغـريّان على بناء غريين بناهما ملك بمصـر، وجعل عليهمـا حرسـاً فمن لم يُصـلِّ لهما قُتـل. إلاّ أنه يُخَيَّـر خصلتين ليس فيهما النجـاة من القتل، ولا المُلْك. ويُعـطى ما يتمنى ثم يُقتـل. فعُمِّر بذلك دهراً. فأقبل قصَّار[2] من أهل إفريقية مـع حمار له كذين[3] يريد مصراً، فمرَّ بهمـا فلم يُصلِّ لهمـا. فأخـذه الحـرس فقـال: مـالي؟ قـالـوا: لم تصـلِّ للغـريين. قـال: لم أعلم. فـذهبوا بـه إلى الملك، فقـالـوا: هـذا لم يُصـلِّ للغريين. قال: ما منعك أن تصلي لهما؟ قال: لم أعلم وأنا غريب من أهل إفريقية أحببت أن أكون جارك أغسل ثيابـك وثياب خدمك وأُصيب في كنفك خيـراً، ولو علمت لصلَّيت لهمـا ألف ركعة. قـال له: تَمَنَّ. قـال: وما أتمنى؟ قـالوا: لا تتمنى المُلْك، ولا أن تنجـو بنفسـك من القتـل. قـال:

---

(١) الغريان: يقـال إن المنذر الثـالث أحد ملوك الحيـرة أقام بنـائين حسنين، وجعل في كل سنة يومين، يوم نعيم ويوم بؤس. وأول من يطلع عليه في يوم النعيم يعطيه مائة من الإبل، ويـأمر بقتـل أول من يطلع عليه في يوم البؤس ويطلى بـدمه الغـريين. راجع التفصيلات في: تاريخنا بأسلوب قصصي، ص ٣٨ ــ ٤١.

(٢) القصار: مبيض الثياب ومنظفها.

(٣) الكذين لم نجد لها في القامـوس معنى: ولعله يقصد بهـا التفر وهو السير الذي يربط سرج الدابة.

فأقبل به وأدبر، فأبى أن يفعل. (ثم) قال: فإني أتمنى عشرة آلاف دينار. قال: عليَّ بعشرة آلاف دينار. قال: بريد. فدُعيَ له ببريد، فكتب: إذا أتيت إفريقية فسل عن منزل فلان القصَّار، فادفع هذه العشرة آلاف دينار إلى أهله. فقيل: تَمَنَّ الثانية. قال: ضربُ كل واحد منكم بهذا الكذين ثلاث ضربات: واحدة شديدة، وأخرى متوسطة، وأخرى دون ذلك. قال: فارتاب الملك ومكث طويلاً، ثم قال لجلسائه: ما ترون؟ قالوا: لا نرى أن تبطل سُنَّةً سنها آباؤك. قالوا: فيمن تبدأ؟ قال: أبدأ بالملك ابن الملك الذي سنَّ هذه السنَّة. فنزل (الملك) من سريره، ورفع القصار الكذين فضرب به أصل قفاه فسقط على وجهه. فقال الملك في نفسه: ليت شعري، أي الضربات هذه؟ والله لئن كانت الهينة ثم جاءت الوسطى والشديدة لأموتنِ، ونظر إلى الحرس وقال: يا أولاد الزنا تزعمون أنه لم يُصلِّ، أنا والله رأيته يصلي، خلوا سبيله، واهدموا الغريين. فضحك حتى جعل يفحص برجله، وأقبل عليَّ واستحبني[1] ووصلني.

حكى بكَّار بن ماهويه، أن ملكاً من ملوك الهند له

(١) في ب: «واستخفى».

وزيـر يعمل بـرأيه. وكـانت البراهمـة تبغض ذلك الـوزيـر، وتتمنى موته أو موت الملك، ليستريحوا منه. فمـات الملك وصار ابنه في مكـانه، واتخـذ ذلك الـوزير وزيـراً كما كـان لأبيه. فثقل ذلـك على البراهمـة فاحتـالوا لـه. وملوك الهند لا تخـالف البـراهمـة، لأنهم أصحـاب الـدين والـزهـد في الدنيا. فاحتالت البـراهمة بكتـاب افتعلوه على لسان الملك الميت، وشبهوه بخطه وبكلامه وخاتمه، إلى ابنه يعلمه أنـه قد صار إلى كل ما يحب وإلى كل خير ونعيم. وأنـه لا يفقد شيئـاً إلّا وزيره ذلـك، وسألـه أن يُبِرَّه ويؤنسـه بـالبعث بـه، ودسُّـوا الكتاب مـع رجل زعمـوا للملك أنـه كـان مـات ثم عاش. وأن الملك أرسله بكتابه إلى ابنه. فلما صار الكتاب إلى الملك الثاني ابن الملك الأول اغتمَّ لذلـك، ولم يشك أن الخبر حق. فدعا وزيره فدفع إليه الكتاب؛ فكـره الوزيـر أن يقـول لـه إن هـذا مفتعـل فـلا يصـدقـه. ولا يقـدر على تكذيب البراهمة.

فقـال الـوزيـر للملك: أصلح الله الملك، هـذا خط أبيـك وكلامـه وخاتمـه، وأنا أرى أن يـوجهني الملك إليه. فسُرَّ (الملك) بذلك، فقال لـه الوزيـر: ما شيء آثـر عندي من اللحـاق بسيدي، فـابعث (بـي) إليه، وليكن على جهـة الكرامة منك لي. قال: وما جهة الكرامة؟ قـال: أَمضي إلى

منزلي، فأعهد إلى أهلي وولدي بما أريد، ثم يعدني الملك يوماً ليصير فيه إلى منزلي، هو وجماعة أهل مملكته حتى أحرق نفسي بالنار، وأصير إلى سيدي، وأظهر السرور بذلك. فأجابه ابن الملك إلى ما سأل، وقال: ذلك لك.

وكانوا لا يقتلون بالسيف إنما يحرقون بالنار. فعمد الوزير فحفر سَرَباً[1] في داره إلى حجرة بعيدة منها قد أعدَّ فيها ما يكفيه من الطعام لسنين. وجعل على فُوَّهته دكاناً[2] هال فوقه تراباً يسيراً قدر ما إذا ضربه الضارب برجله خُسِف. وأمر بجمع الحطب، فجُمِع قريباً من ذلك السرب. وهيأ له طريقاً شبيهاً بالزقاق، وبنى حائطاً حول ذلك الموضع. وطلب رجلاً مات من يومه وأخذه فوضعه تحت الحطب.

وحضر الملك والبراهمة والناس، وأخذ الوزير شعلة نار ليشعل بها ذلك الحطب، والناس ينظرون إليه بعد أن ودَّعهم، يُريهم الاستبشار بما هو فيه. فلما اشتعل الحطب وعلا الدخان وستره عنهم، ضرب رأس النقب فصار في ذلك السرب وتوارى شهراً، واشتعلت النار وفاح ريح (لحم) الميت في النار. وكان قد جعل لرأس السرب طبقاً

---

(١) السرب: الممر تحت الأرض.

(٢) الدكان: شيء كالمصطبة يقعد عليه.

متهدماً من حجارة في جملة حجارة فرش بها الدكان، فأعاده إلى مكانه ودعمه من تحته.

ولم يشك الملك والبراهمة والناس في احتراق الوزير لما رأوا عظاماً محترقة ظنوها عظامه. وسُرَّ البراهمة بذلك لهلكته. فمكث حولاً ثم أتاه بعد زمان على لسان الملك يتشكر له إرساله إليه بوزيره. ويخبره أنه قد رأى أن يؤثره به لحاجته إليه ولِمَا بلاه من نصيحته وطاعته. ويسأله أن يعينه ويؤنسه ويكرمه، بأن يوجه أربعة آلاف من البراهمة ليسألهم عن أشياء به حاجة إلى علمها من جهتهم. فلما أتاه لم يشك أنه صادق، وأنه قد كان احترق ومات ورجع من عند أبيه إليه. فجمع البراهمة وقد هيأ لهم حطباً كثيراً وأظهر لهم ما تحمله الوزير عن أبيه إليه. فقالوا: أيها الملك، أبوك مات وصار تراباً. فقال: قد كذَّبتم أنفسكم بالكتاب الذي ذكرتم أنه جاء من عنده، فأحرقهم ورجع كيدهم عليهم.



الباب السابع عشر
في دَفعِ مَكْروهٍ بِلُطفٍ

حُكِيَ أن عبد الله بن عليّ لما انهزم من نصيبين[1] عن أبي مسلم، صار إلى البصرة إلى أخيه سليمان بن عليّ، فاستخفىٰ عنده. وكتب سليمان إلى أبي جعفر المنصور يسأله لعبد الله بن عليّ أماناً. فكتب المنصور لعبد الله أماناً لم يستقصه[2]، فردَّ الأمان على المنصور وخبَّره بما فيه. فقال: مَنْ يفهم (مثل) هذا بالبصرة؟ قيل له: ابن المقفع. فعزل المنصور سليمان بن عليّ عن البصرة وولاها سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب. ثم كتب إلى المهلبي يأمره بقتل ابن المقفع. وكان عبد الله بن المقفع كثيراً ما يستهزىء بسفيان بن معاوية. فحضر حين

---

(١) نصيبين: مدينة حصينة تقع في الجزيرة قرب جزيرة ابن عمر، وقد جرت عندها الموقعة التي انتهت بهزيمة عبد الله بن علي، وانتصار جيش المنصور بقيادة أبي مسلم الخراساني.

(٢) استقصى: بلغ في الأمر غايته.

ولي البصرة أهل البصـرة وفيهم ابن المقفع، فـذكر بحضـرة سفيـان الـوطيس[1] فلم يعـرفـه، فسـأل عنـه فضحـك منـه ابن المقفع.

وكان الكتاب قد ورد على سفيان بقتله. فلمـا انفصل النـاس عن مجلس سفيـان بن معـاويـة، أمـر ابن المقفـع بـالجلوس. حتى إذا (خلا) دعـا بتنـور عـظيم، ثم أمـر بـه سفيـان فسُجِـر[2] حتى بلغ غـايتـه. ثم قـال لابن المقفـع: أتضحك مني لِمَ لا أعرف الوطيس، أليس التنور المُسجَّـر؟ قـال: بلَى. قال: فـوالله لأقتلنك بـه. قال لـه ابن المقفع: لا تقتلني فإن خلفي من قريش من يطلب بدمي. قال: فأمـر سفيان فطُرح في التنور فاحتـرق، وكتم سفيان خبـره، وفُقد ابن المقفع، فاتهم به سفيان.

فشخصت جمـاعة من قـريش كان ابن المقفـع أسلم على أيديهم، إلى المنصور يتظلمون من سفيـان بن معاويـة ويذكرون له أنه قتل ابن المقفع. وحضر سفيان فأنكر ذلك. فتشاهدوا عليه بقتله بالظِّنة[3]. فدعا المنصـور سفيان فخَـلاَ به، فقال: أوهم (أن) ابن المقفع عندك. ثم دعا بالقـرشيين

---

(١) الوطيس: التنور.

(٢) سجر التنور: أحماه.

(٣) الظنة: الشبهة.

فقال: شهدتم أن هذا قتل صاحبكم، فإن ظهر حيًّا فدماؤكم وأموالكم رهن به إن كذبتم في الشهادة. فظن القوم أن ابن المقفع لم يُقتل، فلجلجوا[1] في الشهادة وشكوا فيها، فدرأ[2] القتل عن سفيان.

وحُكِيَ أن مزدك[3] كان من أهل الشام، فصار إلى ناحية فارس، فأفسد أكثر أهلها، وانقلبت معه العامة، وكان ذلك على عهد قباذ أبي أنوشروان، فخافه قباذ على المملكة فتبعه[4]. فأمر مزدك الناس بإباحة الفروج وأن لا يمنع الرجل من أراد امرأته. وقال لقباذ: لا دين لك أو تخرج امرأتك في أفضل زيها حتى ينالها كل من أراد. قال أنوشروان: كنت أطلب إلى مزدك في أمي أن لا يبيحها وأقبِّل رجليه، ولا أنسَى ريح جوربه ونتنه. ثم قال مزدك لقباذ: إن النار تطلب كبدك. وحفر حفيراً من ناحية حتى أخرجه تحت كرسي تحت باب بيت النار، وجعل تحت النار أنبوباً من حديد. وأدخل في الحفير رجلاً، فكلما تكلم

---

(١) لجلجوا في الشهادة: ترددوا فيها.

(٢) درأ عنه: دفع عنه.

(٣) المعروف أن مزدكاً فارسي الأصل، على أن الروايات وإن اختلفت في محل ولادته، فليس في أحدها إشارة إلى نشأته في الشام.

(٤) في ب «فمنعه».

الرجل الذي في الحفير تحت النار، سُمع من جـوف النار. ثم قال مزدك لقباذ: أدخل بيت النار لتسمع ما تطلب النار.

فدخل قبـاذ وابنه أنـوشروان، فسمـع من جوف النـار صوتاً يقول: أريد كبد قباذ. فقـال قباذ: أقتـل نفسي لطاعـة النار. فقال له أنوشروان: إن النار لا تتكلم وهذه مخرفة[1]، فاهدم كرسي النار لتعلم الحيلة. فقال قباذ: هـذا من كفرك إذ تأمرني بهدم كرسي النار، فاتخذ أنوشروان حديـدة طويلة حـادة وهي المحشّة، ثم قـال لقبـاذ: عـد إلى النـار، حتى يتضح لك الخبر. فعاد فسمعها تطلب (كبـد) قباذ. فـأدخل أنـوشروان المحشّـة تحت الكرسي وغمـزها غمـزاً شديـداً، فـوقعت في جنب الـرجــل الـذي كــان يتكلم تحت النـار فصاح. ففهم قباذ المخرفة، وأمسك تخوفاً من مزدك وكثـرة من تبعه.

وكان لدار أنوشروان بستان واسع فحفر فيه اثني عشـر ألف بئر، ووضع مع كل بئـر جصًّا وجـرة ماء. ثم مـال إلى مـزدك بـالتعـظيم حتى أنس بـه، ثم قـال لـه أنـوشـروان: احضـرني من ساعـدك على دينك ليبـايعوا لي بـالملك بعد أبـي وأكـون على دينـك. فـأحضـرهم مــزدك، فقـال لـه

(١) المخرفة: فساد العقل، وخرّفه نسبه إلى الخرف.

أنوشروان: ليدخل عليَّ منهم عشرة من وجوههم، فإذا بايعوا دخلت عشرة من وجوههم. وهيأ رجالاً معهم السيوف ورجالاً لِما أراد.

فدخل مزدك ومعه عشرة رجال، فأمر بهم فاختُلِسوا[1]، فنُكِّس كل رجل منهم في بئر وصب الجص والماء عليه، فلم يبرز منه إلاَّ رجلاه. ثم أدخل من أصحاب مزدك عشرةً عشرةً، ففعل بهم مثل ذلك. حتى أتى على اثني عشر ألف رجل[2]. وقيل للباقين انصرفوا إلى الغد، وهم يظنون أن أصحابهم في منازلهم.

ثم بعث إلى أبيه قباذ فقال له: انظر إلى حسن بستاني. فرأى قباذ أرجلاً شائلة. فقال أنوشروان: هؤلاء مزدك وأصحابه. فجزع قباذ. فقال له أنوشروان: أنِ اسكت وإلاَّ لحقت بهم، فأمسك. وأخرج أنوشروان مزدكاً فصلبه فسكن الناس.

حُكيَ أن مروان الحمار[3]، طلب العباسيين لما ابتدأ

---

(١) اختلس: أخذ خلسة من الآخرين.

(٢) تلاحظ المبالغة في الأرقام.

(٣) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في الشام. انتزع الخلافة من إبراهيم ابن الوليد الأول. وكان مروان جلداً صبوراً فلقب بالحمار.

أمرهم يزيد، ووقعت البيعة سرًّا لإبراهيم بن محمد[1]، فلم يجدهم. فوجّه رجلاً من قواده يقال له العكّي[2] في أربعة آلاف جريدة على الخيل[3]، وأمره أن يأخذ في برية ويتتبع آثار بني العباس، وأين سلكوا، ويقتل كل من وجد منهم. فخرج العكّي لما أُمر به. وخرجت بنو العباس هاربين إلى العراق، وهم إذ ذاك ومن معهم من أتباعهم ومواليهم سبعون رجلاً. فبيناهم يسيرون إذ نظروا إلى غبرة عسكر العكّي، فتشاوروا بينهم. فقال بعضهم: نقاتله، وقال بعضهم: نجحد أننا من بني العباس. فقال لهم عيسى بن عليّ بن عبد الله بن العباس[4]: أما القتال فليس لقتال

---

(١) إبراهيم بن محمد، ويعرف بإبراهيم الإمام، وهو زعيم الدعوة العباسية ومؤسسها. كان يسكن في الحميمة قرب معان. وقد أوصى له أبوه محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بالإمامة. وقد نشط في نشر الدعوة لبيته. واكتشف قابليات أبي مسلم الخراساني فولاه رئاسة الدعوة في خراسان. وعلم به مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية فقبض عليه وسجنه ثم قتله في السجن. فعهد إبراهيم بالبيعة من بعده لأخيه أبي العباس السفاح، الذي قدر له أن يكون أول خلفاء بني العباس.

(٢) في أ: «العلي».

(٣) الجريدة: وحدة من الجيش وهي أصغرها.

(٤) عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، من علماء بني العباس، =

سبعين رجلاً على دواب ضعاف وحمير لأربعة آلاف على الخيل وجه، وأما الجحد لأنسابنا فإن هذا لا ينكتم والقتل خير منه، ولكن دعوني وإيَّاه. قالوا: شأنك.

فحرَّك دابته، فلما بلغ عسكر العكِّي فسأل عنه فخُبِّر به فلقيه، فقال له: عندي نصيحة، فأخْلِني. فخلا به. فقال: إن الكذب شر ما استعمل، وهذه بنو العباس خلفي، وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنهم سيملكون، فوالله لو لم يبقَ منهم إلاَّ واحد لمَلَك. ومنا قوم بالعراق وقوم بالحجاز، فإن صفحت جزاك الله خيراً (أولاً) وجازيناك بعده (ثانياً)، وإن لم تصفح فها هم أولاءُ ولا يدٌ بينك وبينهم إلاَّ يد الله. قال العكِّي: لا والله ما كنت لأخلف رسول الله ﷺ في أهله بالقتل، فامضِ إلى أصحابك آمناً وهم آمنون. وقال لأصحابه: إن هذا الرجل خبَّرني أن بني العباس أخذوا في طريق غير هذا الطريق، فامضوا بنا نعارضهم، فصرف أعِنَّة خيله. فلما ولي بنو العباس الأمر بلغوا بالعكِّي مبلغاً جميلاً.

= ولد في مكة وسكن بغداد حتى وفاته سنة ١٦٤هـ. وهم عم السفاح والمنصور. وكان ناسكاً معتزلاً أعمال الدولة فلم يتولَّ أي عمل رسمي. قال عنه الرشيد: كان عيسى بن علي راهبنا وعالمنا.

وحُكِي أن إسحاق بن إبراهيم الطاهري شكا إلى المأمون أن قوماً من جيرته من مشايخ الحربية[1] لا يزالون يثبتون على غلمانه وأتباعه، فينالونهم بالشتم والضرب والاستخفاف. وإنه ربما مرَّ بهم فسمع الشتم والتنقص منهم. ويسأل المأمون أن يطلق له الانتصار منهم. فقال له المأمون: هؤلاء أهل مدينة السلام وأبناء الدولة فلا تعاودني في شيء من أمرهم، واحتمل ما يكون منهم حتى ابتدئك بالمسألة عنهم وآمرك فيهم بما يصلح أمرك.

فأمسك إسحاق، وبعث المأمون إلى جيران إسحاق من سألهم سرًّا، وكتب منهم كل بذيء متسرع من مشايخ أهل خراسان. ثم بعث ثقة من قبَله على لسان إسحاق إلى كل واحد منهم بصلةٍ وأعلمهم أنها دارَّةٌ[2] لهم في كل سنة، وأمره بكتمان ذلك، وأعلمه أنه خصَّه بالصلة دون سائر نظرائه. فسكن عن إسحاق تعنت[3] القوم، وأخذوا

---

(١) الحربية: هم الجند العرب وكلهم من المشاة، وقد نسبوا إلى محلة الحربية إحدى محلات بغداد التي سميت باسم حرب بن عبد الله البلخي أحد قواد المنصور.

(٢) دارّة: مستمرة.

(٣) التعنت: الشدة والقسوة في المعاملة. وفي نسخة ب: «تعيُّث».

على أيدي سفهائهم. وبلغ إسحاق عنهم من جميل الذكر ضد ما كان يبلغه. حتى إذا علم المأمون أن ذلك قد ظهر منهم لإسحاق قال له: يا إسحاق، ما حال جيرانك؟ قال: يا أمير المؤمنين حالوا عما كانوا عليه[1]، وحَسُنَ قولهم وأمنت على داري منهم. قال المأمون: يا إسحاق، هذا بما لم يبلغه رأيك. فإني قد بثثت على لسانك مَنْ وصلهم، فاجعل هذه الصلة في كل سنة من مالك. فإنما أنتم بشر، وإذا استأثرتم على نظرائكم أفسدتم قلوبهم، فآسوا الناس تصفُ لكم نياتهم.

وحكى المدائني أن فتيين كانا يتنادمان، ولكل واحد منهما امرأة، فأرسلت امرأة أحدهما إلى صديق زوجها تدعوه إلى نفسها؛ فأبى ذلك عليها بالمحافظة منه على صاحبه. فألحَّت؛ فلما أبى، أرسلت إليه مع مولاه: لئن لم يفعل ويجيبها إلى ما دعته إليه لتقولَنَّ لزوجها إنه قد راودها عن نفسها، وإنها امتنعت منه. فأحب الرجل أن يحتال لها بحيلة لا يخون صاحبه معها، ولا يلجئ المرأة إلى أن تقول عليه ما تهددته به. فأرسل إليها. إذا ما أبيتِ[2] وكان هذا منك الجد، فأنا والله أعشق لكِ منكِ

---

(١) حال عما كان عليه: تحول عما كان عليه.

(٢) في أ «إذا كنتِ».

لي، ومـا كان يمنعني من طلبـك إلاَّ مخافـة أن لا تجيبيني، وأن تَنُمِّي عليَّ عند زوجك. وليس لي منزل يحتمل دخولك ولا أثق بـأحد، وليس منـزلي بأجمـل لكِ وأجـدر أن يمكننا الاجتمـاع فيه من منـزلك. فـالرأي أن تقـولي لزوجـك إنك تريدين زيارة أهلك يوم كذا، وأقول له إن لي صديقـة أحب أن أجيء بها إلى منزلك، فإذا صرتِ إلى أهلكِ، وانسللتِ مع مولاتي هذه إلى منزلكِ وأصير أنا فيه إليكِ. وكأنكِ أنتِ التي أعلمته أنها تزورني. فأجابته إلى ذلك.

فأرسل إليها إني لست آمن أن يظهر شيء من أمرنـا، ولكني أريـد إذا بلغه شيء من هـذا أن أحلف له أنـك امرأة ما رأيت لكِ وجهاً قط، ولا كلمتكِ كلمة ولا كلمتين، فأصير إليـكِ في الظلمـة مراراً حتى نـأمن ونطمئن. فـأجـابتـه إلى ما قال، وفعلت ما أمرهـا به. فلمـا صارت إلى منـزل أهلها ورجعت إلى منزلها مع مولاتـه. وقد كـان قال لـزوجها: إن صديقته تلك تـأتيه. فلمـا أمسى وصارت تلك إلى منـزلها، قال: إن صديقتي قد جاءت، وأراه أنه يدخل إليها. واندس في موضع لم يصر إليها منه، ولم تعلم (بمكانـه). وقد قـال لـزوجها: إني قـد احتلت لصديقتي بحيلة لأحملك عليهـا، فقلت لهــا لا أراكِ ولا تــرينني، ولـتكــونـي في ظـلمــة، ولا تكلمينني ولا أكلمـك. فلمـا رجــع إلى زوجهـا قــال:

ما رأيت أطيب منها قط فدونك فادخل إليهـا. (فدخـل) وهو يرى أنها صديقة صاحبه، وهي ترى أنه صديق زوجها. وقد سأله صديقه أن يقطع من شعرها خصلة وخرج ودفـع الشعر إلى صديقه.

فلمـا صـار في يـده ووثق بنفـاذ كيـده وحيلتـه، قـال لمولاته التي كانت الرسـول بينهما: اعلميهـا أن زوجها هـو الذي صار إليها، وقد قـطع في شعرهـا خصلة ودفعها إليَّ، وأخبرها كيف احتال لها. فانصرفت إلى أهلهـا وأرسلت إليه تحلف له أنها لا تعود لمثلها أبداً.

وحكى الهيثم بن عـديّ، عن ابن عيـاش قـال: قـال عبيد الله بن زياد ابن ظبيان[1]: إيَّاكم والـطمع فـإنه يُـردي، والله لقـد هممت أن أفتك بـالحجاج وأجمعت عليـه، فإني لواقف على باب ديـر الجماجم، إذ أنـا بالحجـاج قد خـرج على دابة ليس معه غلام، فأجمعت على قتله، وكأنه عـرف

(١) عبيـد الله بن زيـاد بن ظبيـان البكـري، فــاتـك من الشجعــان وفارسي جريء. كـان مقربـاً من عبد الملك بن مـروان وحارب معـه ضد مصعب بن الـزبيـر، وهـو الـذي حمـل رأس مصعب عندما قتـل، إلى عبد الملك. خـرج على الحجاج وهـرب إلى عمان فمات هناك في سنة ٧٥هـ.

مــا في نفسي فقــال: لقيتَ ابن أبـي مسلم[1]؟ قلت: لا، قال: فالْقه فإن عهدك معه على الريّ. قال: فكففت وأتيت يزيد بن أبـي مسلم فسألته، فقال: ما أمرني بشيء.



(١) هو يزيد بن دينار، وكنيـة أبيه أبـو مسلم. كان من مـوالي ثقيف واتخـذه الحجاج كـاتباً لـه، فظهـرت مواهبـه فولاه الخـراج في العـراق، وأقـره الـوليـد ابن عبـد الملك على ذلـك. ثم ولاه سليمان بن عبد الملك ولاية أفريقية وبقي فيها حتى اغتيـل سنة ١٠٢هـ .

الباب الثامن عشر

لُطفِ التَّدْبيرِ في دَفعِ مَكرُوه[1]

حُكيَ أن تأبط شرًّا[2]، وهـو ثابت بن جـابر الفهمي، أغـار هو وعمـرو بن برّاق[3] ومعهمـا الشنفـري الفهمي[4]، وهم رجَّالة على بَجِيلَة[5]. فأقعدت بجيلة لتأبط شرًّا رجـالاً

(١) سقط هذا العنوان في نسخة ب.

(٢) وهو من أهل تهامة، فاتك جاهلي من الشعراء الصعاليك. كـان شـاعراً فحـلاً وعـداء مشهـوراً، يقـال إنـه كـان يـطارد الـظبـاء فلا تفوته.

(٣) وهو من الفتاك العدائين كذلك في الجاهلية.

(٤) هو عمرو بن مالك الأزدي من قحطان. شاعر جاهلي من الفتاك العـدائين. وكان خليعـاً تبرأت منـه قبيلته لسـوء فعلاتـه. وكـان مضرب المثل في العدو فيقال أعدى من الشنفري. وهو صاحب قصيدة لامية العرب المشهورة التي شرحها الزمخشري في كتابه أعجب العجب.

(٥) بجيلة: قبيلة عدنانية، من أشهر بطونها قسر، التي منها خالد بن عبد الله القسري.

على الماء. فأقبل تأبط شرًّا وصاحباه في الليل يريدون الماء. فلما قربوا منه قال تأبط لصاحبيه: إن بالماء رَصْداً[1] وإني لأسمع وجيب قلوب على الماء[2]. قال صاحباه: ما بالماء أحد! وما هذا (إلاّ) وجيب قلبك. قال: لا والله ما وجب قلبي قط. قال: فمضى الشنفري فشرب، ثم رجع فقال: ما على الماء أحد. قال تأبط شرًّا: بلى! ولكنهم لا يريدون غيري.

ثم مضى عمرو بن برّاق فشرب، ثم رجع فقال: ليس على الماء أحد. قال تأبط شرًّا: بلى! ولكنهم لا يريدون غيري، ثم قال: إني ماضٍ إلى الماء، فإذا شرعت فيه فإن الرجال سيأخذونني ويكتفونني. فأمّا أنت يا شنفري فاقعد خلف تلك الصخرة، وأومأ إلى صخرة بقرب الماء؛ فإذا سمعتني أقول: خذوه، فاقبل إليَّ فاطلق عني وثاقي. وأما أنت يا ابن برّاق، فأطمعهم في نفسك، حتى إذا خرجوا في إثرك فلا تبعد (عنهم حتى يبعدوا) عني، ثم النجاء. فلما ورد تأبط شرًّا، وأثبته[3] الرجال وأوثقته بوتر وشدوا يديه إلى رجليه. وقعد الشنفري عند الصخرة، وجعل ابن برّاق

---

(١) الرصد: المراقبون، ومفردها الراصد.

(٢) وجيب القلوب: خفقانها.

(٣) واثبه: بادره وانقض عليه.

يتراءى للبجليين. فقال لهم تأبط شرًّا: إن صاحبي هذا قد كبرت سنه وهو موسر، فعدوه أن تتآسروا عليه في الفداء[1] حتى يتأسَّر فيفديني ونفسه. قالوا له: ناده أنت. فقال تأبط شرًّا: ويحك يا ابن برّاق، إن الشنفري قد نجا بنفسه ولا قوة بك على العدو، وقد وعدني القوم أن يتآسروا علينا في الفداء فاقبل إليَّ، فقال ابن برَّاق: حتى أرود[2] نفسي، فعدا قِبَل الجبل شوطاً، ثم رجع وقد دفع نفسه وهو يصيح، فطمع البجليون فيه فخرجوا نحوه. فقال تأبط شرًّا: خذوه، وجعل ابن بَرَّاق يطمعهم في نفسه، حتى إذا بعدوا حاضرهم[3] فلم يدركوه.

وخالفهم الشنفري إلى تأبط شرًّا فأطلقه. فلما عاد البجليون قال لهم تأبط شرًّا: ما فعل؟ قالوا: فاتنا حَضْراً[4] كأنه الريح. قال: فأعجبكم ذاك؟ قالوا: نعم. قال تأبط شرًّا: فسأريكم ما هو أعجب منه، ثم خرج هو والشنفري يفحصان في الأرض[5] لهما حفيف كحفيف الريح، ففاتاهم؛ وفيها قال تأبط شرًّا:

---

(١) يتآسر عليه في الفداء: يأخذه أسيراً ليفتدي نفسه.

(٢) الرود: الذهاب والمجيء.

(٣) حاضرهم: عداهم.

(٤) فاته حضراً: فاته عدواً.

(٥) يفحص في الأرض: يضرب الأرض برجليه.

نـجـوت منـهــا نجــائـي من بـجيـلة إذ
ألـقيـتُ ليـلةَ خَبْـت الــرهطِ أرواقـي[1]

وحُكيَ أن عبد الله بن عليّ عم المنصور لمَّا صار إلى المنصـور حبسـه، وهمَّ المنصـور بـالحـج، دعـا عيسى بن مـوسى[2] وكان ولي عهـد المنصور، فقـال له: خـذ إليـك عبـد الله بن عليّ فـإنــه عمي وعم أبيـك، ولا خــلافـة لي ولا عهـد لـك مـا عـاش فـاقتله. فـأخــذ عيسى بن مـوسى عبـد الله بن عليّ. فلمـا شخص المنصـور شـاور عيسى بن مـوسى شـريكــاً القـاضي[3] فيمــا قـال لــه المنصـور في

---

(١) خبت الرهط: اسم موقع، وألقى أرواقه: عدا فاشتد عدوه.

(٢) عيسى بن موسى بن محمد العباسي، أمير من الولاة القادة وهـو ابن أخي السفاح والمنصور. فاستنزله المنصور عن ولايـة العهد وأرضاه بمال وفيـر، وجعلها لابنـه المهدي. فلمـا ولي المهدي الخلافة خلعه من ولاية العهد. فأقام في الكوفة حتى توفي سنـة ١٦٧هـ . وكان أديباً وله شعر جيد.

(٣) هـو شريـك بن عبـد الله النخعي الكـوفي، كـان فقيهـاً عـالمـاً بالحديث. عرف بحدة الذكاء وسرعة البـديهة. وقـد ولي قضاء الكوفة للمنصور ولابنه المهـدي من بعده، واشتهـر بالعـدل في قضائه وأحكـامه. وقـد جاءت نفس هـذه الحكايـة في: «كتاب الـوزراء والكتـاب» بـاختـلاف في الألفـاظ، وإن الـذي شـاوره عيسى هو يونس بن أبـي فروة كاتبه وليس شريكاً القاضي. كمـا =

عبد الله بن عليّ. فقال له شريك: لا تقتله، فإن المنصور أراد أن يستريح منه على يديك، فإذا طولب به سلَّمك إلى أوليائه فيستريح منك أيضاً. فأخفى عيسى بن موسى عبد الله بن عليّ.

فلما صدر المنصور من حجه، سأل عيسى عن عبد الله، فقال: عملت فيه بالحزم. فبلغ الخبر إخوة عبد الله بن عليّ، وهم سليمان وإسماعيل وصالح وعبد الصمد، بنو عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، فأتوا أبا جعفر المنصور وهم عمومته فقالوا: أعطنا أخانا. فقال: هو عند عيسى بن موسى. فقال عيسى: يا أمير المؤمنين قد علمتَ ما قلتَ لي وقلتُ لك فيه. قال: ادفع أخاهم إليهم. فلما سمع ذلك إخوة عبد الله وثبوا على عيسى بن موسى وهم عمومة أبيه، يسحبونه. فلما نَحَّوْه عن المنصور قال لهم: على رسلكم، إن أخاكم عندي. ثم أخرجه، فنظر إليه إخوته فطابت أنفسهم. ثم سلَّمه إلى أمير المؤمنين فحبسه حتى مات عبد الله بن

= جاءت نفس الحكاية في: «مروج الذهب» باختلاف في الألفاظ أيضاً، وأن الذي شاروه عيسى هو ابن شبرمة. راجع: كتاب الوزراء والكتاب ص ١٣٠، ومروج الذهب ٢: ٢٤٤، ووفيات الأعيان ٢: ١٦٩ ــ ١٧١.

عليّ[1].

ووقع التباعد بين أمير المؤمنين المنصور وبين ابن أخيه عيسى بن موسى، فأراد خلعه وتولية العهد ابنه محمد بن عبد الله المهدي. فامتنع عيسى بن موسى من ذاك، فكتب رسالة كان آخرها:

خيِّرت أمرين ضاع الحزم بينهما
إما صَغارٌ وإما فتنة عمم[2]
وقد هممتُ مراراً أن أساقيكم
كأسَ المنية لولا الله والرحم
ولو فعلتُ لزالت عنكم نِعَمُ
بكفر أمثالها تُستنزل النقم

قال: فكتب المنصور إلى عيسى بن موسى رسالة كان آخرها:

وحدباء لو أطلقتها من عقالها
لضاق عليك الأفق والأفق واسع[3]

---

(١) راجع عن موت عبد الله بن علي: أسماء المغتالين، المجموعة السادسة، ص ١٩٢، ومروج الذهب ٢ : ٢١٤.
(٢) الصغار: الذلة والهوان، والعمم: ما كان عاماً يشمل الجميع.
(٣) الحدباء من الأمور: أشقها وأصعبها.

ولكنني تحتاطني من حفيظتي
تذكَّرُ أخرى تمتطيها الوقائع
مخافةَ أحداثٍ متى ما أصيح بها
تقف موقف الحيران والنقع ساطع[1]
فأبقِ على ما بيننا من قرابة
وراجع فخير المذنبين المُراجِع[2]
فإنك إذا وليت ذمة بيننا
شقاقاً تولتك السيوف القواطع



(١) النقع: الغبار.
(٢) المراجع: التائب، العائد إلى طريق الصواب.

الباب التاسع عشر
في مُدارة السُلطان

حدَّث أبو عبـد الرحمن عن شعبـة[1]، عن قتادة[2]، عن جابر بن زيد[3]، عن الربيع بن زياد الحـارثي[4]، قال:

---

(١) هو شعبة بن الحجاج العتكي: من أهل واسط وقد سكن البصرة وتوفي فيها سنة ١٦٠هـ. كان عـالماً بـالأدب والشعر ومن أئمـة الحديث، قضى حياته يفتش عن المحدثين ويـأخذ عن الثقـات منهم، حتى قـال الإمـام الشـافعي عنـه: لـولا شعبـة مـا عـرف الحديث بالعراق.

(٢) قتادة بن دعامة: عالم بصري، كان أحفظ أهـل البصرة، وإمـاماً في العربية ومفرداتها وأيام العرب وأنسـابها. تـوفي بواسط سنـة ١١٨هـ.

(٣) جابر بن زيد: تابعي من أهل البصرة، يعتبـر من أئمة الفقهـاء. صحب ابن عبـاس وأخذ عنـه، وكان من بحـور العلم. ويعتبـر مؤسس مذهب الأباضية. نفاه الحجـاج إلى عمان، وتـوفي سنة ٩٣هـ.

(٤) أمير فاتح، فتحت سجستان على يـده. أدرك عصر النبـوة وولي البحـرين، وقدم المـدينة أيـام عمر بن الخـطاب. كان شجـاعاً تقياً.

ما أظن أحداً خدع عمر بن الخطاب رضي الله عنه غيري، وأعوذ بالله أن أقول إنها خديعة، ولكنها توفيق من الله عز وجل: كنت عامل أبي موسى[1] على البحرين، فكتب عمر إلى أبي موسى: أنْ وافني بعمالك إذا صدرت عن الموسم. قال: فقدمنا مع أبي موسى، فلما كنا بصِرار[2] سبقت أصحابي إلى المدينة، فلقيت يرفا حاجب عمر رضي عنه، فقلت: يا يرفا، سائل ومسترشد، فأرشدني أرشدك الله. فقال: سل عما بدا لك. فقلت: على أي حال يُحب أن يرى أمير المؤمنين عامله؟ قال: يحب أن يراه أشعث أغبر ذميم الثياب عافي الشعر[3]. قلت: أي الطعام أحبُّ إليه؟ قال: ما جَشُب[4] وغلظ.

قال: فانطلقت إلى منزلي فتجوَّعت يوماً وليلة، ولبست أطماري[5]، ووافيت أصحابي بباب أمير المؤمنين عمر (يسحبون حللهم. فدُعيَ أبو موسى فدخل، ثم دُعيَ بنا) فدخلنا، فاصطففنا بين يديه. وصعَّد فينا البصر

---

(١) هو أبو موسى الأشعري.

(٢) صرار: وادٍ في الحجاز.

(٣) عافي الشعر: طويل الشعر.

(٤) جَشُبَ الطعام: خشن وغلظ.

(٥) الأطمار: مفردها الطمر وهو الثوب الخلق والكساء البالي.

وخفضه، فوقعت عينه عليَّ. فقال: هكذا. وأشار إليَّ أن أقبل، فدنوت. فقال: من أنت؟ قلت: الربيع بن زياد بن أنس بن الريَّان الحارثي. فقال بيده هكذا، أي تنحَّ. فتنحيت. فصعَّد فينا البصر وخفضه، فوقعت عينه عليَّ، فقال بيده أن أقبل، فدنوت، فقال لي: ما تلي من عملنا؟ قلت: البحرين. فقال: يا أبا موسى، كيف هذا؟ قال: كالخبر[1]. ثم قال بيده (أن تنحَّ فتنحيت، ثم صعَّد فينا البصر وخفَّضه، ثم قال بيده) أن أقبل، فدنوت، فقال: كم ترتزق؟ قلت: خمسة دراهم في كل يوم. قال: مع عطائك؟ قلت: نعم. قال: كثير، منذ كم وليتها؟ ثم قال بيده، فتنحيت. ثم صعَّد فينا البصر وخفَّضه، ثم قال بيده أن أدنُ فدنوت، فقال: كم أنت لك؟ قلت: أنا في ثلاثة وأربعين، يعني سنة. قال: ذاك حين استحكمت سنك. ثم قال بيده، فتنحيت. ثم صعَّد فينا البصر وخفَّضه، ثم قال: اجلسوا، فجلسنا. ودعا بطعامه، فأُتي بحفنة فيها ثريد مَلَّة[2]، ولحوم إبل، قال: فأما أصحابي فعهدهم بالطعام اللين حديث، وأما أنا فكنت جائعاً. قال: فأقبلت آكل وهو يلاحظني، ثم أُسقطت[3] بكلمة تمنيت أن تنشق بي

---

(١) أي كما تراه، فمظهره كمخبره.

(٢) ثريد الملة: ثريد الخبز المنضجة.

(٣) أُسقط: أخطأ.

الأرض فأدخل فيها، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو كان طعامك الذي تأكل ألين من هذا؟ فرفع رأسه، فقال: هيه، قلت: ماذا؟ فأدركتها، فقلت: لو كنت تعمد إلى قوتك من الخبر فيخبز لك في الساعة التي تريد أكله فيها أُتيت به ليناً، ولو نظرت إلى قوتك من اللحم فطبخ في الساعة التي تريد أكله فيها، أُتيت به غضًّا. قال: أَوَهناك فرق؟ قلت: نعم. قال: إنا والله لو شئنا أن نملأ هذه الرحاب التي ترى من صَلائق[1] وصِناب[2] وكَراكِر[3] وأسنمة[4] وسبائك، يعني خبز الرقاق، فعلنا، ولكن سمعنا الله يقول:

﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾[5].

ثم التفت إلى أبي موسى فقال: يا أبا موسى، إذا انصرفت إن شاء الله صالحاً فاعزل هؤلاء جميعاً، واترك هذا على عمله.

---

(١) الصلائق: مفردها الصليقة وهي اللحم المشوي المنضج.

(٢) الصناب: إدام يتخذ من الخردل والزيت.

(٣) الكراكر: مفردها الكركرة، وهي الصدر من كل ذي خف، وزور البعير الذي إذا برك أصاب الأرض، وهي ناتئة عن جسمه كالقرصة، وهي من أطايب ما يؤكل من الإبل.

(٤) الأسنمة: جمع سنام.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ٢٠.

وحَكى العبـاس[١] (عن) ابن عيَّاش قـال: حـدثت أبا العباس[٢] بحديث وأبو جعفر عنده، فضحك منه وقـال: أعـده عليَّ ففعلت. فلمـا استخلف أبـو جعفـر جئنـا لنسلِّم عليه، فلما انصـرفنا قـال لي عيسى بن روضة الحـاجب: يا ابن عيَّاش أجب أمير المؤمنين. فدخلت عليه فقال: حديث سمعتـك تحدِّث بـه أبا العبـاس أعده عليَّ. فقـال: زعمت الأعاجم أن أول من دوَّن الدواوين منهم، ومن ثغَّـر الثغور، وجبـى الفيء ووضـع لهم الآداب، أنوشـروان. وأنه قُـرِىء عليـه ذات يـوم كتـاب فيـه صفـة ملك سليمـان بن داود، ومـا أعـطاه الله سبحـانـه وسخَّـر لـه من الجن والإنس والشيـاطين، وأن الـريـح كـانت تُقِلُّه والـطيـر تُـظِلُّه، وكـان يُقَيِّـل[٣] بـإصـطخـر[٤] ويبيت بـالمـدائن[٥]. قـال: فقـام

---

(١) هـو العباس بن محمـد بن عبد الله بن العبـاس، أخو المنصـور والسفـاح. ولاه المنصور بـلاد الشام، كمـا أرسله لغزو الـروم، مات ببغداد سنة ١٨٦هـ.

(٢) يقصد أبا العباس السفاح أول خلفاء بني العباس.

(٣) يُقَيِّل: ينام القائلة أي نصف النهار.

(٤) إصـطخر: من أقـدم مدن فـارس، تقع قـرب شيراز، بنـاها دار الأول واتخذها عاصمة له. وقد سماها الرومان برسيبوليس.

(٥) المـدائن عاصمـة الفرس في العـراق، تقع على دجلة جنـوبـي بغداد. وآثارها عند سلمان باك الآن، ومن بقاياهـا القائمـة طاق كسرى.

أنو شروان من مجلسه خائر النفس متغير اللون، فأقام ثلاثةً لا يأذن لأحد. ففزعت الأعاجم إلى الموبذ، وكان قاضي القضاة عندهم فقالوا: أقام ثلاثة من غير عِلَّة ولا مكروه نزل به، وهذا وهن شديد في المملكة. قال: فدخل عليه الموبذ، وكان لا يحجب عن الملوك عند نسائهم كانوا أو عند غيرهن، فكلمه في ذلك. فقال: أوَ ما تدري ما نزل بي؟ قال: لا، قال: قرىء عليَّ كتاب فيه صفة ملك سليمان بن داود، وما سُخِّر له، فصغر ملكي في عيني حتى صار ذبابةً. قال: وهذا صيَّرك إلى ما أرى؟ قال: نعم. فقال: قد سُخِّر لك ما لم يُسَخَّر لسليمان بن داود. قال: وما هو؟ قال: أهل ميسان[1] وأهل الأنبار[2]. فضحك، ثم قال: هات يدك. فخرج إلى أهل مملكته.

حُكيَ أن ملكاً كان له وزير صالح لا يأمر إلَّا بالخير،

---

(١) ميسان: كورة واسعة كانت بين البصرة وواسط وفيها قرية بها قبر العزير.

(٢) الأنبار: مدينة على الفرات غربي بغداد. أسسها الفرس وكانوا يسمونها فيروز سابور. وقد جددها أبو العباس السفاح وبنى بها قصوراً واتخذها عاصمة له أقام فيها إلى أن مات، ولما ولي المنصور الخلافة انتقل منها إلى الهاشمية التي أسسها السفاح وأقام فيها حتى تم بناء بغداد.

ولا يحضُّ إلَّا عليه. وكان الملك يبغض النُّسَّاك، وكان الوزير يُقبل عليهم. فحسده قرابة الملك (فأتوا الملك) فقالوا: إن هوى الوزير إنما هو يعزم أن يخرجك من ملكك. فإن أردت أن تعلم ذلك فقل له: إني قد عزمت أن أُودِّع ملكي وألْحق بالنُّسَّاك بالجبال. فإنك سترى من قبوله ذلك وسروره ما يدلك على ما قلنا. ففعل الملك ذلك، فرأى ما قالوه وتبيَّن ذلك في وجه الوزير.

فانصرف الوزير كئيباً حزيناً. وكان في بعض مسيره مرَّ برجل ظاهر الزمانة[1]، فقال له: أيها الوزير، ضمّني إليك فإن لك عندي خيراً. قال: وما ذاك؟ قال: إني رجل أرتق الكلام. قال: وما رتق الكلام؟ قال: إذا وجدت فتقاً رتقته. قال له: أنا فاعل ذلك، وإن لم يكن عندك نفع. فذكر الوزير قوله، فدعا به، فقال: أما تفعل الذي وعدتَ؟ قال: قُصَّ عليَّ قصتك وما دهاك. فقصَّ عليه قصته وقصة الملك وصحبته إياه، وما دهاه في عثرته. فقال له: حسدك قرابته فأتوه فقالوا له: إنه يريد إخراجك من ملكك، فإن أردت أن تعلم ذلك فاستَبِرْ ما قِبَلَه. والحيلة في هذا أن تلبس المسوح[2]، وتأتي الملك في الغَلَس[3]، فإذا علم

(١) ظاهر الزمانة: ذو عاهة، مقعد.

(٢) المسوح: الكساء من الشعر يلبس على البدن تقشفاً.

(٣) الغلس: ظلمة آخر الليل.

بمكانك فدعا بك فسأل عن قصتك، فقل له: دعاني الملك إلى أمرٍ الموت أهون عليَّ منه، ولكني كرهت خلافه. فإنه سيتحلل ما في نفسه[1]. ففعل ذلك فوقع من الملك بحيث قال.

حدَّث هشام بن الكلبي قال: أَغار امرؤ القيس بن المندر جد النعمان على النَّمِر بن قاسط[2]، فأسر ناساً كثيراً، وأخذ ماء السماء بنت عوف بن جشم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر بن الضحيان[3] النمرية، وهي امرأة أبي حوط النمري، وقد ولدت له جابراً. إذ كان جابر بن أبي حوط أخا المنذر بن امرىء القيس لأمه. فورد بهم الحِيرة، فحظر[4] لهم حظائر وهمَّ بأن يحرقهم. فكلمه أبو حوط في امرأته، فقال: نخيِّرها فإن اختارتك دفعتها إليك، وإن اختارتني أمسكتها، فقال: نعم.

وبعث أبو حوط إلى امرأته: إن الملك يبعث إليك يخَيِّرك فيَّ وفي نفسه، وليس بتاركك، فقولي أختار والله

(١) يتحلل ما في نفسه: ينثني عما في نفسه.

(٢) النمر بن قاسط: من زعماء بني أسد في الجاهلية وكان له بالمدينة عقب كثير ارتد جماعة منهم أيام أبي بكر فحاربهم خالد بن الوليد. ويقصد هنا جماعة منسوبين إلى النمر بن قاسط.

(٣) في أ: «الضحاك».

(٤) حظر: اتخذ حظيرة، وهي ما يحيط بالشيء من خشب أو قصب.

الأطيبَ عَرَقاً والأسمن مَرَقاً. فأرسلت إليه: إني قد وقعت في نفسه وليس بدافعي إليك، فاستوهب منه قومك. فبعث إليها يُخيِّرها، فقالت: أختار والله الأطيبَ عَرَقاً والأسمنَ مَرَقاً. فقال: أبيت اللعن قد اختارتك، فلا تجمع عليَّ ذهاب امرأتي وتحريق قومي. قال: هم لك. فسُمي أبو حوط الحظائر، فقال في ذلك:

أبيتَ اللعن إنك خير داعٍ
ونحن عبادك القِنُّ القطين[1]

لقد جمع الحظائر من معدٍّ
رجالاً كل شكواهم أنين

جنوا حرباً عليك وكل قوم
ولو غزوا لحربكم طحين

ولو أوعدت ذا لبدٍ شتيماً
لضاق عليه بالخوف العرين[2]



(١) القن: العبد مُلك هو وأبواه، للواحد والجمع. والقطين: الإماء والخدم والأتباع.

(٢) أوعد: تهدد، وذا لبد: كنية الأسد.

الباب العشرون
في الانتِقامِ مِن سَالِبِـي مُلْكٍ

حُكِيَ أن ملكاً من ملوك اليمن يُكَنَّى بأبي مالك، طال عمره وعظم شأنه واتسع سلطانه، وفيه يقول الأعشى:

وخان النعيمُ أبا مالك
وأيُّ امرىءٍ لم يخنه الزمن

وكان له بنون، فرشح منهم ثلاثة للملك بعده، ولقبهم بذي رُعين وذي نُواس وذي يَزَن. فلما كبرت سنه قال لوزير له: إن سني قد كبرت ودنوت من أجلي، ولست آمن مَنْ أخلِّف من قرابتي، مع جلالة أحوالهم وكثرة رجالهم فيهم، على ولدي هؤلاء الثلاثة بعدي، فما ترى؟ قال له الوزير: أرى لما يجب عليَّ من نصيحتك أن تقصد أولي قرابتك الذين تخافهم على ولدك، بالغض والهوان[1]، وأن تتبع عثراتهم وتتجرم عليهم[2]، وتولي من

(١) الغض والهوان: خفض المركز وإنقاص القدر والتحقير.
(٢) يتجرم عليه: يدعى عليه الجرم وإن لم يجرم، أي يتهمه بالجريمة.

كـان ذا مال منهم، ثم تُـظهر أنـه خان فتصـطفى مـالـه[1].
وتقطع أمورهم لكي تسـوء أحوالهم وتضعف أركـانهم، فإن من أقفرت يده قصرت همته وسقطت نفسه. وأن تبني مدينة جديدة وتختار عشرةً من قوادك من أهل الثقـة وبُعد الـذكر، وتقسم أصحـابك أقسـاماً عشـر، فتضم إلى كل قـائـد منهم قسمـاً. ثم تحوِّل أولادك الثـلاثـة إلى المـدينـة الجـديـدة، وتحـوِّل القـواد العشـرة بـأصحـابهم معهم. وتـأخـذ العهـد لأولادك[2] على الناس. وتحوِّل مـالك وسـلاحك وذخـائرك مـع ولدك. فـإن حدث بـك حدثٌ كنت قـد أحكمت الأمـر لأولادك من بعدك.

فقبل أبو مالك رأي وزيره، وبدأ بـأهل بيتـه فضعَّفهم وعضَّهم[3]. وبنى مدينة صنعاء، وحوَّل إليهـا أولاده وأجناده وذخـائره مـع عشرة من أصحـابـه. ثم هلك بعـد أن أحكم مـا أراد. فولي الملك بعـده ابنـه ذو رعين وهـو غِـرٌّ حَـدَث مُترف، فمالت به لذاته عن سَنَنِ السياسـة، واستولى القـواد العشـرة على أكثـر الأمـر، فـاستبـدوا بـه، حتى أظهـروا الاستخفـاف بـأمـر ذي رعين. وبـدا منهم التهـاون بـه،

(١) يصطفى ماله: يأخذه كله، يصادره.
(٢) في أ: «لأصحابك».
(٣) عضهم: أسلمهم لشدة الزمان.

فناكرهم[1] وتغيَّر لهم وهمَّ بهم. فخافوه على أنفسهم وأرادوا الفتك به، فلم يجسروا عليه. فأتوا أخاه ذا نواس فقالوا له: إن أخاك قد أهانك واطَّرحك[2] وضيَّق عليك وبلغنا أنه يريد نفسك. قال: وما عسيت أن أصنع؟ وكيف بالوزَر منه[3]؟ ولا أعلم لي ذنباً إليه يجب القتل. قالوا: لقد خانك على أمره بعده، وأحبَّ أن يصفو الأمر لولده، وأنت بعرض هلاك وبمحل تلف. فملؤوا قلبه (فتغيَّر) لأخيه. فلما دخل على أخيه، أنكر ذو رعين وجه ذي نواس، فتنكر له وعبس في وجهه.

فانصرف ذو نواس وقد تقرر قول القواد عنده، فمال إليهم مستعيناً بهم مما خاف. فلما علموا أن الحال بين الأخوين قد فسدت، قالوا لذي نواس: ما لنا عندك إن كفيناك ما تخاف وبلغناك ما تحب؟ قال: ما شيء يمكنني من مجازاتكم إلاَّ وهو قليل فيما أرى لكم. قالوا له: فوثِّق لنا من نفسك بما نريد منك. قال: فوثَّقوا منه بشرائطهم، وطلبوا غِرَّةً من ذي رعين وهو منغمس في لذاته، راسب في غفلته، حتى خلوا به في بعض نُزَهه فقتلوه، وأظهروا أنه

(١) ناكره: عاداه وناوأه.

(٢) اطّرح: أبعد وأهمل.

(٣) كيف بالوزر منه: أين يكون الملجأ منه.

شرق بشرابه[1]. وأخذوا ذا نواس فعقدوا التاج على رأسه. فلما ولي ذو نواس الملك، أظهر من بِرِّ القواد العشرة وتقديمهم وتقليدهم أموره ما استفرغ (فيه وسعه)[2]، واستأسرته لذته، وغمرته شهوته. فاستبدت العشرة بالأمر عليه وأبدوا الاستهانة به، ثم تمادى ذلك بهم على ممر الأيام، حتى أحوج ذا نواس إلى مناكرتهم وتجهمهم وإظهار الشنآن[3] لهم. ورام الاستبدال بهم، وغرس صنائع يجددهم في مواضعهم. وكاتب أهل الأقاصي من ملكه بما همَّ به فيهم. فظفروا بكتبه وعلموا ما في نفسه، فدسوا له بعض ثقات خدامه وأرغبوه في المال فسمّه وقتله.

فولي ذو يزن الملك. وكان أصلح إخوته مذهباً وأصحهم قريحة وأعزهم نفساً. وقد رأى ما نال إخوته قبله، فأشعره ذلك حزناً[4] ووجلاً. فأجهد نفسه في إصلاح ملكه. وخاف القوادَ العشرةَ عما جرت عليه عادتهم، فسما لأمر طال فساده وعسر داؤه[5]. واستظهرت عليه العشرة

---

(١) شرق بشرابه: غُصّ به.
(٢) ما استفرغ فيه وسعه: بذل كل ما يقدر عليه من جهد.
(٣) الشنآن: البغض والكراهية.
(٤) في ب: «حذراً».
(٥) في ب: «دواؤه».

بكثرة العدة والعتاد والعدد والمال. فكاتب ذو يـزن رجلاً من ولاته في أطراف ملكه عظيمـاً قوي السلطان منيـع المكان. فشكا إليه ذو يزن ما يقاسي من هؤلاء العشرة وما حلَّ بإخوته منهم، وأنـه لا يأمنهم على نفسـه، وسـألـه أن ينجـده على صلاح ملكه. فكتب إليـه عامله أن الـرأي فيما يحـاول، أن ينسـلّ سـرًّا حتى يصيـر إليـه، فيـأمن على نفسـه، ثم يقـع التدبير بعد ذلك.

فخرج ذو يزن وقد كتم أمره جهده. ونذِرَت به العشرة فاتبعته فقتلته. ثم انكفأت راجعـة إلى صنعاء لتُملِّك رجـلاً من أهـل الملك، فـوجـدت جميـع (أهـل) بيت الملك قـد هـربوا واستخفـوا. فبقيت العشرة متحيـرة تخاف أن يـظهـر مـا صنعـوا في النـواحي، ولم يُقعـدوا ملكـاً فتنتقض عليهم الأمور. فقال لهم رجـل منهم: هل لكم في أمـر تقرب فيـه محبتكم وبه سلامتكم؟ قالوا: نعم. قـال: تصيرون جميعـاً إلى منـزلي حتى أعـرض عليكم رأيـاً عنـدي. فصـاروا إلى منزله فقـرَّب إليهم طعامـاً، ثم قال: إنكم عـاهدتم الله مـرةً بعـد مـرة ثم خنتم العهـد وغـدرتم بـالأيمـان وقتلتم الملوك وارتكبتم العظائم. والرأي عندي أن تتوبوا جميعاً عما فعلتم إلى الله عـز وجـل وتستغفـروه، ثم تحكِّمـوا القـضـاء،

فتدلجوا[1] في الليل إلى باب المدينة، فأول من يخرج منها، مَنْ كان، ولّيتموه الملك. فركنوا إلى قوله، وتحالفوا عليه.

ثم خرجوا في الليل إلى باب المدينة، فأول من خرج عليهم رجل حَبشي طويل القامة منكر الصورة، عليه مدرعة صوف وعلى عنقه رابَّة[2] وفي يده مسحاة. فقالوا له: مَنْ أنت؟ قال: رجل من الحبشة عبد لفلان. قالوا: فما أحلَّك هذا المحل؟ قال: سوء الأدب والاستخفاف بالمذهب. فوجهوا إلى مولاه فأُحضر فقالوا له: هَبْ لنا عبدك هذا، أو بعنا (إياه). قال: هو أقل قيمة من أن أراجعكم فيه، ولكن ما حاجتكم إليه؟ قالوا له: إنا تعاهدنا على أن نملِّك أول من يخرج علينا من باب المدينة. قال: ولِمَ لم تُمَلِّكُوا أحدكم؟ قالوا: لم يسمح بعضنا لبعض بذلك. قال: فإني أحذركم هذا العبد، فإنه أبعد خلق الله غوراً[3] وأشدهم حقداً وأمَرُّهم نفساً[4] وأمضاهم فتكاً. قالوا: لا بد من توليته الملك. قال: فهو حرّ.

---

(١) أدلج: «سار ليلاً».

(٢) الرابَّة: العقدة المحكمة.

(٣) أبعد غوراً: الغور القعر من كل شيء، أي أشد عمقاً.

(٤) أمرهم نفساً: أقواهم في الخصومة.

قال: فأخذت العشرة الأسود فأخرجته مما كان فيه، وألبسته ثياب الملك، وحملوه على فرس من دواب الملك إلى دار المملكة، فأجلسوه على سرير الملك، ووضعوا التاج على رأسه، وجمعوا الناس فبايعوه، فقعد الحبشي في مجلسه لا يسأل عن شيء ولا يطلبه ولا يأمر به. فإن أُتي بطعام أو ثياب أكل ولبس، وإن تأخر عنه أمسك عن طلبه. وخلت العشرة بالأمور وأعمال المملكة. فمكث الحَبَشي بذلك حولاً لا يعترض في شيء. ثم حضر لهم عيد لا يجدون بُدًّا من إخراجه، فأخرجوه في أحسن زيّ وأكثر جمع. فبينا هو يسير وهم حوله، إذ بَصُر برجل أسود في ناحية من الطريق، فأحدَّ النظر[1] إليه والتفت لا يقلع عنه. فقال له أحد العشرة: أيها الملك، ما الذي تنظر إليه؟ قال: أخي. (قالوا) فهلاَّ أعلمنا الملك أن له أخاً فيبلغ من إكرامه ما يستحق؟ قال لهم: لم أعلم بحضوره. فأمروا بأخيه فكُسي أحسن الكسوة وحُمل على فرس، وجاءوا به يساير أخاه.

فلما رجع الملك إلى قصره، دخل أخوه معه فجالسه وآنسه، ثم قال له الملك: لا ترى أحداً من السود إلاَّ ادعيت أن بيننا وبينه قرابة وأدخلته عليَّ. ففعل أخوه ذلك،

---

(١) أحدَّ النظر: دقق النظر فيه لتمييزه.

فجعل يأتي بالأسود بعد الأسود فيُكسىٰ ويُخْلىٰ[1]. والعشرة متهاونون بذلك، قد شغلوا بكسب الأموال، حتى كثر السودان في دار الملك، ولبسوا السيوف وركبوا الخيل، فولَّاهم الملك حجابته وصيَّرهم بالسلاح على أبوابه.

وكانت العشرة يدخلون عليه بغير إذن، ثم امتنع حجابه، فصاروا لا يلقونه إلَّا في وقت نشاطه لهم، وازداد السودان كثرةً وعِزًّا. فلما علم الحبشي أن الفتك به من العشرة غير ممكن تنكّر لهم، واعترض في الأمور عليهم. وأمرهم أن لا ينفذوا شيئاً إلَّا عن رأيه. فأرادوا الفتك به، فامتنع عليهم بسودانه وأغلظ لهم الحَبَشي في لفظه. وبلغهم أنه يتوعدهم فخافوه على أنفسهم. وأجالوا الرأي بينهم، فقال أحدهم، وهو الذي كانوا اجتمعوا في منزله: تصيرون إلى منزلي حتى تبرموا الرأي. فصاروا إليه فقال لهم: إنا قد اقتنينا من الأموال ما لا نخاف معه فقراً، فنستأذن (هذا) الملك في التفرق إلى أوطاننا وبلداننا ونخلِّيه وأمره، ونعيش في عافية وغبطة بقية أعمارنا. فأجمعوا على ذلك. ثم هابوا الملك عن مواجهته بالاستئذان. فأجالوا الرأي، فاجتمع رأيهم على أن يسألوا مولى الملك الذي

(١) في ب: «ويُحلَّى».

أعتقـه أن يستأذن لهم. فبعثـوا إليه فـأتاهم، فقـالوا لـه: إنا أردناك لتستأذن لنا الملك في التفرُّق إلى أوطاننا. قال لهم: مـا أعجب ما سـألتم؟ هذا ملك كنت أضـربه وأقيـده وأكُـدُّه وأستخف به، وما منـاي إلّا أن ينساني. فقـالوا لـه: احتكم في المال، فإنـا جاعلون لـك منه أكثـر من أمنيتك، وطلبـوا إليه وأحضروه مالاً جليلاً وحملوه إليه. فلما رأى ما بذلـوا له من المـال وأنـه قـد حصَّله، حمـل نفسـه على التعـرض للموت، وأمَّل السلامة.

فخـرج فـوقف ببـاب الملك، والملك ينـظر إلى مَنْ على البـاب من حيث لا يعلم بـه. فلمـا رأى مـولاه قـال لحـاجبه: عليَّ بـذلك الـرجل. فلمـا دخل مـولاه إليه على وجلٍ منه، ورآه الملك رحَّب به وأدناه وأحسن مسـاءلته عن حاله، ثم قال له: يا مولاي، كأني كنت (حاضـراً) مشاهـداً لأمـركم، إن هؤلاء العشرة الغَـدَرَة الفَجَرَة أرادوا أن يفتكـوا بـي فلم يمكنهم، وخـافوني على أنفسهم ولم يجتـرئوا على مسـاءلتي بالإذن لهم، فسـألوك أن تستـأذن لهم في اللحـاق بأوطانهم، فأبيت لخوفك مني، فأرغبوك في المال فخاطرت بنفسك. قال له الرجل: كأنك أيها الملك كنت عندنا. قال الملك: فأمَّا خـوفك مني فـأنت منه آمن، لأنـك لم تعاقبني إلاَّ بـدون مـا أستحق، وأردت بـي الصـلاح. وأمـا العشـرة

فإني أدعو بهم. ثم تحوَّل إلى مجلس عامته وأمر سودانه، فقاموا بالسيوف على رأسه. ثم دعا بالعشرة، فلما جلسوا بين يديه قال: أبلغني مولاي ما أحببتم من الإذن لكم في الرجوع إلى أوطانكم، وأنا لست من أهل بيت المملكة، ولكن الله عز وجل قيِّضني لكم نقمةً عليكم أحلَّها بكم، لقتلكم الملوك وغدركم بالأيمان والعهود. ثم أمر سودانه (بهم) بلسانهم، فأخذتهم السيوف فقتلتهم. ثم قال لمولاه: إمْضِ آمناً وما صار إليك من المال فهو لك.

وكان لذي يزن امرأة من بنات الملوك فخلَّفها حاملاً، فرأت في نومها كأن سيفاً خرج من قُبُلِها، فولدت غلاماً فسمته سيفاً. فلم تزل الحبشة تداول الملك باليمن حتى بلغ سيف وصار (رجلًا)، فشخص إلى ملك الروم فاستجاشه على الحبشة وسأله النصرة، فقال ملك الروم: بلدك لا يجاور بلدي، ودين قومك ليس على ديني، فلا يمكنني نصرتك، ووصله.

فخرج سيف حتى قدم على كسرى فاستنصره على الحبشة. فقال له كسرى كمقالة ملك الروم، واعتلّ بمخالفة الدين وبُعد البلد. فقال له سيف: (إن كنت) لا تريد خراجاً ولا تنصر (ديناً) فاغضب للطينة البيضاء وأبناء الملوك من استعباد الطينة السوداء المشوهة. فغضب كسرى وأحفظه

مـا قال سيف، فـوعده النصـر. وأراد أن يوجّـه معه جيشـاً، فقيـل له: إن البلد شـاسع والـطريق جدب، أو في البحـر، وفي توجيهك الرجال إخطار بهم. قال كسـرى: فلا بـد من نصرته لِمَا وعدته. فقيل: إن في سجونك[1] اثني عشـر ألفاً فاخرجهم وَأَمِّـر عليهم أميراً ووجهم في البحـر، فإن ظفـروا فـالظفـر لك، وإن هلكـوا لم تثلم (ملكك) وجنـدك. ففعل ذلك كسرى، ووجه من سجونه[2] اثني عشر ألفاً فأخـرجهم وأمّـر عليهم أميراً شيخـاً يقال لـه وَهْـرِزْ. فخـرجـوا بـاليمن وخرج إليهم ملك الحبشة، فاقتتلوا قتالاً شـديداً، والحبشي على فيل وعلى رأسه تاج، فرمـاه وَهْرِزْ بسهم فنشب السهم في جبهتـه. فـانهـزمت الســودان وأجلَوا عن اليمن وسُلِّمَ الملك إلى سيف.



(١) في أ: «جيوشك».
(٢) في أ: «جيوشه». وقـد صححناه على مـا جاء في الـطبري (م) ٢: ١٤٤.

الباب الحادي والعشرون

في الخلاص من نِقمَة من يُعين على قَطيعة الرَّحم بالقَتل

يقـال إن ربيعـة بن نصـر (الملك) اللخمي رأى رؤيـا هالته. فبعث إلى الحزاة[1] من أهل مملكته. فلم يدعُ كاهناً ولا عائفاً[2] ولا منجماً إلاَّ جمعه إليه ثم قال لهم: إني رأيت رؤيا هالتني فأخبروني بها وبتأويلها. فقالوا: أُقصصها علينـا نخبرك بتأويلهـا. فقال: إني إن أخبـرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، إنه لا يعرف تأويلهـا إلاَّ من يعرفهـا قبل أن أخبره بها. فقال رجل منهم: إن أراد الملك هذا فليبعث

(١) الحـزاة: مفردهـا الحازي وهـو الذي يـزجر الـطير فيتفـاءل بهـا أو يتطير منها.

(٢) العائف: هو المتكهن بالطير أو بغيرها.

إلى سَطِيح[1] وشِق[2] فلا أحد أعلم منهما ــ وسَطِيح هو ربيع بن ربيعة الذيبي من بني الذيب من عدي. وشِقّ بن الصعب بن يشكر الأنماري ــ فبعث إليهما فقدما عليه. وتقدم سَطيح فقال له: إني رأيت رؤيا هالتني فأخبرني بها، فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها. فقال: أفعلُ، رأيتَ جُمْجُمة خرجت من ظُلُمة فوقعت بأرض تُهمَة[3] فأكلت منها ذات جُمجُمة. فقال الملك: ما أخطأت منها يا سطيح شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرمين من حَنَش[4]، ليهبطنَّ أرضكم الحَبَش، فليملكنَّ ما بين

---

(١) سَطِيح: كاهن جاهلي، وقد عمر طويلاً واشتهر باسم سطيح الكاهن. عرف بالحكمة والعقل، وضرب به المثل في جودة الرأي. وكان رؤساء القبائل يحتكمون إليه ويستشيرونه فيما يعرض لهم من مشاكل وأمور، فيجيبهم على ما في أنفسهم. زوكان شاذ الخلقة رخو العظام.

(٢) شِق: من أشهر الكهان في الجاهلية، وكان يعاصر سطيح الكاهن. وقد اشتهر بالتنبؤ وتفسير الأحلام. وقد عاش عمراً طويلاً، ويقال إنه كان ناقص الخلقة بيد واحدة وعين واحدة.

(٣) أرض تهمة وتهامة: هي الأرض المتصوبة نحو البحر، ولهذا سمي القسم المنحدر نحو البحر من الحجاز تهامة.

(٤) الحنش: نوع من الحيات، وكل ما أشبه رأسه رأس الحية من الحرابي وسوام أبرص ونحوها.

أبْيَن[1] إلى جُرَش[2]. فقال له الملك: وأبيك يا سطيح إن هذا لغائظ[3] موجع، فمتى هو كائن، في زماني أو بعده؟ قال: بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين. ثم يُقتلون بها أجمعين أو يخرجون هاربين. قال الملك: ومَن الذي يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرَم ذي يزن، يخرج من عَدَن، فلا يترك منهم أحداً باليمن. قال: أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: ومن يقطعه؟ قال: نبيّ زكيّ، يأتيه الوحي من قِبَل العليّ. قال: ومن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر، بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال: وهل للدهر (من) آخر يا سطيح؟ قال: نعم، يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون ويشقىٰ فيه المسيئون. قال: أحقٌّ ما تُخبر؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والقمر إذا اتسق[1]، إنَّ ما أنبأتك به لحق.

---

(١) أبين: مخلاف باليمن، منه عدن؛ وكانت تعرف بعدن أبين (ياقوت).

(٢) جرش: من مخاليف اليمن من جهة مكة (ياقوت).

(٣) غائظ: موجب للغضب والغيظ.

(٤) اتسق القمر كمل وصار بدراً. وفي الطبري «والفلق إذا اتسق» الجزء الثاني ــ م، ص ١١٣.

فلما فرغ من حديثه دعا بشقٍّ فخاطبه بمثل ما خاطب سطيحاً وكتمه ما كان من جواب سطيح، لينظر أيتفقان أم يختلفان، فقال: نعم، رأيت جُمجُمة خرجت من ظُلُمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة، فلما رأى الملك ذلك من قولهما عرف أنهما قد اتفقا في المعنى واختلفا في بعض اللفظ. فقال: ما أخطأت يا شِق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف ما بين الحرمين[1] من إنسان، لينزلن أرضكم السودان، وليغلبن على كل طَفْلة البنان، وليملكن ما بين أبْيَن إلى نجران[2] فقال الملك: وأبيك إن هذا لغائظ موجع، فمتى هو كائن، أفي زماني أم بعده؟ قال: بل بعدك بزمان، ثم يستنقذكم منه عظيم ذو شان، ويذيقهم أشدَّ هوان. قال: ومن هذا العظيم الشان؟ قال: غلام ليس بذي مُدَنّ[3] يخرج من بيت ذي يزن. قال: فهل يدوم سلطانه أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول من الرسل يأتي بالحق والعدل، من أهل الدين والفضل (يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل). قال: وما يوم الفصل؟ قال: يوم[4] يدعى فيه من السماء

(١) في الطبري: «الحرتين».

(٢) نجران: مدينة في اليمن قريبة من جرش السابق ذكرها.

(٣) المُدَني: المقصر في الأمر.

(٤) في الطبري: «يوم يجزى فيه الولاة».

دعوات، يسمع منها الأحياء والأموات، ويجمع فيه الناس للميقات، يكون لمن اتّقى فيه الفوز والخيرات. قال: أحقٌّ ما تقول يا شِق؟ قال: أي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض، إن ما نبأتك به لحق، ما فيه أَمْض[1].

فلما فرغ من مسائلتهما، وقع في نفسه أن الذي قالا له كائن من أمر الحبشي. فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلحهم. وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس، يقال له: سابور بن خرَّزاد، فأسكنهم الحيرة. فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان ملك الحيرة، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي بن ربيعة بن نصر. فلما هلك ربيعة بن نصر صار الملك إلى حسَّان بن تُبان أسعد[2].

وكان مما هاج أمر الحبشة وتحول الملك عن حمير، أن حسَّان بن تُبان سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض العجم، كما كانت التبابعة قبله تفعل. فلما كان ببعض أرض العراق، كرهت حمير وقبائل اليمن السير

---

(١) الأمض: الشك والباطل.

(٢) هو من ملوك حمير ولقبه ذو جيشان، من أعاظم تبابعة اليمن. وقد قاد جيشه ففتح بلداناً كثيرة، وثار عليه بعض قواده فقتلوه. والتبابعة لقب عظماء ملوك اليمن ومفردها تبع.

معه وأرادوا الرجوع إلى بلادهم وأهليهم، فكلموا أخاً له كان معه في جيشه يقال له عمرو[1]، وقالوا له: اقتل حسَّاناً نملكك علينا مكانه، وترجع بنا إلى بلادنا، فتابعهم على ذلك، وأجمعوا على قتل حسَّان، إلَّا ذا رعين الحميري، فإنه لمَّا استشاره نهاه وقال له: إنكم أهل بيت مملكتنا، فلا تقتل أخاك فتشتت أمر مملكتك وتوهن من عظمك بقطع رحمك. فإن لذلك عاقبة وخيمة أصونك عن ذكرها لك، فقال: لا بد من ذلك الآن. وكان ذو رعين شريفاً من حمير كبيراً، فقال: الآن ولا بد؟ فإني أودعك صحيفة أختم عليها وتحفظها لي عندك، فإن لي بغية وحاجة فيها. ففعل ذلك وأودعه عمراً. وأمضى عمرو رأيه. فلما أيقن أخوه بالقتل قال:

يا عمرو لا تُعْجِل عليَّ منيتي
فالملك تأخذه بغير قتال[2]

فأبى إلَّا قتله فقتله، ورجع بمن معه من جنده إلى

---

(١) هو عمرو بن تبان أسعد من الحميريين. كان مع أخيه حسان في حملته على العراق، واتفق مع القواد الذين اغتالوا أخاه وولي ملك حمير بعد أخيه دعا بجيشه إلى بلاده فنزل بغمدان، وقد اضطربت أموره حتى هلك.

(٢) في الطبري: «بغير حشود» ــ الجزء الثاني (م) ص ١١٥.

اليمن. فلمَّا فعل تلك الفعلة بأخيه مُنِع النومَ وسُلِّط عليه السهر. فجهده ذلك، فسأل الأطباء والحزاة والكهان والعرَّافين عن حاله. فقال له قائل منهم: إنه والله ما قتل رجل أخاه أو ذا رحم بغياً، كما قتلت أخاك، إلّا ذهب نومه وسُلِّط عليه السهر وانتهى به إلى ما يكون فيه العطب. فلما رأى علته في تزايد، جعل يقتل من كان أشار عليه بقتل أخيه حسَّان، من أشراف حمير وقبائل اليمن، حتى خَلُص إلى ذي رعين. فلما أراد قتله، قال: إن لي عندك براءة مما تريد أن تصنع بي، فإني نهيتك عما أشار به قومك فلم تنتهِ، وأودعتك كتاباً إذا أخرجته عرفت منه براءتي. فأمر بإخراج الصحيفة وفضَّ ختمها، فإذا فيها بيتان من الشعر هما:

أَلَا مَنْ يشتري سهراً بنومٍ
سعيدٌ مَنْ يبيت قريرَ عينِ
فإن تك حميرٌ غَدَرت وخانت
فمعذرة الإلّه لذي رُعَينِ

فلما قرأ ذلك، قال له: إني عرفت أنه يصيبك إذا قتلته ما أصابك ونهيتك فعصيتني، وكان حرصك على الملك يحول بينك وبين سماع قولي، فإذا أردت (بي) ما صنعته بمن أمرك بقتل أخيك، فإن هذا الكتاب نجاة لي

عنـدك. فلم يلبث عمرو إلّا يسيـراً حتى هلك. فخـرج أمـر حمير عند ذلك، فتفرقوا ووثب على ملكهم من لم يكن من بيوت المملكة منهم، وكان من الحَبَش[1] ما كان، مما ذكـر في الباب السابق[2].



(١) في أ: «الجيش».

(٢) ورد مـا يماثـل هذا النص في الـطبري (م) ٢: ١١٥ ـ ١١٧، وفي كتاب أسماء المغتالين، المجموعة السادسة، ص ١١٥ ـ ١١٧ ما هو قريب منه أيضاً.

الباب الثاني والعشرون
في الفتكِ والأمر به والاحتراز منهُ[1]

حُكيَ أن المأمون لمَّا رحل[2] من مرو، يريد مدينة السلام، أعمل الفكرة في قتل الفضل بن سهل[3] على

(١) الفتك: أن يجيء رجل آخر وهو آمن فيقتله جهاراً.

(٢) في أ: «دخل».

(٣) الفضل بن سهل: أول وزراء المأمون وهو فارسي الأصل مجوسي وقد أسلم على يد المأمون. وكان أبوه سهل من رجال المهدي ويقال إنه أسلم على يديه. وكان الفضل يدير شؤون المأمون منذ كان ولياً للعهد، وإليه يعود الفضل في انتصار المأمون على أخيه الأمين، إذ تولى تدبير الجيوش وإدارة دفة الحرب إضافة إلى عمله. ولذا سمي بذي الرئاستين. ولاه المأمون ولاية المشرق بجميع بلدانه. وقد استبد بالأمور دون المأمون وحمله على بيعة علي الرضا بولاية العهد بعده. فتضايق المأمون منه وشك في إخلاصه له فدبر أمر قتله للتخلص منه.

(وفيات الأعيان ٣: ٢٠٩ ــ ٢١٢، وأسماء المغتالين، المجموعة السادسة ص ١٩٨).

توقٍّ[1] لذلك، لمكان أخيه الحسن[2]، وكثرة من معه من الرجال. فأفشىٰ سره إلى خادم له يقال (له) سراج وشاوره، فقال سراج: إن الفضل قد ضرب غالباً خالك مائتي مقرعة وهو حَنِقٌ عليه، وله فتك وإقدام، وإن جَسُر عليه أحد فهو. قال المأمون لسراج: فناظره في ذلك، فناظر سراج غالباً خال المأمون في قتل الفضل بن سهل، وأعلمه أن ذلك عن رأي المأمون. وفارقه على الفتك به والهرب من عسكر المأمون، وضمن له عن المأمون كل ما أراد.

فالتمس غالب الغِرَّة من الفضل، حتى إذا بلغوا

---

(١) على توقٍّ: على حذر.

(٢) الحسن بن سهل: أخو الفضل بن سهل، وعندما كان المأمون في خراسان ولاه على العراق. وكان الحسن من كبار قواد عصره، وهو الذي قضى على ثورة إبراهيم بن المهدي. ولكي ينفي المأمون عن نفسه تهمة اشتراكه في قتل الفضل أمر بقتل جميع المتهمين بقتله وبعث برؤوسهم إلى الحسن وعزاه بمقتل أخيه، وصيّره وزيراً له مكان أخيه. وقد تزوج المأمون من بوران بنت الحسن، وكانت حفلة زفافها من أشهر الحفلات في التاريخ الإسلامي لما صرف فيها من الأموال. راجع وصف حفلة الزفاف هذه في: تاريخ التمدن الإسلامي ٥:١٤٣ ــ ١٤٤.

سَرَخْس[1] دخل الفضل حماماً (بها) في خلوة من غلمـانه. ووجـد غالب الفـرصة، فـدخل عليـه وهـو على كـرسي في الحمام، ومعه السيف وقد وكَّل بغـلامين له على البـاب مَنْ منعهما من الإنذار. فلما نظر إليـه الفضل قـال: يا غـالب، اصفح عني وخذ عليَّ العهـد بكل مـا تريـد. فضربـه غالب على عـاتقه، وقـال له: سـأوشحك بـالسيف مكان لبـوسك السنين، وضـربه على عـاتقـه الآخـر ضـربـةً أخـرى فقتله. وخـرج عنه فقتـل غلاميـه اللذين كانـا في الحمام معـه. ثم ركب هـو ومَنْ ساعـدوه دوابهم وكانـوا أربعة رجـال. ومروا خارجين من عسكر المـأمون فسـاروا خمسة فـراسخ، فلمـا رآهم نعيم[2] قـد تنكبـوا الـطريق، أنكـر أمـرهم، فبعث خلفهم من أتـاه بهم. فعرف غـالباً، فقـال لـه: أين أردت؟ قـال (غـالب): أرسلني أميـر المؤمنين في أمـر مهمٍ. قـال نعيم: فلِمَ تنكبت الطريق وأنت رسول أميـر المؤمنين؟ لا بد لي من ردِّك إليه. فردّه نعيم إلى المأمون من غد اليوم الذي قُتل فيه الفضل.

وقـد جحد المـأمون أن يكـون علم بشيء من أمـره، وقتل به جمـاعة من القـواد وغيرهم، كيـلا يفسد الحسن بن

---

(١) سرخس: مدينة قديمة من مدن خراسان تقع بين مرو ونيسابور.

(٢) هو نعيم بن خازم، أحد قواد المأمون.

سهل ومَنْ معه عليه. فلما قيل للمأمون: إن غالباً قد رُدَّ، أمر مَنْ تقدم إليه في الجحد، فلما قُدِّم إليه جحد. فقال أبو الفضل بن سهل: هو قتل الفضل. فخبَّر نعيم بمواطأة من المأمون له، إن غالباً عنده منذ أيام، فدفع القتل عنه. وبلغ الحسن بن سهل، أن سراجاً كان اشترك في دمه، فكتب إلى المأمون يسأله أن يوجه إليه سراجاً، فوصل الكتاب إلى المأمون وسراج قد مات، فبعث إليه برأس سراج، وكتب إليه: إن سراجاً مات قبل ورود كتابك، ولو ظننت أن عضواً مني اشترك في دمه لقطعته.

وقدم المأمون مدينة السلام، وقد مات علي بن موسى بطوس[1] فتحمَّل للحسن بن سهل قليلاً ثم غضَّ[2] منه، حيث ظفر بإبراهيم بن المهدي، وأسقطه وحجبه، وعزله عما كان في يده[3].

---

(١) طوس: مدينة بخراسان فتحت في أيام عثمان بن عفان، دفن فيها الإمام علي الرضا، والخليفة هارون الرشيد.

(٢) في أ: «عضه».

(٣) لم يعرف أن المأمون تغير على الحسن بن سهل، بل بقي مقرباً إليه. غير أن الحسن كان قد أصيب بمرض عقلي قُيد بسببه بالحديد، ثم شفي منه قبل زواج ابنته بوران من الخليفة المأمون. ولعل ما يقصده المؤلف هو احتجاب الحسن بن سهل عن خدمة المأمون لعوارض علته المذكورة. راجع: وفيات الأعيان ١: ٣٩٠ ــ ٣٩١.

وحُكيَ أن بابك، كان يُموِّه على أصحابه ليوهمهم أنه يعلم ضمائرهم. فيتقدم إلى بعضهم في أن يلبس أحصن السلاح ويخرج من ليلته فيصير في بعض الكهوف والخرابات على ما يحدد له؛ ويقول له: إني مبكر عليك في أصحابي، فإذا حاذيتُ موضعك فاخرج (شاذًّا عليَّ كأنك تريدني، لأعلم أيَّ أصحابي أشدَّ نُصرةً لي، فإنهم إذا ابتدروك نهيتهم. فيمضي الرجل في سلاحه من ليله إلى حيث أمره بابك، فإذا أصبح دعا أصحابه فقال: إن فيكم اليوم من يهم الفتك بي، وقد علمت ذاك وهو فلان، فاخرجوا بنا إلى الصيد، وجعل طريقه على الموضع الذي وعد الرجل فيه. فإذا جاء خرج الرجل كما أمره) فيبتدره الرجال بالسيوف، ويبادره بابك معهم فيقتلونه، فيظن أصحابه أنه يعلم ضمائرهم.

وحُكيَ أن رجلاً من الأهواز من غير العرب، صار مع قَطَري بن الفُجاءة الشاري[1]، وكان مبرزاً في الشجاعة

---

(١) قطري بن الفجاءة: وكنيته أبو نعامة، من رؤساء الخوارج الأزارقة وأبطالهم. كان خطيباً وشاعراً حماسياً وفارساً شجاعاً وأصله من «قطر» قرب البحرين. استفحل أمره في عهد الحجاج ومصعب بن الزبير حينما ولي الكوفة لأخيه عبد الله. واستمر قطري يقاتل جيوش الدولة الأموية قرابة عشرين سنة. =

والديانة، وكان في عسكر قَطَري امرأة من العرب، فخطبها الأهوازي إلى قَطَري، فلم يتمكن قَطَري ردَّه، لأن ديانتهم أن الناس كلهم أكفاء بعضهم لبعض، فزوَّجه على كره. فلما صافَّ[1] قَطَري المهلب في بعض حروبهما، خرج قَطَري فدعا إلى المبارزة، فأخرج المهلب إليه رجلاً من أصحابه (فقال قَطَري: لا أبارز إلّا يزيد بن المهلب)؛ فخرج إليه يزيد بن المهلب. فلما دنا منه قال قَطَري: يا يزيد، على رَسْلك إنما أردتك لأمر ألقيه إليك، فطاردني قليلاً حتى نبعد عن أصحابنا. فتطاردا حتى بَعُدا، ثم قال له قَطَري: إن رجلاً من الخوز خطب إليَّ امرأة من العرب فلم يمكن ردَّه للمقالة التي نحن عليها، تخوفاً من انتقاض أصحابي عليَّ فزوجته. فهل فيكم رجل من بني تميم له عُدَّة وفتك، يصير إليَّ مستأمناً كأنه رغب في مذهبنا، على أن أنزله بهذه المرأة، فيفتك بالخوزي ثم يهرب، وأنا أرفع عنه الطلب؟ فقال له يزيد: نعم. فتصاولا ساعة ثم افترقا.

= وقد قتل في إحدى حروبه في سنة ٧٨هـ. وهو صاحب القصيدة الحماسية المشهورة التي مطلعها:

أقول لها وقد طارت شعاعاً
من الأبطال ويحك لن تراعى

(وفيات الأعيان ٣: ٢٥٥ ـ ٢٥٧).

(١) صافَّ القوم في القتال: وقفوا مصطفين متأهبين للقتال.

وخبَّر يزيد أباه المهلب، فبعث رجلاً من أصحابه من بني تميم، وأطلعه على الخبر، إلى قَطَري مستأمناً. فلما دخل الرجل إلى قَطَري، أكرمه وأظهر السرور به، ثم قال للخوزي: هذا رجل من بني تميم فخذه إليك فإنه صهر لي، فسُرَّ الخوزي بذلك وأخذه إليه. فلما كان في الليل، وثب التميمي على الخوزي فقتله وخرج هارباً، فأمسكت المرأة فلم تصح فرحاً بقتل زوجها. وفُطن بالرجل فخرجت الخيل خلفه، فخرج قَطَري أول الخيل وهو يقول لأصحابه كالمتلهف: دعوني والرجل فإني أحرصكم على قتله. فلما قرب منه قَطري قال له: النجاء، حتى أبْعَدَ خلفه، ثم رجع فقال: فاتني فلم ألحقه.

وحُكيَ أن البرَّاض الكناني[1] وعروة السرحَّال القيسي[2]، من قيس عيلان، وفدا على الأسود بن المنذر عمرو أخي النعمان بن المنذر، وهو ملك الحيرة، وحضرت أيام عكاظ بالموسم، وكانت أياماً تُجلب فيها التجارات من

(١) هو البراض بن قيس، من كنانة، كان خليعاً فاسقاً عرف بالغدر وشدة الفتك، حتى ضرب المثل بفتكه، وهو جاهلي.

(٢) هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر من قيس، عرف بالرحال لكثرة رحلاته إلى الملوك، وهو جاهلي، كان معروفاً بالعقل والشجاعة.

كل بلد إلى عكاظ، وهي أيام منى في الحج. فيأمن الناس ولا يتعرض أحد لأحد من طالب وِتْر ولا غيره. فقال الأسود: من يخفر لنا لطيمة[1] ننفذها إلى عكاظ لتباع، ويشتري بثمنها حوائج ثم يخفرها لنا راجعةً؟ قال البرَّاض الكناني: أنا أخفرها. قال له عروة الرحَّال: أنت تخفرها وأنت خليع[2] قد خلعك قومك من سيادتهم؟ قال البرَّاض لعروة: أفتخفرها أنت؟ قال: نعم، أخفرها لك على أهل الشيح والقيصوم[3] من نجد وتهامة. قال: فشأنك.

وانصرف البرَّاض، وجهَّز الأسود لطيمة، فخرج عروة يخفرها. فعارضه البرَّاض في جماعة من قومه، وأقبل يستقسم الأزلام[4]. فقال له عروة: ما تصنع؟ قال: أستشير القداح[5] في قتلك. فقال: إستك أضيق من ذاك، فاخترط

---

(١) اللطيمة: القافلة التي تحمل الطيب والبضائع التجارية.

(٢) الخليع: كان في الجاهلية إذا قال قائل: هذا ابني قد خلعته، كان لا يؤخذ بجريرته، أي يكون قد تبرأ منه، فهو خليع.

(٣) الشيخ والقيصوم، نباتان صحراويان، ويقصد هنا أنه يحتاز بالقافلة عبر القبائل البدوية.

(٤) استقسام الأزلام: الأزلام السهام ومفردها الزلم، وهي التي كانوا يستقسمون فيها في الجاهلية، أي يستطلعون الغيب بواسطتها.

(٥) القِداح: مفردها القدح وهو السهم قبل أن يراش.

سيفه، فتهارب منه عضاريط[1] الركاب والعبدان، وشدَّ البرَّاض على عروة فقتله[2]. وأخذ الركاب بما عليها. وهاجت الحرب بين قيس وكنانة في الأشهر الحُرم، فسميت حرب الفجار. وكانت ثلاث حروب[3]، منها اثنتان على كنانة وقريش، وحضر الرسول ﷺ الحرب الثالثة[4]، قبل مبعثه فكانت على قيس.

ثم افترقت قيس تطلب الغِرَّة من البرَّاض لتقتله. فمضى ثلاثة رجال من قيس في طلب البرَّاض، فلقوه ولا يعرفونه، فقالوا له: أتعرف البرَّاض؟ قال: نعم. قالوا: فأين هو؟ فأومأ لهم إلى خربة عظيمة وقال: هو في تلك الخربة، ولا أحسب لكم به طاقة. قالوا: أرنا إياه وأنت بريء. فسار معهم إلى الخربة، ثم قال لهم: إني أحب من

---

(١) العضاريط: مفردها العضرط، وهو اللئيم الخسيس. والعضاريط هنا الخدم القائمون على خدمة الإبل.

(٢) راجع عن قتل عروة الرحال: كتاب المغتالين، المجموعة السادسة، ص ١٤١ ــ ١٤٢.

(٣) المعروف أنها حربان لا ثلاثة.

(٤) كذا في الأصل، والأصح الثانية، لأنها حربان فقط. وكان النبي ﷺ قد حضر وهو صغير اليوم المعروف منها بيوم عكاظ، وقد انتصرت فيه كنانة وقريش على قبيلة هوازن.

راجع: أيام العرب في الجاهلية، ص ٣٢٦ ــ ٣٤١.

قتله مثل ما تحبون، وانتمى لهم إلى قبيل من قيس، فأنسوا به. فلما بلغوا الخربة قال لهم: انتحوا ها هنا وليدخل معي رجل منكم حتى أريه البرَّاض وأُعينه عليه. فدخل معه رجل من الثلاثة، فلما صار في الخربة قال البرَّاض له: إنك وارد على البرَّاض وهو من عرفت في فتكه، فسيفك جيدٌ أو أعطيك سيفي؟ قال الرجل: بل سيفي جيد. قال: فسُلَّه وأرنيه. ففعل الرجل. فلما دفع سيفه إليه ضربه البرَّاض فقتله.

ثم رجع إلى صاحبيه فقال لهما: إني أريت صاحبكما البرَّاض، فلما نظر إليه لم يجسر عليه، وقال: ادع لي أحد صاحبي ليعنني عليه. فدخل أحد الرجلين معه، ففعل به مثلما فعل بصاحبه فقتله. ثم خرج إلى الثالث فقال له: إن صاحبيك لم يقدما على البرَّاض، وقالا لك: خلِّ الركاب فلا بأس عليها، وادخل لنكتفه[1] بسيوفنا. فدخل الثالث معه. ففعل به كما فعل بصاحبيه فقتله. وأخذ البرَّاض أسلابهم وركابهم، وبفتكه ضُرب المثل، فقيل: أفتك من البرَّاض. وقال أبو تمام الطائي[2]:

---

(١) في ب: «لتكتيفه» ولعلها لنكيفه بسيوفنا، أي لنقطعه بها.

(٢) راجع شرح ديوان أبي تمام، ص ٣٠٨ ــ ٣١٦.

والفتى مَنْ تَعرّفته الليالي
والفيافي كالحية النضناض[1]
كل يوم له بصرف الليالي
فتكة مثل فتكة البرّاض

وقال لبيد في الجاهلية يذكره[2]:

ولا الأحوصين في ليالٍ تتابعا
ولا صاحب البراض غير المُغَمَّرِ[3]

ومن ذلك قولهم: أفتك من الحارث بن ظالم[4].

---

(١) الحية النضناض: التي إذا نهشت قتلت.

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية. أدرك الإسلام ووفد على النبي ﷺ وأسلم، ويعتبر من الصحابة، وقد عمر طويلاً، وهو أحد أصحاب المعلقات.

(٣) يقصد بالأحوصين، الأحوص بن ربيعة بن جعفر بن كلاب سيد بني عامر وسمى الأحوص لأن عينه كانت كأنها مخيطة، وابنه عمر بن الأحوص الذي قتله بنو تميم. وغير المغمر أي غير المحرب.

(٤) الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أشهر فتاك العرب في الجاهلية. قُتل أبوه وهو صغير، وآلت إليه سيادة غطفان بعد مقتل زهير بن جذيمة، ووفد على الأسود المنذر في الحيرة فالتقى بقاتل أبيه خالد بن جعفر، فتنازعا ثم قتله، كما جاء في هذه القصة.

فإنه التقى مع خالد بن جعفر[١] عند الأسود بن المنـذر أخي النعمان بن المنذر وهو ملك العرب[٢] فقـال خالـد بن جعفر للأسود: أبيت اللعن مَنْ هذا؟ قال: هذا الحارث بن ظـالم سيد قومـه، فأنشـأ خالـد يقول: أوَّلُ صَـوْك وبَوْك[٣]، يعني أول شيء، يـا حـارثـاً، أراني عنـدك إلَّا حَسَنَ البـلاءِ أمـا تشكرني؟ قال الحارث وما بلاؤك؟ قال: قتلت عنـك أشرف قـومك زُهيـر بن جُذيمـة[٤]، وتـركتـك سيـدهم. فقـال لـه الحارث: سأشكمك[٥] ببلائك شكم ذلك.

---

(١) خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعـة العامـري من هوازن وانتهت إليه رئاستها. كان شاعراً من فرسان الجـاهلية، وهـو الذي قتـل زهيـر بن جذيمـة كما سبق أن قتـل أبا الحـارث بن ظالم، فقتله الحارث كما جاء هنا. وكان قتله في مكان يسمى (بطن عاقـل) على طريق الحاج من البصرة.

(٢) تتفق هـذه الروايـة مع مـا جـاء في «العقـد الفـريـد ٣: ٣٠٥»، وكتـاب «أسمـاء المغتـالين» ص ١٣٤. إلَّا أن في الكـامـل لابن الأثير أنهما التقيـا عند النعمـان بن المنذر نفسـه. الكامـل ١: ٣٣٨.

(٣) أول صوك بوك: الصوك الأول، وهو مَثَل معناه لقيته أولاً. راجع الأمثال للميداني ٢: ٢١٠.

(٤) هو زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي، أمير عبس وأحد سادات العرب المعدودين في الجاهلية.

(٥) شكم: شكر وجازي.

وكان الأسود قد دعا لهما بتمر، فجيء به على نِطْع[1]، وجعل الحارث يردد يده في التمر ينبشه[2] لا يعقل أيتهن يريد. فقال له خالد: ما لك تنبث التمر لا تعقل أيتهن تريد؟ قال: بل على أيتهن تخشاني أنْ آكلها حتى أدعها لك. قال: وجعل خالد إذا أكل التمر وضع النوى تحت النِطْع بين يدي الحارث، حتى كوَّم بين يدي الحارث كومة، والحارث لا يشعر بصنع خالد ذلك. فلما أمر الأسود برفع النِطْع فرفع، قال خالد: أبيت اللعن، ألاَ ترى إلى ما بين يدي الحارث؟ لقد أكل وحده مثل ما أكل جميع القوم، قال الحارث: أَفألقيت نوى ما أكلتُ وما أكلتَ أنت مع النوىٰ؟ قال: وقام الحارث بن ظالم. فلما خرج قال الأسود (لخالد): ما أردت أن تحرِّش[3] هذا الكلب وهو ضيف لي. قال خالد: إنما هو عبد من عبيدي لو كنت نائماً ما أيقظني.

قال: فلما أمسى بعث الأسود إلى الحارث بعسٍّ[4] من شراب خمر عظيم مع قينة له، فأتته به إرادةَ أن تشغله،

(١) النطع: بساط من الأديم.
(٢) ينبث التمر: يستثيره ويكشف ما تحته.
(٣) يحرش بين القوم: يغري بعضهم ببعض، وكذلك بين الكلاب وما شاكلها.
(٤) العس: القدح أو الإناء الكبير.

فوجدته يكدم[1] واسطة رحله، فقالت له: يقول لك الملك: اشرب هذا. فأخذه كأنه يهوى به إلى فيه، فجعله في جيب[2] قميصه وبين جبته، قال: ومع الحارث بن ظالم تبيع له من بني محارب بن حصفة بن قيس بن عيلان يقال له حراش، فلما رأى صنيع الحارث ذلك قال: إنك لتهم بأمر إني لأعرف فيه البلاء.

ورجع خالد إلى رحله، فلامه عروة بن عُتبة (بن جعفر)[3] في تعرضه للحارث بن ظالم. قال: ثم ناما وأشرجت القبة[4] عليهما. فلما هدأت عيون القوم، أخرج الحارث ناقته، وقال الحراش: كن لي بمكان كذا وكذا، ودفع راحلته إليه وقال: إن طلع كوكب الصبح ولم آتك، فانظر أحبَّ البلاد إليك فاعمد له. قال: ثم انطلق الحارث يتوثب حتى أتى قبة خالد، فوجد على الباب الحرس، فأتاها من خلفها فهتك شَرَجها[5]، ثم ولجها، وخالد نائم، فكيَّف[6] رأسه بالسيف. وتكلم عروة فقال: اسكت

(١) يكدم الدابة: يسمها.
(٢) جيب القميص: طوقه.
(٣) هو عروة الرحال.
(٤) أشرجت القبة: شدت عراها، والقبة الخيمة.
(٥) شَرَج الخيمة: عراها.
(٦) كيَّف رأسه: قطعه.

فلا بأس عليك. قال الحارث: وخفت أن لا أكون قد أتيت عليه[1]، فرجعت أدراجي فوضعت ظبَّة السيف[2] في بطنه، ثم غمزته حتى نجم من الجانب الآخرة.

وحُكيَ أن رجلاً من أصحاب الحجاج بن يوسف قال: أردت الفتك بالحجاج فمكثت نحواً من سنة أطلب غِرَّةً منه وفرصةً، حتى بلغني أنه يريد الخروج من باب له خاص، فأتيت الباب فوقفت عليه. فخرج عليَّ وحده، فلما نظر إليَّ، وبيني وبينه قيد رمحين، عرف الشر في وجهي، فتبسم في وجهي وقال لي: أَلَقِيتَ كاتبنا منذ اليوم؟ قلت: لا. قال: فألقه فإن عهدك معه على الري. فدعوت له وانصرفت أريد الكاتب، فلم أبلغه حتى لحقني من أخذني، فوضعت في الحبس[3].



(١) في أ: «ذاقت عليه» وهو خطأ في النسخ.
(٢) ظُبة السيف: حده.
(٣) تقدمت هذه الحكاية في آخر الباب السابع بشكل يختلف قليلاً عما جاءت به هنا وقد ذُكرت هناك كمثال على دفع المكروه بلطف، أما هنا فقد رويت كمثال على الاحتراز من الفتك.

الباب الثالث والعشرون
في جَزالةِ الرّائي

ذُكر أن أبا العباس أمير المؤمنين السفاح، هلك[1] وأبو جعفر المنصور راجع من حجه، وقد تقدمه أبو مسلم، فبلغه الخبر بموت أبي العباس. وكان أبو جعفر ولي عهده. فخاف أبو جعفر، للمباعدة بينه وبين أبي مسلم، أن يسبقه أبو مسلم إلى الأنبار، وكان عسكر أبي العباس بها وبها توفي. فدعا أبو جعفر إسحاق بن مسلم العقيلي فقال: ما ترى فيما نحن فيه؟ قال إسحاق: أنت بين أمرين مخوفين. قال أبو جعفر: وما هما؟ قال إسحاق: إن سبقك أبو مسلم إلى الأنبار مع التباعد بينكما، عقد الأمر لغيرك. قال أبو جعفر: فإن سلمنا من ذلك؟ (قال): يعارضك عمك عبد الله بن علي، وهو في مثل النحل من الرجال، فيأخذك

(١) توفي أبو العباس السفاح في مدينة الأنبار سنة ١٣٦هـ على أثر إصابته بالجدري. وفي أ: «أمير المؤمنين القائم».

ويعقد الأمر لنفسه ولا مَنَعَةَ لك. قال: فإن سلمنا من ذلك؟ قال إسحاق: فإن سلمت (من ذلك) فالسلام عليك يا أمير المؤمنين. قال أبو جعفر: فما الرأي عندك يا إسحاق؟ قال الرأي (عندي) أن تكتب كتاباً على لسان أخويك العباس ويحيى، كأنه وارد من الأنبار إليك، يخبران فيه أن الخلافة (عُقدت) لك، وأن عمومتك وسائر أهلك والقواد قد بايعوك. وتنفذه مع رسول حصيف[1] حتى يَمُرَّ بمعسكر أبي مسلم، فيخبر أنه ورد من ناحية الأنبار، فإن سئل خبَّرَ بمثل ما في الكتاب. فإن أبا مسلم سيسأله عن الخبر ويقرأ الكتاب. فإذا علم أن أهلك قد عقدوا لك الأمر يئس من نقضه، ولم يدخل الأنبار وحاد عنها.

فإذا علمت أن أبا مسلم قد علم ذلك، انسللت مخفياً من عسكرك وركبت قعوداً فارهاً[2] فبادرت الأنبار حيث لا يُعلم بك، وأخذت على الطريق المختصرة[3]. ففعل أبو جعفر ذلك، وكتب الكتاب. فلما قرأه أبو مسلم وهو بقرب الكوفة، حاد عن طريق الأنبار. ومضى أبو جعفر حتى دخل الأنبار، فعقد الأمر لنفسه، ووجد عيسى بن علي

---

(١) الحصيف: من استحكم عقله.

(٢) القعود من الإبل: ماانتخب منها، والفاره: الفتى.

(٣) في ب: «الطرق المختصرة».

عمه قد أمسك الأمر عليه[1].

وحُكِيَ أن الفرس لمَّا غلبت بعد الحبشة على أرض اليمن، وجَّهت إلى كسرى بهدية على عير، فمرَّت الهدية ببلاد اليمامة، فأنفذها هوذة بن علي[2]. ومرَّت ببلاد بني تميم فأغارت عليها، فقيل لكسرى في ذلك. فأراد أن يوجه جيشاً، فقيل له: إن الجيش لا يمكنه طلب هؤلاء الأعراب، لأن شربهم من آبار مثل عيون الديكة، وربما طرحوا فيها السموم فيهلك الجيش، ولكن يكتب الملك إلى صاحب البحرين يأمره أن يضع عطاءً للعرب وفَرْضاً، ويندب تميماً لذلك، فمن صار إليه منهم استأسره. ففعل كسرى ذلك، وكتب إلى عامله على البحرين، فوضع العطاء للعرب.

وجاءت بنو تميم لقبض العطاء في حصن بالبحرين يُقال له المُشَقَّر[3] على البحر. فجعل صاحب كسرى يُدخل

---

(١) أمسك الأمر عليه: حبسه عليه.

(٢) هوذة بن علي بن ثمامة، من بني حنيفة، صاحب اليمامة وشاعر حنيفة وخطيبها قبيل الإسلام، وفي عهد الرسول ﷺ. وكان ممن يوفد إلى كسرى في المهمات، أدرك الإسلام ولم يسلم. وفي أ: «هوذة بن خليفة».

(٣) المُشَقَّر: حصن بناه الفرس في البحرين مقابل حصن آخر اسمه الصفا.

رجلاً رجلاً، وكلما دخل رجل كُتِّف حتى دخل أكثرهم. ثم دخل رجل يقال له عوذ بن غالب، فلما دخل من باب القصر أُغلق من خلفه بسلسلة، ونظر إلى أصحابه أسارى، فشدَّ على حَفَظة الباب فتفرقوا عنه، ورجع إلى الباب فضرب السلسلة فقطعها بسيفه، وخرج فأنذر قومه، فخرجوا هاربين، فأنشأ يقول[1]:

ألَا فاذكرنْ فعلي ولا تنسينَّه
عشِيَّة قادوني لحصن المُشَقَّر

---

(١) وردت هذه الحكاية بشكل آخر في العقد الفريد (٣: ١٤٥) وفيها أن الذي هاجم باب الحصن وقطع السلسلة هو خيبري بن عبادة. أما في الطبري م (٢: ١٣٣) فإن الذي قطع السلسلة رجل من تميم اسمه عبيد بن وهب الذي قال بعد أن قطعها:

تذكرت هنداً لات حين تذكر
تذكرتها ودونها سير أشهر
حجازية علوية حل أهلها
مصاب الحزين بين زور ومنور
ألا هَلْ أتى قومي على النأي إنني
حميت ذماري يوم باب المشقَّر
ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة
تفرج منها كل باب مُضبَّر

ولزيادة التفصيلات عن يوم المشقر راجع: أيام العرب في الجاهلية، ص ٢ ـ ٥.

ضربت رتاج الباب بالسيف ضربة
تفرج منها كل باب مُسَمَّر[1]
وقلت ولم أملك أَعوذ بن غالب
لقد كنتَ عن هذا المكَان بمعْمَر[2]
بأرض فلاة لا يُسدُّ وصيدها
عليَّ ومعروفي غير مُنكَر[3]

فقتل صاحب المشقر الرجال وحمل من استأسر من الصبيان إلى كسرى فقُتل. وقلَّت بنو تميم فطمعت العرب فيها؛ فشاورت أكثم بن صيفي[4] وكان حكيم بني تميم، فألقى ثوبه عن بدنه، ثم قال: كيف ترون بدني؟ قالوا: قد نَحُل وكَلَّ، قال: فإن قلبي بضعة من بدني، وقد كَلَّ وضعف رأيي، ولكن أجيلوا الرأي بينكم، فإن الصواب إذا مرَّ بي عرفته. فأشار عليه بعضهم بأن يجتمعوا على ماء

---

(١) رتاج الباب: الرتاج الباب العظيم وفيه باب صغير يفتح عند الحاجة. المرتاج ما يغلق به الباب.
(٢) المَعْمَر: المنزل الكثير الناس والكلأ.
(٣) لا يسد وصيدها: الوصيد: العتبة، أي لا يسد بابها.
(٤) أكثم بن صيفي التميمي: حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين. أدرك الإسلام وقصد المدينة مع وجوه قومه فمات في الطريق، فلم ير النبي ﷺ. كثير من كلامه اتخذ أمثالاً لما ينطوي عليه من حكمة وبعد نظر.

يقال له الكُلاب، لأن المفاوز محيطة به، وهو ماء غزير، فقال أكثم: هذا الرأي: وغزتهم اليمن من بني الحارث بن كعب فظفرتِ بهم بنو تميم، وكان يومَ الكلاب الأصغر[1].

وحُكِيَ أن المأمون وجَّه رجلاً من دعاته إلى مدينة السلام، وأمره بلقاء عبد الملك بن صالح العباسي، وقال له المأمون: إنك ستلقى من عبد الملك رجلاً بعيد الغور، دقيق الفطنة، سديد الحكم، رقيق اللسان، حسن التأني، فاحذره. فإنه يُكثر المباحثة ويحسن المساءلة، ويحتال لاستخراج ما في ضميرك، ويعتبر عليك باختلاف ألفاظك. فلا تُرِه الاسترسال فيتهمك، ولا الاحتراس منه فيحذرك. وعليك باستعمال الغفلة إلى انتهاز الفرصة. فباحثه مباحثة الآمن، واحترس منه احتراس الخائف. واعلم أن البحث الخفي يجلو الأمر، والتعبير يكشف ما في الضمير. واحذر مَنْ تَعرف، ولا تصحب من لا تَعْرف.

وحُكِيَ أن رجلاً ولي اليمن من بني هاشم . فأقام بها

---

(١) يوم الكُلاب الأصغر: من أيام العرب المشهورة في الجاهلية. قامت بين تميم من جهة ومذحج وقضاعة من القبائل اليمانية من جهة أخرى، انتهت بانتصار تميم.

راجع عن تفصيلات هذا اليوم: أيام العرب في الجاهلية، ص: ١٢٤ ـ ١٣١.

مـدة وبلغ منها مـا أراد. ثم ورد عليه كتـاب وكيله من بـاب السلطان يُعلمه أنه قد عُزل عن البلد، وأن الكتب بذلك قـد أنشئت إليـه. وكان من (سُنَّـة) أهـل اليمن، إذا عُـزل عنهم والٍ انتهبـوا مالـه، فإن مـانعهم قتلوه. فلمَّـا بلغ الهـاشمي عزله، كتب كتـاباً على لسـان السلطان إليه يـأمره بـاستئناف سَنَته ويحمد مذهبه، ثم دسَّـه حتى أتاه راكب كـأنه ورد من باب السلطان. فجمع أهل البلد فقرأه عليهم.

ثم خرج يوماً إلى الصيد، فأبطأ إلى الظهر ثم رجـع، وجعل يخفي ماله ويودع ذخـائره. ثم خـرج يومـاً ثانيـاً إلى الصيـد، فأبـطأ إلى الليل ثم رجـع، حتى أحكم أمـره. ثم خرج في الليل إلى الصيد، وخرج بحرمه[1] معه، ثم جعله وجهه. فلم يُنكر أهل البلد إبطاءه حتى بات ليلته. فلما كان من الغد فافتقـدوه، خرجـوا في طلبه فلقيهم مَنْ خَبَّـرهم أنه رآه هارباً فانصرفوا.



(١) في ب: «وخرج بخدمه».

الباب الرابع والعشرون
في إظهار أَمرٍ وإِخفاء غَيره[1]

حُكِيَ أن هَـرْثَمة[2] لمـا توجـه إلى أبـي السَّرايـا[3]، فعبر نهر صَرْصَرْ، فتصافَّ الخيلان، نـظر هَرْثَمـة فرأى نهـر صَرْصَرْ خلفه، وهو وادٍ عظيم الأجراف لا يُـدرك قعره، وعن

---

(١) سقط هذا العنوان في نسخة أ.

(٢) هو هَرْثَمَة بن أَعْيَن.

(٣) أبو السرايا، السري بن منصور الشيباني. عصامي شجاع، تزعم لأول أمره عصابة، وقويت حاله فالتحق بيزيد بن مزيـد الشيباني في أرمينية فعينه قائداً. ولما نشب القتال بين الأمين والمـأمون، انضم إلى جيش هـرثمة قـائد جيـوش المأمـون. ثم خرج على هرثمة بعد مقتل الأمين واستـولى على بعض المدن. ثم التحق بمحمـد بن إبراهيم العلوي عنـد خروجـه على عهد المـأمون، وتـولى قيادة جنـده واستولى على الكـوفـة، وسيَّـر جيـوشـه إلى البصرة وبغداد. ولما استفحل أمـره توالت عليـه جيوش الـدولة العباسية حتى استـطاع الحسن بن سهل التغلب عليـه فقتله سنة ٢٠٠هـ وبعث برأسه إلى المأمون.

يمينه غيضة وحلة، وعن يساره حيطان. فعلم هَرْثَمة أنـه قد أخطأ على نفسه. فـأمر رجـلًا من أصحابـه أن يأتيـه بكتاب يدفعه إليه، ففعل الرجل ذلك. فأخذ هرثمة الكتاب فقرأه، ثم ضرب به الأرض، وألقى قلنسوته عن رأسه، وأبو السَّرايا ينـظر إليه. ثم بعث إليـه هرثمـة: أن الكتاب ورد عليَّ بـأن أمير المؤمنين المأمـون رحمه الله مضى لسبيله، وأن النـاس بـايعـوا ابنـه العبـاس، وإنمـا كنـا نقـاتلكم للبيعـة التي في أعنـاقنـا، وقـد مضت البيعـة وبـرئنـا منهـا، وأحسب أنَّ من تدعون إليه من آل أبـي طالب أمسُّ بـرسول الله ﷺ رحمـاً، فـأَخِّر الحـرب اليومَ نلتق ونتنـاظر. فـأجابـه أبو السَّـرايا إلى ذلك، وفرح بما ذكره هَرْثَمة وطمع في ممالأته.

فـانصرف أبـو السَّرايـا، وأقام هَـرْثَمة في جمـاعة من أنجاد أصحابه، وأمر أهل عسكره بالرجوع فعبروا جسـر نهر صَرْصَرْ، حتى إذا تتامُّوا راجعين، عبر هَرْثَمـة ثم ارتفع على نهـر صَرْصَـرْ فراسـخ، ثم عقد جسـراً في ليلتـه، وعبـر في السحر إلى صحراء واسعة جافة، يمكن فيها مجـال الخيل. ثم بعث إلى أبـي السـرايا أن أميـر المؤمنين أطال الله بقـاءه لم يمت، وقد عبرنا لمحاربتك. فتواقعوا فانهـزم أبو السـرَّايا خمسة وعشرين فرسخاً حتى دخل الكوفة.

وحُكِيَ أن أبا جعفر المنصور، أخذ البيعـة لابنه على

جميع بني هاشم والقواد، إلاَّ عيسى بن موسى، فإنه امتنع من ذلك. فلما حجَّ المنصور حجته التي توفى فيها، حجَّ معه عيسى بن موسى بن إبراهيم الإمام، والعباس ابن محمد، ومحمد وجعفر ابنا سليمان بن عليّ. فلما توفي أبو جعفر بمكة، كتم الربيع[1] مولاه موته. ثم بعث فأحضر الهاشميين وسائر القواد فقعدوا في مراتبهم. ثم خلا بعيسى بن موسى، حيث ينظر الناس إليهما ولا يسمعون كلامهما. ثم قال له الربيع: إن أمير المؤمنين أيَّده الله، أمرني أن أخطب إليك ابنتك فلانة على ابنه محمد المهدي، وأن أبذل لك من الصداق ألف ألف درهم. قال (عيسى): الأمر في ذلك إلى أمير المؤمنين. فدخل الربيع كأنه يؤامر، ثم خرج ومعه المال فدفعه إلى عيسى، ومسح عيسى على يد الربيع عقدة النكاح والناس ينظرون إليهما، ثم حمل المال إلى منزل عيسى بن موسى، وأدخله حجرة فحبسه فيها. وقال لجميع من حضر: إن عيسى بن موسى قد بايع للأمير المهدي ابن أمير المؤمنين المنصور، وأخذ صلته على البيعة. ودخل على أمير المؤمنين وخرج وقال:

---

(١) هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، من موالي بني العباس. كان حازماً ذا رأي وتدبير. اتخذه حاجباً ثم استوزره وكان يعتمد عليه كثيراً.

أمرني أمير المؤمنين بتجديد البيعة عليكم لابنه المهدي. فأحضرت الأموال، فبايع الناس للمهدي بولاية العهد للمنصور. ثم دخلوا وقد سُند المنصور، فسلموا من بعيد وقبضوا صلاتهم وانصرفوا. ثم أظهر موت المنصور من الغد، فخرج عيسى بن موسى فجحد البيعة، فوثب عليه محمد بن سليمان فأكذبه وتهدده وهَمَّ به، فأمسك وبايع. فشكر له المهدي، فزوجه ابنته العبَّاسة[1]، فتزوج ولم يعقب.



(١) جاء في كتاب المعارف (ص: ٣٨٠) أن هرون الرشيد هو الذي زوج أخته العباسة ابنة المهدي إلى محمد بن سليمان، ولما مات عنها تزوجها إبراهيم بن صالح ابن علي.

الباب الخامس والعشرون
في اطّلاعٍ على مَكتوم

وحكي أن المنصـور جلس في إحدى قبـاب مدينتـه، فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يجول في الطرقـات، فأرسـل مَنْ أتاه (به) فسأله عن حاله، فأخبره الرجل أنه خرج في تجـارة فأفاد مـالاً، وأنه رجـع بالمـال إلى منزلـه فدفعـه إلى أهله، فـذكرت امـرأته أن المـال سُرق من بيتهـا، ولم يَرَ أثـر ثقب ولا تسلُّق. فقال له المنصـور: مذ كم تـزوجتها؟ قـال: منذ سنة. قال: أفبكـر تزوجتهـا؟ قال: لا. قـال: فلها ولـد من سواك؟ قال: لا. قـال: فشابـة هي أم مُسنّة؟ قـال: بل هي حدثة. فدعا له المنصور بقـارورة طيب كان يتخـذه له حـاد الرائحة غريب النوع، فدفعها إليه وقال لـه: تطيَّب من هـذا الطيب فإنه يذهب همومك.

فلما خرج من عند المنصور، قال المنصور لأربعة من ثقاته: ليقعد على كل باب من أبواب المدينة واحـد منكم، فمن مرَّ به أحدٌ فشمَّ منه رائحة هذا الـطيب، وأشمَّهم منه،

فليأتني به. وخرج الرجل بالطيب فدفعه إلى امرأته وقال لها: وهبه لي أمير المؤمنين. فلما شمته بعثت به إلى رجل كانت تحبه، وقد كانت دفعت المال إليه، فقالت له: تطيَّب من هذا الطيب فإن أمير المؤمنين وهبه لزوجي. فتطيَّب منه الرجل ومرَّ مجتازاً ببعض أبواب المدينة، فشمَّ الموكَّل بالباب رائحة الطيب منه، فأخذه وأتى به إلى المنصور. فقال له المنصور: من أين استنفذت[1] هذا الطيب، فإن رائحته غريبة معجبة؟ قال له الرجل: اشتريته. قال له المنصور: فأخبرنا ممن اشتريته؟ فلجلج الرجل واختلط كلامه. فدعا المنصور بصاحب شرطته فقال له: خذ هذا الرجل إليك، فإن أحضر كذا وكذا من الدنانير فخلِّه يذهب حيث شاء، وإن امتنع فاضربه ألف سوط من غير مؤامرة. فلما خرجا من عنده دعا صاحب شرطته وقال له: هوِّل عليه وجرده ولا تقدم بضربٍ حتى تؤامرني.

فخرج به صاحب الشرطة. فلما جرَّده وسحبه، أذعن برد الدنانير وأحضرها كهيئتها، فأعلم المنصور ذلك. فدعا بصاحب الدنانير وقال له: أرأيتك إن رددت عليك الدنانير بأعيانها تحكمني في امرأتك؟ قال: نعم. قال: فهذه دنانيرك، وطلِّق المرأة، وخَبِّره خبرها.

---

(١) من أين استنفذت هذا: من أين حصلت عليه.

وحُكيَ أن العباس بن المأمون[1]، دبَّ في الفساد على المعتصم بالله، وساعده على ذلك جماعة كثيرة، فيهم عُجَيف بن عنبسة، وأحمد بن الخليل بن هشام، وعمر الفرغاني وغيرهم. وكان فيمن بايع العباس رجل من أهل خراسان ضعيف العقيدة. فتخلَّف عن نوبته فبُعث إليه فحُبس. فظن الرجل أنه حُبس بسبب العباس، فصاح في الحبس: عندي نصيحة، فرُفع خبره إلى المعتصم، فأمر بمساءلته عن نصيحته. فطلب الأمان على ذلك، فأُعطيَ أماناً. فخبَّر بقصة العباس ومن بايعه، فأمر به المعتصم فحُجب عن الناس، ودعا ابن أبي دؤاد فشاوره وقال: إني لست آمن أن يشيع ما ذكر هذا الرجل، فيستوحش الناس ونحن في بلاد العدو فما ترى؟ قال ابن أبي دؤاد: أرى أن تبعث قبل أن ينتشر الخبر، إلى العباس وجميع من قُرن معه، وإلى نفر من غيرهم تخلطهم بهم، فتخلع عليهم

---

(١) كان العباس بن المأمون قد تآمر مع بعض القواد على اغتيال عمه المعتصم، بينما كان هذا مشغولاً في حرب الروم، إلّا أن المعتصم اكتشف مؤامرتهم فقتل المشتركين فيها، ومنهم القائد عجيف بن عنبسة، عدا العباس فقد حبسه حتى مات في حبسه.

راجع: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٣: ٢٧٥.

وتحبسهم بلا سلاح عندك للغداء والشراب. وتُظهر في العسكر أنهم قد قُيِّدوا. فإن كل من عنده نصيحة فيهم، إذا علم أنهم قُيِّدوا أظهر نصيحته، فإن كان هذا الأمر حقًّا توثقت منهم، وإن كان الأمر باطلًا، لم تعجل بقول لا يُدرىٰ أصدق أم كذب، ولعله أراد التشفي من بعضهم. ففعل المعتصم بالله ما أشار به ابن أبي دؤاد. فلما ظهر في العسكر أن العباس ومن بايعه(١) قد قيِّدوا، جاءت النصائح فيهم، فاتضح الخبر.

وحُكيَ أن دارا ملك الفرس، لما انهزم من الإسكندر، تواطأ عليه حاجبه وصاحب شرطته ليتقربا به إلى الإسكندر. فشدَّا على دارا وضرباه بسيفيهما حتى سقط. فمرَّ عليه الإسكندر، وهو صريع، فعرفه فوقف عليه ونزل إليه فوضع رأسه في حجره ومسح وجهه بكمه، ثم قال له الإسكندر: لئن سلمت من جراحك لأُخلينَّ لك ملكك وأكون لك عوناً وصديقاً ما حييت. ونظر إلى الأطباء فنظروا إليه فرأوه ميؤوس منه، فقال دارا للإسكندر: قد كرمت في الظفر، قال الإسكندر: فأوصني بحوائجك لأبلغ منها ما تحب، قال له دارا: لا تُكْرِه قومي على تغيير دينهم،

(١) في أ: «ومن تابعه».

وتـزوَّج ابنتي وَشْكاد[1] ـ وهي بـالعربيـة رشيق ـ فلا أعلم لها كفؤاً غيرك، وتقتل قاتلي، قال الإسكندر: أفعل.

فـأعطى الإسكنـدر الفرس الأمـان، حتى اجتمع إلى دارا أختانه[2] وخدمه (وحرمه) قبـل موتـه. فلما مـات دارا، كفنه الإسكندر بأحسن الكفن، ومشى مع جنازته إلى قبـره. فلمـا جلس على القبـر قـال: إن الـذي قتـل دارا عـظيم الفعـال، ولـو ظهـر لجـازينـاه بمـا يستحق، ورفعنـاه على الناس. فلما بلغ هذا القول قـاتِلَيْ دارا، ظهرا فخبَّـرا أنهما قتلاه، فقال الإسكندر: أما مجـازاتكما بمـا تستحقان، فمـا يستحق مَن قَتَـل سيده ومن رفـع قدره وغـدر به إلاَّ القتـل، وأمـا رفعكمـا على النـاس، فـإني سـأصلبكمـا على أطـول خشب يمكنني، ففعل ذلك بهما.

فلما دَخل فـارس زُفَّت إليه بنت الملك دارا، وكـانت أحسن أهل زمانها. فأعرض عنها لمَّا دخلت عليه وتشاغل، فقيـل له: أعـرضت عن أحسن خلق الله عز وجـل؟ فقـال: ما أقبح بمن غلب مثل دارا بالسيف أن تغلبـه ابنته بعينيهـا.

---

(١) فـي ب: «ردشنـاد»، وورد اسـمـهـا فـي بـعض الـمـصـادر «روشنـك» ـ البـدء والتـاريـخ ٤: ١٥٣. راجـع عن مقتـل دارا ووصيته: غرر السير ص ٤١٧.

(٢) في أ: «خزانه».

فلما مات الإسكندر قالت بنت دارا: ما كنت أظن أن غالب دارا يموت.

وحُكيَ أن ملكاً كانت أسراره وأخباره تظهر كثيراً إلى عدوه، فيبطل تدبيره على عدوه. فبلغ ذلك منه، فشكاه إلى أحد نصحائه وقال له: إن جماعة يطّلعون على أسراري، ولا بد لي من إظهارها لهم، ولست أدري أيهم يظهرها، وأكره أن أنال من البريء منهم بما يستحق الخائن. فدعا بكتاب فكتب فيه أخباراً من أخبار الملك وجعلها كذباً كلها، ثم دعا برجلٍ رجلٍ منهم، كل واحد دون أصحابه، ممن كان يُفشي الملك إليه خبره، فقال للملك: خبِّر كل واحد منهم بخبر على حدة لا تُظهر عليه سائر أصحابه، ومُرْ كل واحد منهم بستر ما أُسِرَّ إليه، واكتب على كل خبر اسم صاحبه. فلم يلبث أن أظهر الخونة ما أُفشي إليهم، وانكتمت أخبار الناصحين وما أُفشي إليهم. فعرف الملك من يُفشي سرَّه فحذره.

وحُكيَ أن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن[1]، لمَّا

---

(١) إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان شاعراً عالماً بأخبار العرب وأيامها. خرج بالبصرة على أبي جعفر المنصور ودعا إلى مبايعة أخيه محمد النفس الزكية الذي ثار في المدينة وطرد عامل بني العباس منها. وقد التف =

خرج على أمير المؤمنين المنصور بالبصرة، اتهم المنصور جماعة من أهل الكوفة بالفساد عليه وخافهم. فكتب كتباً إليهم على لسان إبراهيم بن عبد الله، يخبر فيها بأنه يثق بهم ويعتمد عليهم ويأمرهم بالوثوب على أبي جعفر. ثم أخذ فيجاً[1] فدفع الكتب إليه وهي مفضوضة وقال له: انطلق بها إلى من هي (إليهم)، واعلمهم أن إبراهيم وجَّهك بها، وأني ظفرت بك ففضضتها. فلما وصلت الكتب إلى أربابها، هرب من كان مريباً فتشردوا في البلاد. وأخذ الكتاب من كان بريئاً فجاء به إلى المنصور وحلف على براءته، فقبل المنصور منه ذلك.

وحُكيَ أن إبراهيم بن السندي بن شاهك قال: بينا

= حول إبراهيم عدة آلاف من المقاتلين، فاستولى على البصرة والأهواز وواسط، وهاجم الكوفة. فاضطرب المنصور كثيراً، فوجه إليه الجيوش فاصطدمت معه بعدة معارك آخرها كانت قرب الكوفة، قتل فيها إبراهيم سنة ١٤٥هـ، وجيء برأسه إلى المنصور.

(١) الفيج: رسول السلطان، أو الذي يحمل الكتب (فارسي معرب).

خـالد بن بـرمك[1] مـع قَحْـطبـة[2] في غـرفـة تشـرف على صحـراء، وقد نـزل تلك الساعـة وترك الجنـد حولـه، فمن رجل ينصب خيمته وآخر يقود دابته، ومن رجل يبسط سفرته وآخر ينزع ثوبه، ودعا قَحْطبـة بالغـداء. إذ نظر خـالد نـظرةً فقال: نادِ في الخيل فقد سرى إليك الخيـل، وبالحـرى أن لا يستوي الناس على ظهـور الدواب حتى يهجمـوا عليك، قال: وما ذاك يـا أبا العبـاس؟ فوالله مـا أرى شيئاً ولا أسمـع صوتاً؟ قال: إركب أُخبرك، فـإن الأمر أسـرع مما تحسب، قـال: فركب قَحْـطبة ونـودي في الناس فـركبوا، قـال: فما استـووا على ظهور دوابهم حتى لاحت الغبـرة وطلع عليهم سَرَعان الخيل، ودهمهم العدو، فصـادفوا من العسكـر يَقَظَة فـواقعوهم ودافعـوهم. فعجب قَحْطبـة فقال: كيف علمت؟

---

(١) خالد بن برمك: أول من وزر من آل برمك في الدولة العباسية. وكـان أبوه بـرمك من مجـوس بلخ يخدم النـوبهار، وهـو معبـد للمجوس في بلخ توقد فيه النيران. واشتهر هـو وبنوه بسـدانته. تولى خالد الوزارة للسفاح بعد أبـي سلمة الخلال. وبقي خـالد في منصبه حتى توفي السفـاح فأقـره المنصور على وزارتـه حتى استبدل به أبا أيوب المورياني. ولم يبلغ خالد أحد من ولده في علمـه وجـودة رأيـه وقـوة بـأسـه. (وفيـات الأعيـان ١ : ٢٩٥ ــ ٢٩٦).

(٢) هو قحطبة بن شبيب.

قال: أما رأيت أيها الأمير الوحش مقبلة؟ قال: بلى، وما في وحش لاحت في صحراء؟ قال: إن من شأن الوحش الهرب منّا لا إلينا، فلما رأيتها مقبلة إليك، علمت أنها لم تَدَع شأنها وعادتها، إلّا لأنها قد ضاقت بها الصحراء من الخيل التي هجمت عليها فهربت منها، قال إبراهيم: فلولا خالد لاصطلموا[1] ذلك اليوم.



(١) لاصطلموا: لهلكوا واستأصلوا.

راجع نص هذه الحكاية في: وفيات الأعيان ١: ٢٦٥.

الباب السادس والعشرون
في دَرَكِ ثَأرٍ وَطَائِلَة

ذُكر أن الوضَّاح جذيمة[1]، كان ملكاً على الحيرة وما والاها من السواد. وكانت الزبَّاء[2] ملكة على ناحية قرقيسياء وهِيت وديار ربيعة. فبنت قصرين على شاطىء الفرات لها ولأختها. فخطب الوضَّاح إلى الزبَّاء نفسها، فأطمعته في ذلك، وبعثت إليه: إني أزوجك نفسي على أن تصير إليَّ وتقيم عندي، ثم أصير معك إلى بلدك. فطمع

---

(١) هو جذيمة الأبرش بن مالك من ملوك الحيرة التنوخيين وسمى بالوضاح والأبرش لبرص كان فيه. كان ذا مطامع توسعية، فهاجم مشارف الشام وحارب ملك الجزيرة عمرو بن الظرب فقتله ونهب بلاده.

(٢) الزباء: بنت عمرو بن الظرب، خلفت أباها في حكم الجزيرة، وكانت على جانب كبير من الدهاء، فصممت على الأخذ بثأر أبيها، واستطاعت أن تدبر لجذيمة (قاتل أبيها) مكيدة فقتلته.

راجع أعلام النساء، الجزء الثاني، ص: ٦ ــ ١٥.

الـوضَّاح في أن يجتمـع له المُلْكـان، فتزوجهـا على ذلك، وأراد المضي إليهـا. فقـال لـه وزيـرٌ لــه يقـال قَصِيــر[1]: لا تمضِ أيها الملك إلى هذه المرأة، فإن النساء يُهدَين إلى الرجال، ولست آمنهـا عليك. فـأبـى عليه الـوضَّاحِ (ولـجَّ، فقـال قصير: لا يُـطاع لقصيـر أمـر، فـذهبت مثـلاً. ومضى الوضَّاح) إلى الزبَّاء مخففاً[2] من أصحابه.

فلمـا دخل عليهـا وجدهـا على سريـر لهـا، فـأمـرت جـواريها فـأمسكن يديـه وأخـذن سيفـه، ثم كشفت لـه عن عـانتها، فـإذا شعرهـا قـد طـال حتى عقـدتـه في ظهـرهـا، وقـالت: أهِنَـة ذات عـرس تـرى؟ قـال[3]: لا، ولكن هِنَـةً قذرة. قالت: أمـا والله ما بنـا عجز مـواسٍ ولا قلة أواسٍ، ولكن شيمـــة من أنـاس. ثم قـــالت لـه: أي قتلة تحب أن أقتلك؟ قال: إن (كنتِ) لا بد قـاتلتي فاقتليني قتلة كـريمة.

---

(١) هو قَصِير بن سعد بن عمر، كـان أريباً حـازماً أثيـراً عند جـذيمة الأبرش ناصحاً له. وقد نصحه بعـدم المضي إلى الزبـاء وحذره من غدرها. فلمـا قتل جـذيمة وخلفـه ابن أخته عمـرو بن عدي على الحيرة، شجعه قصيـر على الثأر لخـاله، وقـام هو بـالدور الرئيسي في ذلك.

(٢) في ب «متخفياً من أصحابه».

(٣) وفي كتاب أسماء المغتالين، ص ١١٤، قال: بلغ المدى وجف الثرى وأمر غدر أرى.

فأمرت جواريها فقالت: اعجنَّ لمولاكن لُباب البُرِّ بالسمن والعسل، فعملن الفالوذج[1]. فأطعمته حتى شبع، ثم سقته الخمر حتى ثمل، ثم أقعدته في نِطْع وفصدت شريانه، وأمرت جواريها فأخذن بأطراف النِطْع ودمه يسيل في النِطْع. فلما غلبه النزف، مال على إحدى جنبيه، فخرج الدم من النَطْع. فقالت: أي وضَّاح، إحفظ دمك. قال: وما عليكِ من دم أَضاعه أهله، فذهب مثلاً. فنزف حتى مات.

وبلغ الخبر قَصيراً وزيره فجدَعَ أنفه[2]، ودسَّ إليها أنه جُدِعَ لأنه أشار على مولاه بقصد الزباء. ثم راسلها يُطمعها في مُلْك وضَّاح. فركنت إليه، وصار إليها بأمان. وأخبرها بسعة التجارات بالسواد وانشراحها[3]. فدفعت إليه مالاً يسيراً لتمتحنه، فأتاها بربح عظيم فسرَّها. ثم زادته في المال، فأتى إليها بربح عظيم، فأعطته مالاً كثيراً وأنست به. وكانت تحادثه، فقالت له فيما خبَّرته: إني حفرت من قصري إلى قصر آخر على الفرات من الجانب الآخر سَرَباً تحت الماء، وجعلت (باب) السرب تحت سريري ومخرجه

---

(١) الفالوذج: نوع من الحلوى.

(٢) وقيل: لأمر ما جدع قصير أنفه، فذهبت مثلاً.

(٣) انشراح التجارة: توسعها.

تحت سرير آخر، فإن راعني أمر خرجت إلى جانب الفرات الآخر، فحفظه عليها قَصير.

ثم مضى بالمال، فهيأ ألفى رجل في ألفي صندوق على ألف جمل بختي(١)، وعلى الرجال الدروع ومعهم السيوف، ثم أقبل بهم. ووجَّه إليها: إني قد أقبلت إليك(٢) بتجارة لم يدرك الناس مثلها، فلما قرب منها صعدت على سور مدينتها تنظر إلى العير فرأتها مقبلة(٣) فقالت:

ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صَرَفاناً بارداً شديداً
أم الرجال رُبَّضاً قعودا(٤)

وجاء قصير بالعير فأدخلها المدينة، فأناخ الجمال، وثار الرجال من الصناديق بالسيوف يضربون مَنْ أدركوا. وعلمت الخبر فدخلت السَّرَب الذي ذكرت لتخرج من جانب الفرات الآخر، وبادرها قصير فوقف على باب

---

(١) الجمل البختي: الجمل الخراساني.

(٢) في ب: «قد جئتك».

(٣) في ب: «مثقلة».

(٤) الصرفان: النحاس والرصاص، أو الموت.

السَّرَب. فلما رأته والسيف معه، علمت أنه قاتلها، فمصَّت سُمًّا كان تحت خاتمها وقالت: بيدي لا بيد غيري فمـاتت. وفي رواية، بيدي لا بيد عمرو[1]، فأرسلتها مثلاً.

وقيل كتب كسرى إلى عـامله، أن يبعث إليه بكـر بن وائل[2] وتميم ابن مر[3]. قال: وكان بكر أعور، فتوجها إلى كسـرى، فلما دنـوا منه، أراد بكـر أن يمكـر بتميم، فتغفله فسـرق ثيابـه وركب راحلتـه ومضى حتى أتى بـاب الملك، ولبس ثياب تميم، وبقي تميم ليس معه ثياب. فأذن كسـرى لبكر، فلما دخل قال له: أين صاحبك؟ قال: تخلَّف يتصيد ويجني الكمأة، وبادرت أنـا إلى الملك بالسمـع والطاعـة. فأعجب ذلك الملك وقال له: ما تحب أن أَصنع بك؟ قال:

---

(١) في بعض الـروايات: أن الـزبـاء أقبلت تـريـد النفق لتـدخـل، فأبصرت قصيراً عند بابه مصلتاً سيفه، فانصرفت راجعة فتلقاهـا عمرو بن عدي ليضربها، فمصت خاتمها وكان فيه سم، وقـالت بيدي لا بيد عمرو.

(٢) بكــر بن وائـل بن قــاسط: من زعمـاء بني ربيعــة ومن وجـوه الجـاهليـة، لــه عـدة أولاد وأحفــاد تنتسب إليهم بعض فـروع ربيعة.

(٣) تميم بن مر: من زعماء العرب في الجاهلية وإليه تنتسب بـطون قبيلة تميم وهي من أكبر القبائل العربية. وكان ممن أوفـدوا إلى كسرى في بعض المهام.

لا تصنع بتميم شيئاً إلاَّ صنعت بـي مثله. قال: فذاك لك.

وقدم تميم بعد يوم أو يومين، فسأله الملك عن سبب إبطائه وتخلفه عن صاحبه، وأعلمه أن قد جعل له أن يصنع بـه مثل مـا يصنع بتميم. فـأخبـره تميم بقصتـه ومكـره بـه. وقال: إن حاجتي إلى الملك أن يفقأ عيني ويفعل مثل ذلك ببكـر كما وعـده. قال لـك ذلك. فـدعا ببكـر، وأمـر بتميم ففقئت عينـه فصـار أعـور، وفقئت عين بكـر فصـار أعمى، فخرج يتلمس الجدار وهـو يقول: لا بصـر يهديني ولا قـائد يقودني، فتصدقـوا على الزَمِن[1] رحمكم الله. قـال: فكان بكر أول السائلين.

قال: كان الـوضَّاح بن إسمـاعيل بن داود[2] أتى إلى الشام، فكان من أجمـل الناس وأفصحهم، فـرأته امـرأة في زمن عبد الملك فعشقته، فكان يدخل إليها، وكـانت تجعله في صنـدوق. فـإذا لم تكن ليلتهـا من زوجهـا، ظهـر معهـا يحـدثها، فـإذا خافت شيئـاً أدخلته الصنـدوق. فبعث إليهـا زوجها بجوهر مع خصيّ له، فدخـل فجأة وهـو معها، فلمـا

(١) الزمن: ذو العاهة.

(٢) المعـروف بوضـاح اليمن، أحد أبنـاء الفرس الـذين قـدمـوا في الحملة الفارسية التي طردت الأحباش. وكان شاعراً ظريفاً.

أحسَّ بـه دخل الصنـدوق. ودفـع الخصيّ إليهـا الجـوهـر، فـطلب منها فصًّـا كان في الجـوهر، فلم تعـطه إيَّاه. فـأتى مولاه فأخبـره بالأمـر، ووصف له الصنـدوق الذي دخـل فيه الوضَّاح. فأتاها زوجها فقال يا فـلانة، هبـي لي بعض هـذه الصنـاديق. قالت: أيتهـا شئت؟ قـال: هـذا. قـالت: خـذ غيـره. قال: لا أبغي غيـره. قالت: خـذه. قال: احفـروا، فحفـروا حتى أمعنوا. ثم قـال: دلُّوه فـدلَّوه، وأعـاد التراب عليه، وقال: إن كان حقاً أو باطلاً فقد فرغنا[1] (منه). فمـا رأت ذلك في وجهه حتى مات[2].



(١) وفي كتاب أسماء المغتـالين ص ٢٧٣: قال: يـا هذا، قـد بلغنا عنك شيء، فإن كان حقاً أو باطلاً فسنقطع أثرك.

(٢) وردت هذه الجملة الأخيرة في أسماء المغتالين كمـا يلي: «فلم تتبين في وجه الوليـد إلى أن مات شيئـاً يذكـر». وفيه: إن التي عشقت الوضاح هي أم البنين بنت عبـد العزيـز بن مروان زوجـة الوليد بن عبد الملك، وهو الذي أخذ الصندوق ودفنه.

الباب السابع والعشرون
في فَسخِ العَزائم

قيل لمَّا قدم الوفد إلى سليمان برأس قتيبة، كتب لوكيع بن أبي سود[1] عهده على خراسان، فقال يزيد بن المهلب لعبد الله بن الأهتم، ولم يزل مائلاً إلى آل المهلب: إن أنت فتأت[2] أمير المؤمنين عن رأيه في وكيع وصرفته عن توليته خراسان إلى توليتي، فلك مائة ألف (درهم) أعجلها لك بالشام، ولك أمر خراسان، قال: فقام عبد الله بن الأهتم فتكلم عند سليمان كلاماً يفرق الناس عن استبراعه[3] واستحسانه، ثم قال: يا أمير المؤمنين، إن

---

(١) هو وكيع بن قيس بن حسان بن أبي سود التميمي. تولى قيادة الثورة على قتيبة بن مسلم في خراسان حينما خرج قتيبة على سليمان بن عبد الملك. واستطاع وكيع أن يقتل قتيبة، فبعث برأسه إلى سليمان. للتفصيلات راجع: وفيات الأعيان، ٥: ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) فتأت: عدلت به وصرفته.

(٣) في ب: «استبزاعه»، والبزاعة ما يحمد به الإنسان.

وكيعاً أدرك لي بثأري، وبالغ في طاعة أمير المؤمنين فجزاه الله خيراً، غير أني والله لو خفت من إحدى يديَّ خلافاً على أمير المؤمنين، لأحببت إبانتها[1] من صاحبتها. إن وكيعاً لا يملك مائتي عنان قط فيُحدِّث نفسه بالطاعة لأحد إذا غضب، فلا تأخذنا بحدث كان منه عند معصيته، قال سليمان: يا ابن الأهتم، فمن لخراسان؟ قال: العبد في الطاعة والأخ في النصيحة، قال: يزيد بن المهلب؟ ويزيد إلى جنب سليمان قاعد، وقد كان سليمان استعمل يزيد على حرب العراق وصلاته إلاَّ خراسان وحدها، فاستعمل صالح بن عبد الرحمن الكاتب مولى بني تميم على الخراج. فلما قال عبد الله ذلك، قال سليمان: صدقت. وأقبل على يزيد فقال: استخلف على أعمالك في العراق، وسر إلى خراسان فأحكم أمرها، ولا تقدم على وكيع بضرب ولا عذاب، وخذ ما سرق من مال الله منه إن كان فعل، بغير عذاب ولا ضرب[2].

ومثله ما قيل في حكومة أبي بردة بن أبي موسى[3].

---

(١) إبانتها: فصلها.

(٢) لم يلتزم يزيد بهذه الوصية إذ حبس وكيع بن أبي سود وناله بكل مكروه.

راجع: كتاب البلدان، ص ٣٠٠.

(٣) أبو بردة: هو عامر بن أبي موسى الأشعري، ولاه الحجاج =

وذاك أنه ولي بعد الشعبي قضاء الكوفة. فكان يحكم بأن رجلاً لو قال للمملوك الذي لا يملكه، أنت حر، إنه يُعتق ويؤخذ المعتِق بثمنه، قال: فعشق رجل من بني عبس جارية لجار له فجُنَّ بها وجنت به. فكان يشكو ذلك إليها، فلقيها يوماً فقال (لها): أشكو إلى الله أنه لا حيلة لي فيك، قالت: بلى والله، إن لك لحيلة ولكنك عاجز، هذا أبو بردة يقضي بالعتق بما قد علمت، فقال لها: إنك لصادقة. ثم قدم بها إلى مجلسٍ للنَخَعي[1] فيه قوم يُعَدَّلون. فقال: هذه جارية آل فلان أُشهدكم أنها حرة، فألقت ملفحتها[2] على رأسها. وبلغ ذلك مواليها، فجاءوا فقدموه إلى أبي بردة، وقدموا صاحب الجارية، فأنفذ عتقها وألزم الرجل ثمنها. فلما أمر به إلى السجن، خاف إذا ملكت أمرها (أن تصير) إلى أول من يطلبها، وأن يخيب هو فيما سعى إليه من أمرها، فقال:

= قضاء الكوفة. وكان يقال ثلاثة قضاة في نسق: كان بلال بن أبي بردة قاضياً على البصرة، وكان أبوه أبو بردة بن أبي موسى قاضياً على الكوفة، وأبوه أبو موسى الأشعري قاضياً لعمر.

(١) هو إبراهيم النخعي، وهو تابعي من فقهاء الكوفة المشهورين. توفي سنة ٩٥هـ. وكان من أصدق الناس رواية وحفظاً.

(٢) الملحفة: اللباس الذي يلبس فوق سائر الملابس من آثار البرد ونحوه، ويقصد هنا إنها تسترت لأنها أصبحت حرة.

أصلح الله القاضي لا بد من حبسي؟ قال: أو تعطيهم ثمنها؟ قال: فليس مثلي يُحبس في شيء يسير، أشهدكم إني قد أعتقت كل مملوك لآل أبي موسى، وكل مملوك للأشعريين، وكل مملوك لمذحج[1]. فخلَّى سبيله، ورجع عن ذلك القضاء فلم يحكم به.

ومثله لما خرج الأحنف مع مصعب بن الزبير، أرسل إليه بمائة ألف درهم، ولم يرسل إلى زبراء جاريته بشيء. فجاءت حتى قعدت بين يديه ثم أرسلت عينيها[2] فقال: ما يبكيك؟ قالت: ما لي لا أبكي عليك إذا لم تبكِ على نفسك، أبعد نهاوند ويوم مرو الروذ، صرت إلى أن تجمع بين عارين من المسلمين. فقال: نصحتِني والله في ديني إذ لم أنتبه لذلك. ثم أمر بفسطاطه[3] أن يقوَّض. فبلغ مصعباً ذلك، فقال: ويحكم مَنْ دهاني في الأحنف؟ فقيل له: زبراء، فبعث إليها بثلاثين ألفاً، فجاءت حتى (وقفت بين يديه وأرسلت) عينيها، فقال: ما لكِ يا زبراء؟ قالت: جئتَ بإخوانك من أهل البصرة تزفهم كما تُزَف العروس، حتى

---

(١) يريد أنه أعتق جميع مماليك أسرة القاضي وقبيلته.

(٢) أرسلت عينيها: أخذت في البكاء.

(٣) الفسطاط: البيت من الشعر.

إذا صيَّرتهم في نحور أعدائهم أردت أن تفت في أعضادهم. قال: صدقتِ والله، يا غلام (دعها) فاضطرب العسكر، وقيل: هاجت زبراء، فذهبت مثلاً[1].

*
**

(١) وردت هذه القصة في الباب التاسع بتغيير بسيط كمثل على تسكين شغب وإصلاح ذات بين، وجاءت هنا مثلاً على فسخ العزائم. وقد جاءت العبارة الأخيرة هنا مشوشة فصححناها على الشكل الذي جاءت به هناك.

الباب الثامن والعشرون

في إنهاءِ خَبرٍ بِلا تَصريح

قيل لمَّا حارب أهل حمص مـروان بن محمد وعليهم السمط، وكـان معاويـة السكسكي فارس أهـل الشام معـه، فـأسر مـروان معاويـة السكسكي، فقـال: دعني أكلم أهـل حمص وأدعوهم إلى طاعتـك. فأرسله مـروان ووكل بـه من يحفـظه، فأتـاهم فكلمهم فشتموه من فـوق الســور وشتمـوا مروان، فقال لهم: أما إذا أبيتم، فأرسلوا إليَّ غلامي ميسرة الأسود، ولتكن معه ثيـابـي كلها. ورجـع إلى مروان الـذين كـانوا معـه، فقـال لهم: مـاذا قـال لهم؟ فـأخبـروه، فقـال مـروان: أتـدرون مـا أراد؟ قـالـوا: لا، قـال: أمـرهم (أن) يبيتـونا، وقـال لهم: إذا أمسيتم فالبسـوا سـلاحكم واحملوا على الميسـرة. فأمـر معاويـة فقطعت يـداه ورجـلاه. ولمـا أمسوا صيَّروا الفرسان وأهل النجدة في الميسـرة، فلما كـان في بعض الليل بيَّتهم أهل حمص فلم يقـدروا (منهم) على شيء.

وقيل إن مخارق بن عفار ومعن بن زائدة في فوارس، لقيا رجلاً ببعض بلاد الشرك ومعه جارية لم يريا مثلها شباباً وجمالاً، فصاحوا به أنْ خَلِّ عنها، ومعه قوس له فرمى بعضهم فجرحه، وهابوا الإقدام عليه. ثم عاد ليرمي فانقطع وتره، فأسلم الجارية واشتد في جبل كان قريباً منه. فابتدروا الجارية وفي أذنها قرط فيه درة، فانتزعه بعضهم من أذنها، فقالت الجارية: وما قدر هذا لو رأيتم درتين معه في قلنسوته، فاتبعوه، فقال: ما لكم، ألم أَدَعْ لكم بغيتكم؟ قالوا: أَلِق ما في قلنسوتك. فرفع قلنسوته فإذا فيها وتر للقوس قد كان أعده فأنساه الدهش، فلما رآه عقده في قوسه فولَّى القوم ليست لهم همة إلاَّ أن ينجوا بأنفسهم وخلُّوا الجارية.

وحُكي أن عرباً من بني أسد، أسروا غلاماً من طيء، فلحقه أبوه ليفديه، فاشتط الأسديون على الطائي في الفدية، فطلبوا منه مائة ناقة، فقال الطائي: والله لا أفديه بمائة، ما دام الفرقدان على طيء، وابنه يسمع، ففهم عن أبيه أن الطريق إلى جبلي طيء على الفرقدين. فطلب غِرَّةً من القوم، ثم ركب جملاً ذلولاً من أبلهم وأخذ على سمت الفرقدين حتى رجع إلى قومه.

وحُكِي أن المأمون كان قد رفع بمرو الفضل بن

سهل، وبلغ من الغلبة عليه الغاية، حتى لا يصل إلى المأمون من أخبار ملكه وأموره، وخاصة أصحابه إلَّا من أذن له الفضل. ثم حمله على البيعة لعلي بن موسى الرضا. قال سعيد بن مسلم: دعاني الفضل بن سهل ليلة فسهرت عنده حتى نوَّم الناس، ثم قال لي: أين فعلي حين ظفر أمير المؤمنين بأخيه من فعل أبي مسلم في نقل الدولة إلى بني العباس عن بني أمية؟ قلت له: لا، سوى أنت نقلت الدولة من أخ إلى أخ والأمر ثابت لأهله، وقد كانت البيعة لصاحبها في أعناق الناس، وأبو مسلم خرج بغاية الضعف، فنقل دولة من قبيل إلى قبيل من غير بيعة متقدمة، قال سعيد: فأمسك الفضل على قولي.

ثم دَبَّ في البيعة لعلي بن موسى، فلما بايع له دعاني على خلوة في مثل ذلك الوقت بعد حَوْل. فعلمت أنه يريد بي بمثل ما كان دعاني إليه، فقال لي: يا سعيد، أين فعلي في البيعة للطالبي من فعل أبي مسلم؟ فخفت أن أقول دون فعل أبي مسلم، لأن البيعة لم تخرج عن بني هاشم، فيحمله أن يحتال لبيعة أعجمي، وكان يغلب المأمون كيف شاء، فقلت له: لا، بل فعلك أكبر من فعل أبي مسلم، فسرَّه ذلك.

ولمَّا بلغ العباسيين بمدينة السلام وقوع البيعة

لعلي بن موسى، بايعوا لإبراهيم بن المهدي[1]، وخرجوا معه فهزموا الحسن بن سهل من المدائن إلى الصِّلْح[2] نحو أربعين فرسخاً، وكانت بنت موسى الهادي[3] تحت المأمون وهي مقيمة بمدينة السلام، فأحبت أن يعلم المأمون الخبر وبيعة أهله لإبراهيم عمه. وعلمت أن كتبها لا تصل إلى المأمون حتى يقرأها الفضل، وخافت أن توجه امرأة بالخبر فتُغَرَّر أو تُرَغَّب فتُخبر بما أُودعت. فهيأت خلعاً من وشي فائق وخزٍّ حسن، وبطَّنت الخلع ببطائن خَلِقَة وسخة،

---

(١) إبراهيم بن المهدي: هو أخو هارون الرشيد وأمه جارية سوداء، فكان لونه أسود حالكاً. وقد عرف بفصاحة اللسان وسعة الصدر وسخاء الكف، كما كان ماهراً في الغناء. وقد عمل للرشيد والياً على الشام. ولما ولي المأمون الخلافة اغتنم إبراهيم فرصة الاضطرابات التي نشأت عن الخلاف بين الأمين والمأمون، فدعا إلى نفسه ببغداد عندما كان المأمون لا يزال في خراسان. فبايعه كثيرون ومنهم عدد من أهل البيت العباسي، ولقب بالمبارك ودامت خلافته قرابة السنتين. إلاَّ أن جيوش المأمون انتصرت عليه، فهرب واختفى مدة ست سنوات ظهر بعدها واستسلم للمأمون معتذراً عن خروجه فعفا عنه.

(٢) الصلح: كورة كانت فوق واسط لها نهر يستمد ماءه من الجانب الشرقي من دجلة يسمى فم الصلح. وكانت بهذه الكورة منازل الحسن بن سهل وقصوره. (معجم البلدان ٥: ٣٧٩).

(٣) هي أم حبيب.

وكتبت على البطائن ما أرادت مما يلي الظهائر كتاباً غير ظاهر. ثم وجهت بها إلى المأمون مع هدايا كثيرة، فاعترضها الفضل بن سهل فلم يفهم، فأوصلها إلى المأمون فأعجب بها. ثم أراد لبس بعضها، فلما نظر إلى بطائنها أنكر ذلك وراعه، وقال: كيف يبطن ثوب يساوي عشرة آلاف درهم ببطانة تساوي عشرين درهماً؟ إن لهذا لشأناً، وإن لأحسب أمراً قد حدث في ناحية بغداد ينبغي أن يُغيَّر. ثم أمر بفتقها، ففتقت، فإذا في داخلها في كل بطانة نسخة الخبر.

فدعا المأمون بالفضل بن سهل، فقال له: كتمتني خروج عمي عَلَيَّ وهزيمته لأخيك؟ قال الفضل: لم يكن ذلك كما بلغ أمير المؤمنين، فأخرج له المأمون بطانة فقرأ ما عليها، فقال له: أردت أن أكفيك هذا الخطب ثم تعلمه. فأمر المأمون من ساعته بالرحيل إلى العراق، وتنكَّر للفضل بن سهل[1].



(١) وقد مر خبر قتله في سرخس بتدبير من المأمون، في الباب الثالث والعشرين.

الباب التاسع والعشرون
في مُخاطرة المُلوك بأنفسهم

حُكيَ أن ملكة كانت قد جمعت ملك اليمن، لمَّا بلغها مخرج الإسكندر وما فعل لملك الفرس وملك الهند. وجَّهت إليه مصوراً حاذقاً فصوَّره وصوَّر رؤساء عسكره. وقد كان ابنها عند ملك الهند، أخذته امرأته بنت ملك الهند. فلما ظفر الإسكندر ببلاد الهند، أحسن إلى ابن ملكة اليمن وحمله إلى أمه ومعه امرأته. فلما شخص الإسكندر في البحر فعمد[1] إلى ناحية اليمن، خرج إلى الملكة كعادته أنه رسول. فلما بلغها أن رسول الإسكندر قدم عليها جلست له. فدخل إليها وهي محتفية[2] في أصحابها

---

(١) في ب: «فعبر» ولم يعرف تاريخياً أن الإسكندر غزا بلاد اليمن.

(٢) محتفية: حفى به أو احتفى به، بالغ في إكرامه، والاحتفاء المبالغة في الإكرام وإظهار السرور. وفي ب: «محلقة».

وجمعها. فأبلغها الرسالة، فعرفته وأمرت به فأنزل في منـزل واسع. فلما كان العشيّ، بعثت إليه فحضرها فـأُدخل إليهـا ولا سـلاح معه. وهي في مجلس مفصص بـأنواع الحجـارة العجيبة، وجواريها معها على سريرها. فأُتي به، فقالت له: يـا اسكنـدر، لا تحتشم فـإنـك تستـأهـل أن تُكـرَّم. قـال الإسكندر: أنشدك الله أيتها الملكة أن تدعوني بـاسم سيدي ومليكي. قالت له: إجلس حيث أجلسـك، ثم أخرجت لـه صورته. فلما علم أنها عرفته جعـل يعض يده، فقـالت له: ما هذا التلهف؟ قـال: آسف ألاَّ يكون معي سيفي. فـرمت في الأرض بقضيب كان في يدها، فخرج من خلف ستورها رجـال فـي الـدروع ومعهم السيـوف. ثم أومـأت إليهم، فـرجعوا إلى مـواضعهم. ثم قالت لـه: لا تُـرَعَ، فـإن لـك عنـدي يداً أنـا مجازيتـك بها. فـردتـه إلى عسكـره بعـد أن عاهدته على أن ينصرف عنها، فانصرف.

وحُكيَ أن أبـا مسلم قبل استحكـام أمـره وهـو يتنقـل بكُوَر خراسان، يدعو إلى بيعة إبـراهيم الإمام، نـزل ببعض الكـور على رجل من عـظماء خـراسان. فهمَّ الـرجـل على أبـي مسلم بـأخـذه والتقـرب بـه إلى ولاة بني أميـة. ففـطن لذلك رجل من أهل الكـورة، وكان مـائلاً إلى بني هـاشم، فاستأذن الرجل الذي همَّ بأبـي مسلم في الدخول عليه فأذن

له، ووجه معه أميناً لـه تخوفـاً من أن ينذر أبـا مسلم. فلما مضى نحـوه والأمين معه، بـدأ في قـراءة القـرآن في سـورة القصص. فلمـا دخل على أبـي مسلم مـرَّ في قـراءتـه على الآية:

﴿إنَّ المَلأ يَأْتَمِرونَ بكَ لِيقْتُلوكَ فاخْرجْ إنِّي لـكَ من الناصِحين﴾[1].

ونظر إلى أبـي مسلم نظرة منكرة، ففهم أبو مسلم عنه ما أراد، وسأله الرجل عن حاله وانصرف. فرجع إلى موضع نزيل أبـي مسلم، فسأل أمينه: هل دار بينهما شيء أنكـره، قال: لا، ولقد كان يقرأ القـرآن أكثر جلوسـه عنده. وهـرب أبو مسلم من تحت ليلته.

وحُكيَ أن أبا العباس السفاح، أنكر طاعة أبـي مسلم بخراسان، فوجَّه أخاه أبا جعفـر، إلى خراسـان، وكتب معه كتباً إلى أبـي مسلم، بتسليم عمل خراسان إلى أبـي جعفر، وكتب مع أبـي جعفر كتبـاً بخطه إلى ولاة كـور خرسـان في السمع لأبـي جعفر، وحسن معـونته على أبـي مسلم. فقـال أبــو العبــاس لأبـي جعفــر: إذا وصلت إلى أبـي مـسلم، فتعرَّف طاعته بما يُظهر من تعظيمك، فإن رأيته معـظماً لـك

(١) سورة القصص: الآية (٢٠).

مكـرماً، فـأوصل إليـه كتاب عـزله وتسلم العمـل منه. وإن أنكرته فـأعْلِمه أنـك أتيته زائـراً، ثم أوصل الكتب إلى ولاة الكور في السمع والطاعة، ليثبوا على أبـي مسلم فيسلموه إليك.

فلمـا ورد أبو جعفـر على أبـي مسلم لم يتلَقَّه، ولمـا دخل عليه لم يكرمه ولم يقم إليه، ولـم يأمر له بمنزل ينزله، ولا أقام له نُزُلاً. فلما انصـرف أبو جعفـر إلى مضربـه، قال مـالـك بن الهيثم الخـزاعي[1] ومعـاذ بن مسلم العقيـلي لأبـي مسلم: أصلح الله الأميـر، ورد عليـك أخـو إبـراهيم الإمـام وأخو أميـر المؤمنين فلم تلقه ولـم تقم إليـه، وعبست في وجهـه ولم تُقم له نـزلاً ولا منزلاً. فقـال لهمـا: أمسكـا عني، فوالله لو تلقيته بالإكرام لأخرج كتاب العزل من كُمِّه.

فلما كان في الليـل، صار مـالك بن الهيثم إلى بـاب مضـرب أبـي جعفر متنكـراً في زي العامـة، فقال لحـاجب أبـي جعفر: اعلمه أن هـذا (الفاسق) يعني أبـا مسلم (عزم) على أن يـطرقكم[2] في الليـل فيفتش الـرحـالات[3]، فـإن

---

(١) مـالـك بن الهيثم الخـزاعي: من نقبـاء الـدعـوة العبـاسيـة في خراسان. وقـد أعلن الثورة على الأمـويين فقبض عليه وحبس. ثم أطلق سراحه، فصار إلى أبي مسلم الخراساني وقاتل تحت لوائه.

(٢) يطرقكم في الليل: يركب إليكم ليهاجمكم ليلاً.

(٣) الـرحالات: جمـع رحال وهي سـروج الإبل، أو مـا يستصحبـه المسافر من الأثاث والأمتعة.

وجـد (عندكم) كتبـاً بما ينكـره، قتل كـل من وجـد منكم. فأبلغ الحاجب أبا جعفر ذلـك، فخافـه أبو جعفـر على نفسه فـأحـرق، الكتب التي كـانت معـه إلى ولاة الكــور كلهـا. ولم يطرقه أحد، ثم انصرف أبـو جعفر (خـائباً، وكـان ذلك سبب المباعدة بين أبـي جعفر وبين أبـي مسلم).

وحُكيَ أن ذا القرنين، وهو الإسكندر، لمَّا قدم أرض العراق لقتال دارا ملك الفـرس، خرج إليـه دارا إلى طسوج مَسْكِن[١]، فعسكر بموضـع يقال لـه حربَـى[٢]. فصـار إليه الإسكنـدر على أنه رسـول. فلما أدخـل إليـه، أعجب دارا هيئته وبلاغته، فأمر بإحضار مجلس شرابه. فكان الإسكندر كلما أعطى شراباً في آنية، صبَّ الشراب في جيبه، ووضع منه على رأسه وأخذ الآنية فـوضعها في كمـه، فقيل للملك في ذلك، فقال دارا: ما الذي تفعل؟ قال الإسكندر: أمرني ملكي، أن لا أشـرب خمراً حتى أعـود إليه، فـأكـره أن أرد شـراب الملك فأصبـه بين ثـوبـي وجلدي وأضـع منـه على رأسي، وأما أخذ الآنية، فإن سنتنا في مملكتنا، أن كـل من

---

(١) مَسْكِن: مـرتفـع على نهـر دجيـل، عنــده كـانت الــوقعـة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الـزبير، حيث قتـل مصعب، وقبره هناك. وتسمى اليوم الإبراهيمية وكانت دجيل سابقاً.

(٢) حربَـى: موقع كان جنوبـي سامراء، بينها وبين مسكن.

سُقي في آنية فهي له، فإن أمرني الملك أن أعصي ملكي وأشرب وأَرُدَّ الآنية فعلت، قال له دارا: لا تعصِ ملكك ولا تردَّ الآنية.

ودخل الموبذ على دارا فنظر إلى الإسكندر، فقال للملك: أحسب هذا هو الإسكندر، فإني قد وجَّهت من صوَّره. فبعث إلى الصورة ليُؤتَى بها، ففطن الإسكندر، فانسلَّ كأنه قام لحاجة، فركب فرساً له على الباب لا يُدرَك. وطُلب فلم يُلحق، حتى صار إلى طلائعه.

فلما كان من الغد وتزاحف الخيلان[1]، وتوافقت الصفوف، خرج الإسكندر من صف أصحابه، فأمر من ينادي: يا معشر الفرس، قد علمتم ما كتبنا لكم من الأمانات، فمن كان منكم على الوفاء لنا فليعتزل عن سائر العسكر، فله عندنا الوفاء بما ضمنًا له. فاتهمت الفرس بعضها بعضاً، وولت منهزمة.

ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجَّه عمرو بن العاص حيث فتح قيسارية[2] إلى مصر، فسار

---

(١) تزاحف الخيلان: مشى بعضها إلى بعض بثقل وتؤدة. وفي أ: «تراجف الخيلان».

(٢) قيسارية: كانت من أمهات المدن في فلسطين، وتقع على ساحل البحر المتوسط.

عمـرو حتى نزل على غـزة، فبعث إلى علجها(١)، فـأرسـل إليـه أن أرسل إليَّ رجـلاً من أصحابـك أكلمه. فنـظر عمرو فقال: ما أرى لهذا أحداً غيري، فخرج فدخل على العلج، فكلَّمـه فسمع كـلاماً لم يسمـع بمثله قال: حَـدِّثني هل في أصحابك مثلك؟ فقـال: لا تسأل عن هـواني عليهم، لأنهم بعثوني إليك، وعرَّضوني لا يـدرون ما تصنـع بـي، فأمـر له بجائزة وكسوة. وبعث إلى البواب: إذا مرَّ بك فاضرب عنقه وخذ ما معه.

فخـرج من عنده ومـرَّ برجـل من نصـارى العـرب من غسَّان فعرفه، فقال له: يا عمرو، إنك قد أحسنت الدخـول فأحسن الخروج. فـرجع، فقـال له الملك: مـا ردَّك؟ قال: نـظرت فيما أعـطيتني فلم أجده يسـع بني عمي، فأردت أن أجيئـك بعشرة منهم تعـطيهم مثل هـذه العطيَّـة، وتكسوهم مثل هذه الكسوة، فيكون معـروفك عنـد عشرة خيـر من أن يكـون عنـد واحـد، قـال: صـدقت فـأعجلهم. وبعث إلى البواب أن خلِّي سبيله؛ فخرج عمـرو وهو يتلفت، حتى إذا أمن قـال: لا أعـود لمثلهـا أبـداً. فمـا فـارقــه عمـرو حتى

(١) العلج: الرجل من كفار الأعاجم، ويقصد هنا صـاحب المدينـة من الروم.

صالحه، فلما أتى العلج قال: أنت هو؟ قال عمرو: نعم، على ما كان من غدرك[1].



(١) جاء في (فتوح البلدان): إن عمرو بن العاص وقع أسيراً مع ثلاثة من أتباعه في حصن الإسكندرية عندما هاجمه العرب عند فتحهم مصر، إذ كان الجيش العربي قد اقتحم الحصن وقاتل الروم داخله، إلاَّ أن الروم حملوا على العرب بشدة، فأخرجوهم إلاَّ بضعة نفر منهم، بينهم عمرو بن العاص، وكانت عدم معرفة الروم بعمرو سبب نجاته. (فتوح البلدان ص ٢٢١ ـ ٢٢٥).

وجاء في الطبري ما يدل على أن هذه القصة وقعت لعمرو بن العاص عندما توجه لفتح أجنادين، وأن ما وقع له من الأسر والتخلص منه، كان مع قائدها المسمى الأرطبون. (الطبري ـ م، ٣: ٦٠٥ ـ ٦٠٦).

الباب الثلاثون
فِي اللُّطفِ فِي حَطِّ مَنزِلَةٍ

حُكِيَ أن أبا عبيد الله واسمه معاوية[1]، كان وزيراً لأمير المؤمنين المهدي. وكان المهدي شديد التتبع للزنادقة، فظهر على أن ابناً لأبي عبيد الله على الزندقة. فدعا به فامتحنه فوجده زنديقاً، فقتله بمحضر أبيه صبراً بالسيف[2]. وكان بين أبي عبيد الله وبين الربيع الحاجب[3] مباعدة، وكان يعقوب بن داود[4] كاتباً لأبي

---

(١) هو معاوية بن عبد الله بن يسار من وزراء الدولة العباسية، أصله من طبرية، استكتبه المهدي قبل توليه الخلافة، ولما صار خليفة استوزره، وكان يحترمه ويستشيره في أموره، وكان مدبراً كفؤاً، واستمر في عمله للمهدي حتى تولى الربيع بن يونس حجابة المهدي فأفسد ثقته بمعاوية فعزله.

(٢) راجع عن قتل ابن أبي عبيد الله أمام أبيه: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ٣: ١٠١.

(٣) هو الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة وزير المنصور، وقد حظي عند ابنه المهدي فولاه حجابته.

(٤) يعقوب بن داود بن عمر السلمي، كان كاتباً لإبراهيم بن =

عبيد الله قريباً من قلب المهدي، ولم يكن له مثل قدر أبي عبيد الله وتمكنه من الخليفة. (فقال الربيع ليعقوب بن داود: ما لي عليك إن كفيتك أمرَ أبي عبيد الله؟ قال يعقوب بن داود: احكم. فدخل أبو عبيد الله يوماً على المهدي ليعرض أموراً من أسرار الخلافة، فأومأ المهدي إلى جميع مَنْ بحضرته بالتنحي، فتنحوا إلَّا الربيع فإنه لم يُزل، فقال له المهدي: تنحَّ، فخطا خطوة ثم وقف، فقال المهدي: أَلَم تؤمر بالتنحِّي؟) قال الربيع: كيف أتنحَّى عنك وأدعك متفضلاً لا سلاح عليك، مع رجل عليه سيفه قد قتلت ابنه أمسِ بالسيف صبراً وهو ينظر إليه؟.

فقال (المهدي) لأبي عبيد الله: اعرض ما جئت له فليس الربيع بمتهم. فلمَّا خرج أبو عبيد الله من عند المهدي، قال المهدي للربيع: احجب عني أبا عبيد الله، فإني أستحي منه لقتلي ابنه. فسقطت حال أبي عبيد الله، وارتفع يعقوب بن داود[1]، وأخذ الربيع جُعله منه.

عبد الله بن الحسن الذي خرج على المنصور بالبصرة، وقد حبسه المنصور عندما ظفر بإبراهيم، وأطلق سراحه بعد وفاة المنصور، تقرب من المهدي وعلت منزلته عنده بمعاونة الربيع حاجب الخليفة، فاستوزره.

(١) عندما استوزر المهدي يعقوب بن داود، قلده أمور الدولة كلها فاستبد بها دون الخليفة، حتى قال فيه بشار بن برد: =

الباب الحادي والثلاثون
في دَفعِ الفِيَلة

حُكي أن الإسكندر لمَّا شخص عن أرض فارس إلى أرض الهند، تلقاه ملك الهند في جمع عظيم ومعه ألف فيل مجففة بالسلاح، عليها الرجال، وفي خراطيمها السيوف، فالتقوا. فكانت الدَّبْرة على الإسكندر، ولم تقف دواب جنده للفيلة وولت منها هاربة. فرجع الإسكندر إلى مأمنه، ثم أمر صنَّاعه فاتخذوا له تماثيل للفيلة، وجعل مرابط خيله في تلك التماثيل حتى ألفتها الخيل. ثم أمر

= بني أمية هبوا طال نومكم
إن الخليفة يعقوب بن داود

ولم يخل ابن داود من الحُسَّاد لمركزه الذي صار إليه. فتتابعت عليه الوشايات حتى نفر منه المهدي فعزله وحبسه. وبقي في السجن حتى أطلقه الرشيد، وكان قد ذهب بصره. فسكن مكة حتى مات فيها (راجع وفيات الأعيان ٦: ١٩ ــ ٢٥).

باتخاذ ألف تمثال رجل على ألف فرس من نحاس مجوفة. ثم ألبسها الدروع وملأ أجوافها بالنفط والكبريت، وجُرَّت على العجل فوقفت في مواضع الوقعة، وبين كل تمثالين منها جماعة من أصحابه. فلما نشبت الحرب واشتدت أمر بإشعال النار في تلك التماثيل فحميت، وانكشف أصحابه عنها. وغشيت الفيلة التماثيل فضربتها بخراطيمها فتشيَّطت خراطيمها واحترقت. فولَّت الفيلة راجعة، وكانت الدَّبرة في ذلك اليوم على ملك الهند[1].

وحُكيَ أن سعد بن أبي وقَّاص، لمَّا حارب رستم بالقادسية، لم يكن شيء أشد على المسلمين من الفيلة، لنفار[2] دوابهم منها وشدة نكايتها. فأتى سعداً رجل من أهل السواد، فقال له: أتعطيني الأمان على نفسي ومالي وقرابتي وعيالي، على أن أدلَّك على أمر يكفيك هذه الفيلة؟ فأعطاه سعد ما طلب، فقال له السوادي: اطلب

---

(١) سبق أن وردت هذه الحكاية بنصها هذا في الباب الثاني كمثال على لطف التدبير في الحروب. وقد سقطت في نسخة ب، في الباب المذكور.

(٢) نفار الدواب: جزعها وتباعدها.

خنزيراً من الأوالف، فإذا وافتكم الفيلة، فاضربوا الخنزير حتى يصيح، فإن الفيلة إذا سمعت صوته مضروباً ولَّت هاربة، ففعل ذلك فولَّت هاربة فردَّها ساستها، فلما سمعت صوت الخنزير أيضاً هربت ولم تقف.



الباب الثاني والثلاثون
في دَفعِ ظِنَّةٍ

قيل أصاب رجل من الضِباب[1] ناقة ضالَّةً فنحرها، ثم مرَّ به بعير فنحره، ثم قدَّد لحومهما. فلم يلبث أن أتاه صاحب الناقة، فلما رأى اللحم وأثر المنحر لم يشك أن ناقته عنده. فأطعمه وقال له: وما حاجتك؟ قال: ناقة أضللتها، فأخرج إليه ثيل[2] البعير. فلما رأى الثيل يئس من ناقته، وقال الضبابي: هذا بعير لنا انكسر، فمضى الرجل.

وجاء صاحب البعير، فلما رأى اللحم لم يشك أن بعيره عنده. فأطعمه وقال له: ما حاجتك؟ قال بعير أضللته. فأخرج إليه ضرع الناقة، ثم قال: هذه ناقة لنا

---

(١) الضِباب أو الضِبة: إحدى بطون قبيلة الرباب.

(٢) الثيل: وعاء قضيب البعير والثور، وقيل هو القضيب نفسه. وفي أ: «ذيل البعير».

عييت. فانطلق الرجل في طلب بعيره. فقال الضِبابي:

وملتمسٍ بعيراً ظلَّ يُشوَى
له منه ويتبعه قدير[1]

فلما أنْ رأى ضرعاً صحيحاً
تبين أنه حَرْف درور[2]

فلما أن تروَّح جاء باغٍ
أضلته علاة عيسجور

فراع فؤاده منها قديد
على الأطناب مصفوف شرير[3]

فقلت انزل تراك اليوم رهن
تضمنه لنا فحل كسير

فقال طلبتها أدماء جَلْساً
سما من فوقها قَرِدٌ وثير[4]

---

(١) القدير: اللحم المطبوخ في القدر.

(٢) الحرف من الإبل: النجيبة التي أضنتها الأسفار، وشبهت بحرف الجبل لشدتها وصلابتها، والدرور: الناقة الكثيرة اللبن.

(٣) تروَّح: ذهب في العشي. والعلاة: الناقة المشرفة الجسيمة وجمعها علوات.

(٤) الشرير: ما وضع في الشمس أو عرض للهواء ليجف.

(٥) أدماء: سمراء اللون، والجَلْس: الغليظ من الأرض، وناقة جَلْس أو جلساء: أي وثيقة تشبه الصخرة والقَرِد: الوبر.

فأذهب شكه ثيل فأمسى
يظن بأنها فحل كبير[1]

وقيل تلقّى عبد الله بن صفوان[2] معاوية حين قدم المدينة، وعليه إزار ورداء خِفٌّ[3]وعمامة، حتى دخل بينه وبين يزيد، فالتفت إليه معاوية فقال: كيف أنت يا أبا صفوان؟ قال: كالخير لمن أراد الخير، وكالشر لمن أراد الشر. فلما صار معاوية إلى منزله جمع القواد الذين ظنَّ، أنهم سمعوا ذلك الكلام، فقال: يا أهل الشام، إن أبا صفوان تعتريه ريح ومرار، فادعوا الله له بالعافية. فجعل أولئك بغفلتهم يرفعون أيديهم ويدعون الله له.

وقيل لمَّا هرب عمر بن هبيرة[4] ....

---

(١) سقط البيتان الأخيران من أ.

(٢) عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف الجمحي، من رؤساء مكة. كان شهماً شجاعاً. انضم إلى عبد الله بن الزبير وحارب إلى جانبه ضد الحجاج، وقتل معه.

(٣) رداء خف: أي خفيف.

(٤) عمر بن هبيرة بن سعد الفزاري: من القادة الشجعان الدهاة. قاتل في جيش الحجاج. وولي الجزيرة لعمر بن عبد العزيز، ثم ولي العراق وخراسان ليزيد بن عبد الملك، ثم عزله هشام بن عبد الملك وأسلمه إلى خالد بن عبد الله القسري، =

.... من سجن خالد [1] ،
وأتى هشاماً فأمّنه. وقال له: أمَّا المال فأدِّه فليس منه بُدٌّ.
قال: ليس عندي ، ولكن أسأل قومي إذا خرج عطاؤهم.
فقال لقومه: إن أمير المؤمنين قد حبسني بكذا وكذا فأدّوني. فجعل الرجل يجيء بعطائه فينثره بين يديه، فيقول: ليس هذا أردنا، دون هذا يكفينا. وإنما أراد بذلك أن يسمع هشام، فيعلم أنه ليس عنده مال، قال: وجعل كلما أخذ من رجل شيئاً كتب عليه اسمه. قال: فلما أمسَى ردَّها عليهم، وأصبح فأدَّى إلى هشام من ماله.

وحُكيَ أن أمير المؤمنين المعتصم بالله، غضب على بعض خدمه فحبسه في داره في بيت وأغلق عليه باباً. وأن رفيقاً له من غلمان المعتصم كان يقف بالباب، فيناجي

= فحبسه هذا في سجن واسط، إلاَّ أنه استطاع أن يهرب من السجن بواسطة نفق حفره أتباعه. فذهب إلى الشام والتجأ إلى مسلمة بن عبد الملك الذي استرضى هشاماً عنه فعفى عنه وأمنه.

(١) هو خالد بن عبد الله بن يزيد القسري. ولي العراق لهشام بن عبد الملك، وأقام فيها حتى عزله وولى مكانه يوسف بن عمر، وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه حتى مات في السجن. وكان خالد من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة، كما اشتهر بالكرم.

المحبوس ويخبره بأخبار السلطان، ويكتب بها إليه الرقاع، فاتهمهما المعتصم بالله بما كانا يفعلان. فدعا بالغلام المطلق، فسأله عما قُرِف[1] به من مكاتبته صاحبه، فأنكر ذلك. فأمره فكتب بيده في رقعة مثل رقعه، وجعل في الرقعة وقيعة في المعتصم بالله، ثم قال له: خذ الرقعة ودواة وأدخلهما من تحت باب البيت ولا تتكلم بشيء حتى أنظر بما يجيبك به المحبوس.

فخاف الغلام أن يجيبه رفيقه المحبوس بحسب ما كان يدور بينهما. فأدخل الدواة والرقعة من تحت الباب، وقلب الدواة، وجعل صدر الرقعة مما يلي المحبوس وآخرها مما يلي الباب، وتنحّى عن الباب. فلما رأى المحبوس الدواة مقلوبة والرقعة مقلوبة، أنكر ذلك وخاف أن تكون حيلة للتكشيف[2]. فكتب جواب الرقعة بإنكار ما كان فيها واستعظامه له، وقال في رقعته: متى كانت بيني وبينك مراسلة ومكاتبة حتى تكتب إليَّ بمثل هذا؟ ثم لفَّ الجواب فطرحه. فلما قرأ المعتصم بالله الجواب برئا عنده من المراسلة.

***

(١) قُرِفَ به: أتهم به.

(٢) التكشيف: الكشف والإظهار.

باب يُختتم به الكتاب
يجمعُ ضُروباً مختلفة
في لُطف التدبير(١)

قيل إن رجلاً أتى الأحنف بن قيس فلطمه، فقال له: لِمَ لطمتني؟ فقال: جُعل لي على أن ألطم سيد بني تميم. قال: ما صنعت شيئاً، عليك بجارية بن قدامة فإنه سيدهم. فانطلق فلطم جارية بن قدامة، فأخذه فقطع يده، وإنما أراد الأحنف ذلك به(٢).

وفي مثل ذلك قال قوم من قريش: ما نظن أن معاوية أغضبه شيء قط(٣). قال بعضهم: بلى، إن ذُكِرت أمه

(١) في ب: باب يجمع ضروباً مختلفة في الحروب وغيرها.

(٢) في ب، إضافة: «وهي تعد من سقطاته».

(٣) عرف معاوية بالحلم وسعة الصدر، وقد أغلظ له مرة رجل في الكلام فقيل له: أتحلم عن مثل هذا؟ فقال: إني لا أحول بين الناس وألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا. وهو صاحب القول المشهور: «لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما تركتها تنقطع، فإن شدوا أرخيت، وإن أرخوا شددت».

غضب. قال مالك بن أسماء المنَى القرشي، وهي أمه، وإنما قيل لها أسماء المنى من جمالها: والله لأغضبنّه إن جعلتم لي جُعلاً. (فجعلوا له جُعلاً) فأتاه، وقد حضر معاوية (ذلك) العام الموسم، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أشبه عينيك بعيني أمك؟ قال: تلك عينان طالما أعجبتا أبا سفيان يا ابن أخي، أنظر إلى ما أعطيت من الجُعل فخذه ولا تتخذنا متجراً. ثم دعا معاوية مولاه سعداً، فقال له: اعدد لأسماء المنى دية ابنها، فإني قد قتلته وهو لا يدري.

ورجع الغلام فأخذ جُعله. (فقال له رجل: إن أنت أتيت عمرو بن الزبير[1] فقلت له: يا ابن الزبير، ما أشبه وجهك بوجه أمك، لك مثل هذا الجعُل، فأتاه فقال له) فأمر به فضُرب حتى مات. فبعث معاوية إلى أمه بديته وقال:

ألا قل لأسماء المنَى أم مالك
فإني لعمر الله أَقتلت مالكَا

---

(١) هو عمرو بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي، أخو عبد الله بن الزبير، وكان مع بني أمية على أخيه، وقد قاد جيشاً أموياً إلى مكة لمحاربة أخيه، إلاَّ أنه أسر فقتله أخوه عبد الله.

ومثله قول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير[1] لمَّا هاجَى فروة بن خميصة الأسدي[2]، ولفروة سبع عشرة سنة، وعمارة قد جاوز الستين. فقال في عمارة قصيدة منها:

وابن المراغة جاحر من خوفنا
بالوشم منزلة الذليل الصاغر[3]
يخشى الرياح بأن تكون طليعة
أو أن تحل به عقوية نادر
ولَّيت ظهرك واتقيت بنسوة
سودِ المعاصم والوجوه حواسر

---

(1) من أحفاد جرير الشاعر. وهو شاعر فصيح من أهل اليمامة، كان يتردد على خلفاء بني العباس فيجزلون صلته. عاش حتى أيام الواثق.

(2) في ب: «فروة بن حميضة».

(3) ابن المراغة: كنية جرير الشاعر، كناه بها الفرزدق حين هجاه في قصيدته التي أولها:

دعاني جريرُ بن المراغة بعدما
لَعِبْنَ بنجدٍ والملا كلَّ مَلْعبِ

وجاحر: متخلف. والملا: المتسع من الأرض. راجع ديوان الفرزدق القسم الأول، ص ٣٧.

ورجوت بالهرب البقاء وقد ترى
سبب المنية قد بدا للناظر

فقال عمارة في نقيض هذه القصيدة ما أوله:

لمن الديار كأنها بالحاجر
وحيٌ تبيّن في كتاب دائر[1]

وفيها يقول:

وأحال شكركم الوعيد وربما
تبع الضغينة عند غير الشاكر
ما في السوية أن تجر عليهم
وتكون يوم الروع أول صادر

فلما سمع فروة هذا البيت الأخير، استفزَّه وكان صبياً لم يجرب حرباً. فحمله هذا البيت على أن صبر في حرب بعد أصحابه وقاتل وحده، فقتل بيده ثلاثة من بني حنظلة، وقُتِل[2]. فحكى عن الفضل بن الحُباب: أنه سمع عمارة وقد قيل له: قتلت فروة، فقال: ما قتلته ولكن أقتلته، أي عرضته للقتل.

---

(۱) الحاجر: منزل للحجاج في البادية يستريحون فيه في طريقهم إلى الحج.

(۲) حصل في هذه الجملة بعض الاضطراب في النسخ فعدلناه بهذا الشكل. وقد سقطت هذه القصة من نسخة ب.

وقيل إن كسرى قال له منجموه: إنك تُقتل. قال: لأقتلنَّ الذي يقتلني. فأمر بسُمٍّ فخُلط في أدوية ثم كتب عليه: «دواء للجماع مُجرَّب، مَنْ أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة» وجعله في خزانة الطب. فلما قتله ابن شيرويه وفتش خزانته مَرَّ به، فقال لنفسه: بهذا الدواء كان يقوى على شيرين. فأخذ منه فأكله فأصبح وهو ميت.

في جزالة الرأي:

حُكيَ أن عبد الملك بن مروان كان من رجال أهله. فورد عليه في يوم واحد ثلاثة أخبار تسوءه: أحدها إن طاغية الروم جاش على الثغور مثل عدد النمل كثرة. ومنها إن عمرو بن سعيد المعروف بالأشدق[1] خرج عليه في ناحية

---

(١) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية، وأمه عمة عبد الملك بن مروان. عرف بالأشدق لأنه كان مائل الشدق. ولقب بلطيم الشيطان لدهائه وسعة حيلته. كان شجاعاً شهماً ذا كبرياء وخطيباً فصيحاً. وكانت له يد في مبايعة مروان بن الحكم بالخلافة، على أن يكون ولي عهده بعد خالد بن يزيد. إلّا أن مروان، بعد أن استتب له الأمر، نقل ولاية العهد إلى ابنه عبد الملك أولاً ثم لخالد فعمرو. وعندما آل الأمر إلى عبد الملك، أراد أن يجعل الولاية لابنه الوليد، فسهل عليه خلع خالد عنها. أما عمرو فلم يقدر على خلعه منها رغم =

من الشـام. ومنهـا إن مصعب بن الـزبيـر ورد العـراق وقتـل المختـار[1]. فقـال النـاس: اليـوم تُعـرف جـودة رأي عبد الملك. فقال عبد الملك: أما الثغور فإن لـلإسلام ربًّـا ينصره[2]، وأما مصعب بن الـزبير فهـو بالعـراق وهو بعيـد،

= المكاتبات الـطويلة بينهما. ولـذا فقد عمـل على قتله للتخلص منه، فدبر له هذه المكيدة فقتله.

راجـع: مـروج الـذهـب ٢: ١١٦ ـ ١١٨، و ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

(١) هو المختار بن أبـي عبيد بن مسعود الثقفي، الذي أمَّره عمر بن الخطاب على الجيش الذي وجهه إلى العراق لمحاربة الفرس، فقتـل في وقعة الجسـر. والمختار من كبـار الثـوار ضـد الحكم الأموي. كان من أتباع الإمام علي، وبعـد مقتل الحسين انضم إلى عبد الله بن الزبير، فوثق به هذا وأرسله إلى العراق. وهناك أخـذ يدعـو إلى محمـد بن الحنفيـة، وتتبـع قتلة الحسين فقتـل أكثـرهم. وعندمـا خـرج إليـه عبيـد الله بن زيـاد وإلى الأمـويين انتصر عليه المختار وقتله. فجرد عبـد الله بن الزبيـر عليه حملة بقيـادة أخيه مصعب بن الـزبير استـطاع أن يتغلب عليـه، فقتـل المختار.

(٢) يذكرنا هذا القـول بقول عبـد المطلب بن هـاشم جد النبـي ﷺ لأبيه، حينما هاجم الأحباش بقيادة أبرهة مكة واستولوا على إبل قريش. وكان لعبد المطلب في هـذه الإبل مـائتا نـاقة، فـذهـب إلى أبرهة يطلب إليه أن يـرد إبله فاستـاء منه أبـرهة، وقـال له:

وأمـا الأشدق فهـو أقربهم مني داراً ورحمـاً، فهو أولاهم أن أقصده.

فركب فرسه ودخل على امـرأته عـاتكة بنت يـزيد بن معاوية يودعها. فقامت إليه فقالت له: يـا أمير المؤمنين، لـو وجَّهت من يكفيك؟ قال: لا بـد من مشاهـدة الأمر بنفسي. فلما أبـى بكت وبكى مَنْ حولها من جواريهـا. فقال: لله در كُثَيِّر[1] كأنه كان يرانا حيث يقول:

إذا مـا أراد الـغـزو لـم يـثـن هـمـه
حَـصـان عـلـيـهـا نـظـم در يـزيـنـهـا
نـهتـه فـلمـا لـم تـرَ الـنـهـي عـاقـه
بكت وبكّى ممـا شجـاهـا قـطـينهـا

ثم خرج نحو الأشدق[2]، فجرت بينهما مراسلة على

= تسألني إبلك وتترك البيت الذي تقدسه «يعني الكعبة». فقـال له عبد المطلب: أنـا رب هذه الإبـل، وللبيت رب يحميه إن شـاء منعه.

(١) هـو كثير بن عبـد الرحمن الخـزاعي ويلقب بكثير عـزة: شاعـر مدني وأحد عشاق العرب المشهورين. وفد على عبد الملك بن مـروان فاختص بـه. وأخبـاره مـع عـزة بنت جميـل المضـريـة مشهورة، وكان حبه لها عفيفاً وأكثر شعره فيها.

(٢) في وفيات الأعيان: أن عبـد الملك بن مروان لمـا أراد الخروج =

أن الخليفة عبد الملك، وعمرو الأشدق ولي عهده. فأخذ كل واحد منهما العهود المؤكدة بذلك، ثم التقيا على صلح. فأعدَّ عبد الملك غِلاً وقيداً من ذهب في جوفه زرد درع وثيقة، وجعله خفيفاً يتثنَّى. ثم قال عبد الملك لعمرو بعد أن آنسه من نفسه كل أنس: إني كنت حلفت أن أغللك وأقيدك، وهذا غل من ذهب ضعيف يتثنَّى وقيد مثله، فضعهما في عنقك ورجليك لأخرج من يميني. وقال لمؤذنه: إذا شدَّهما عمرو في عنقه ورجليه، فأذِّن لي بالصلاة. فلما شدَّهما عمرو في عنقه ورجليه وأقفلهما[1] آذنه المؤذن بالصلاة. فخرج عبد الملك مبادراً وقال لأخيه عبد العزيز بن مروان: أدخل إليه فاقتله. ثم صلَّى عبد الملك ورجع فوجد أخاه لم يصنع شيئاً. فدخل على عمرو وهو على سريره فجذبه فألقاه على وجهه ثم قتله[2].

حكى الهيثم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد قتل الهرمزان[3] ـ فاستسقى، فأتى بماء في قدح خشب،

= إلى العراق لمحاربة مصعب بن الزبير منعته زوجته عاتكة وبكت فتمثل بقول كثير عزة. (الجزء الثالث ص ٢٦٦).

(١) في أ: وأقفلا.

(٢) تتفق هذه الرواية مع رواية المسعودي في مروج الذهب ٢: ١١٦ ـ ١١٧.

(٣) هو القائد الذي وجهه يزدجرد ملك فارس إلى الأهواز لمقابلة

فأمسكه بيده واضطرب. فقال له عمر: لا بأس عليك، إني غير قاتلك حتى تشربه. فألقى القدح من يده، فأمر عمر بقتله. قال: أولم تؤمني؟ قال: كيف أمّنتك؟ قال: قلت لا بأس عليك حتى تشرب، فقولك لا بأس عليك، أمان، ولم أشربه. فقال الزبير[1] وأنس بن مالك[2] وأبو سعيد الخدري[3] رضوان الله عليهم: صَدَق. فقال عمر رضي الله

= الجيوش العربية التي كانت بقيادة أبي موسى الأشعري الذي استسلم إليه الهرمزان. فتوجه به أبو موسى أسيراً إلى المدينة. وعندما قابله الخليفة عمر بن الخطاب، عرض عليه الإسلام فأبى وقال للخليفة: لا تقتلني حتى تسقيني الماء. وهذه هي التي يرويها المؤلف هنا. ومن المعروف أن الهرمزان تظاهر بالإسلام وعمل على اغتيال الخليفة، فلما قتل أبو لؤلؤة المجوسي الخليفة عمر، اتهم الهرمزان بالاشتراك في ذلك فقتل.

(١) هو الزبير بن العوام.

(٢) أنس بن مالك: صحابي من الأنصار صاحب الرسول ﷺ وخدمه حتى وفاته، وكان الرسول عنه راضياً، وقد دعا له بكثرة المال والولد. وعمّر أنس طويلاً إذ توفي على عهد الحجاج في سنة ٩١هـ. وكان آخر من مات من الصحابة في البصرة. وقد روى أحاديث كثيرة عن الرسول.

(٣) هو سعيد بن مالك الأنصاري من الصحابة ومن ملازمي الرسول ﷺ. وقد صاحبه في أكثر حروبه وغزواته، وروى عنه أحاديث كثيرة.

عنه: قاتله الله أخذ أماناً ولم نشعر به.

قيل أَتى طفيلي دار قوم قد أعرسوا، فدنا من الباب فدُقَّ في صدره ومُنع من الدخول. فأخذ إحدى نعليه فجعلها في كُمِّه وعلَّق الأخرى في يده. وأخذ خلالاً يتخلل به، ودنا من الباب، فقال: يا عبد الله إني نسيت إحدى نعلي داخل الدار، فقال له البواب: إنما كنا نمنعك من الدخول للغداء، فأما إذا تغديت. فادخل، فدخل وجلس مع القوم فأكل وخرج.

قال: كان نُعَيمان[1] من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان ممن شهد بدراً مع النبي ﷺ. وقد ضُرب في الخمر مرات، وكان يعبث كثيراً. فمر يوماً بمَخْرمة بن نَوْفل الزهري[2] بعدما أضَرَّ، وهو يقول: مَنْ يقودني إلى موضع أبول فيه؟ فأخذ بيده نُعَيمان حتى إذا كان في مؤخر المسجد (قال: إجلس. فجلس يبول. فصاح به الناس: يا

---

(١) هو نعيمان بن عمرو، صحابي من الأنصار. كان كثير الفكاهة والمزاح. وله قصص فكاهة ودعابة مع الرسول ﷺ ومع بعض الصحابة. وقد شهد أكثر حروب الرسول وغزواته.

(٢) مخرمة بن نوفل الزهري القرشي، صحابي عالم بالأنساب، أسلم يوم فتح مكة، وكان فصيحاً سليط اللسان، عمر طويلاً وكف بصره في زمن عثمان. مات في المدينة سنة ٥٤هـ.

أبـا المِسْوَر إنـك في المسجد) فقـال: مَنْ قـادني؟ قـالـوا: نُعَيمـان. قـال: لله عليَّ أن أضـربـه بعصـاي إن وجـدتـه. فبلغت نُعَيمـان فجـاء فقـال: يـا أبـا المسـور هــل لـك في نعيمان؟ قال: نعم. قال: هو هذا يصلي، فأخذ بيده وجـاء به إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يصلي فقال: هذا نُعَيمان. فَعَلاه بعصـاه. فصاح النـاس وقالـوا: ضربت أميـر المؤمنين. قال: من قادني. قيـل: نُعَيمان. قـال: لا جرم، لا عرضت له بشيء.

وقيل أراد يوسف بن عمر أن يستعمل عبـد الملك بن إسحـاق بن عبـد الله بن عميــر الليثي، فكـره عبــد الملك العمل، فأتى قُحْذُماً[1] فقال: اعمل لي في أن تكفـه عني، فلا حاجـة لي في عمله مع قتله عمـاله. فقـال له: إذا كـان غـداً وجلس فآتـه والبس أطـول مـا تقـدر عليـه من الثيـاب وأجودها، وأكثِر من الغاليـة والتعطّر. ففعـل (ذلك) ودخـل على يـوسف بن عمر وعليـه ثيـاب يسحبهـا. فقـال يـوسف لقُحْــذُم: مَنْ هـذا المقبــل؟ قـال: هــذا عبــد الملك بن إسحاق، رجل له شرف وخطر ومؤونة عـظيمة ورَّثـه أبواه[2]

(١) هو قُحْذُم بن أبـي سليم بن ذكوان، كاتب يوسف بن عمر.
(٢) في ب: «أبوه».

مـالاً كثيراً فـأتلفه. قـال: فيمَ؟ قال: فيمـا تـرى من الهيئـة وطلب المروءة. قال: لا يقوم هذا بـأموالنـا، وليس هذا من عمـالنا. قـل (له) لينصـرف. فناداه الحـاجب: انصـرف يـا عبد الملك. فرجع.

قيـل لمـا خـرج قَـطَري أحب أن يعلم رأي الأحنف فيعمل به، فدعا رجلاً من بني مازن فقال (له): انـطلق إلى البصـرة ثم إيتِ الأحنف في ثياب سفـرك، فإن سـألك عني فقل خلفته بأصبهان. قال: إيهاً يا أبا نعـامة، إن أشـار على القـوم أن يـركبـوا البغـال ويقـودوا الخيـول ويصبحـوا ببلدة ويُمسوا بأخرى بالحرى أن تطول مدتهم. فلما سمع الرجـل هذا الكلام من الأحنف انصرف إلى قَطَري فحكى له ما قال له الأحنف، فأخذ به.

وقيل أودع رجلٌ رجلاً كيساً فيه دنانير. وغاب الـرجل فـطالت غيبته. فلمـا طـال الأمـر فتق المستـودَع الكيس من أسفله وأخـذ الدنـانيـر، وصيَّـر في الكيس دراهم وخـاطـه. فقـدم صاحب الكيس بعـد خمس عشرة سنـة فطلب مـاله. فرفع إليـه الكيس بخاتمـه، فلم يقبله. ورافعه إلى عمـر بن هبيرة، فقال لإياس بن معاوية[١]: أنظر في أمر هذين. فقال

---

(١) إياس بن معاوية بن قرة المزني، اشتهر بـالفطنـة وحدة الـذكاء. =

إيـاس للمستودَع عنـده المال: مـا تقول؟ قـال: هـذا كيسـه بخاتمه. قال: منذ كم هـو عندك؟ قـال: منذ خمس عشـرة سنة. قال: فضُّـوا الخاتم وانثـروا الدراهم، ففعلوا فـوجدوا فيها ضرب عشر سنين وخمس سنين وأكثر وأقل. فقال لـه: أقررت أنه عندك منذ خمس عشرة سنة، وفي الكيس ضرب عشر سنين وخمس سنين؟ فأقَرّ بالدنانير فألزمه إيَّاها.

قيل كان في الزمن الأول ملك إنما يشرب (هو) وأهل ناحيته من ماء السماء. فقال له منجموه: إنا نجـد في علمنا أنه من شرب من ماء هذه السنـة المقبلة تغيَّر عقله وخـولط، فـإن رأى الملك أن يـأمـر بـادخـار المـاء لنفسـه وخـاصتـه فليفعـل، ولا يشـربـوا من مـاء هـذه السنـة المقبلة. فـأمـر بـالمصانـع فاتخـذت وادُّخر فيهـا من الماء مـا يكفيه ويكفي خاصته. فلما جاء المطر وشرب النـاس منه تغيَّـرت عقولهم واختلطوا. وشـرب الملك من المـاء الأول هـو وخـاصتـه فلم يصبهم ما أصاب العوام.

فلمـا رأتهم العامـة في خلاف حـالهم، قـال بعضهم

= وضرب المثل بذكائه واستقرائه وصدق فـراسته. ولـذلك كـان مقرباً من الخلفاء والولاة. ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة فكانت أحكامه مضرب الأمثال في دقتها وعدالتها. توفي بواسط سنة ١٢٢هـ.

لبعض: إن ملكنا قد خولط، وتغيَّرت عقله وعقول أصحابه. وما الرأي إلاّ خلعه والاستبدال به ملكاً (منا) عاقلاً لم يتغيَّر عقله. فبلغ ذلك الملك، فقال لوزيره وكتّابه ومنجميه: قد ترون ما أجمع هؤلاء عليه، فما الرأي؟ قالوا: الرأي أن نشرب من مائهم حتى نصير في مثل حالهم، فلا ينكروا منك ولا منا ما أنكروه. ففعل وخولط فصار مثلهم وأصحابه. فلما رأت ذلك العامة قالت: قد برأ الملك وصلُح أمره.

وقيل خرج فيروز بن حصين مع ابن الأشعث، وجعل في رأس الحجاج مائة ألف درهم. فأسر فيروز فأتى به الحجاج. فلما رآه قال: أتجعل في رأسي مائة ألف درهم وقد وليتك ما وليتك؟ أكتب أموالك. قال: وتُؤَمّنني؟ قال: إذا رأيت صدقك. قال: إن لي عند الناس ودائع فأخرجني أتقاضاها. فخرج فنادى: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا فيروز بن حصين كل مملوك لي حرٌ وما في يده له. ومَنْ كانت لي عنده وديعة (فهي له) وهو منها وهو في حلٍّ، ومَنْ كان لي عليه مال فهو عليه صدقة. فتعلمها خالد بن عبد الله القسري منه، فصنعها بيوسف بن عمر. ثم دعا الحجاج بفيروز فضرب عنقه.

حدَّث هشام بن الكلبي عن أبيه قال: سمع رجل من

جـرم يُقـال لـه مسلمـة بن عمـرو أو عمـرو بن مسلمـة رسول الله ﷺ، وهو يذكر فتح الحيرة وغيرها، وقد كان رأى بنت بُقَيْلة[1] قبـل ذلـك وكـانت من أجمـل النـاس (وجهـاً وأَشب النسـاء) فقـال: يـا رسـول الله، إذا فتـح الله عليـك الحيـرة فهب لي بنت بُقَيْلة. قـال: هي لـك. وكـان مـع خـالد بن الـوليد، فلمـا صـالـح أهـل الحيـرة قـال لـه: إن النبـي ﷺ كـان وهب لي بنت بقيلة. قال: ومن يشهـد لـك (بـذلك)؟ فشهـد له جـرير بن عبـد الله البجلي ومحمـد بن سلمـة الأنصاري. فنـادى خالـد أن أخـرجـوا ابنـة بقيلة من صلحكم، فـإن نبينـا عليـه السـلام كـان وهبهـا لـرجـل من أصحابه. قال: فجزع[2] أهل الحيرة من ذلك. وقالـوا: مَن الرجل؟ فدُلُّوا عليه. فقالوا: نحن نشتريهـا منك بحكمـك. قال: ولي منها نظرة؟ قالوا: ذلك لك.

فـأنفذوا لـه عجوزاً كبيـرة قد اختلفت تـرقـوتهـا، في حجـاب، فكشف الحجاب فنـظر إليهـا فقـال: إنـكِ لهي؟ قالت: نعم. قال: بؤساً لكِ، قد صيَّرك الدهر إلى ما أرى.

---

(١) وهي كرامة بنت عبـد المسيح، ولقبـه بقيلة. وجاء في الـطبري أنهـا أعطيت إلى شُـوَيل. والخبـر هنـاك يختلف عمـا ورد هنـا قليلاً. الطبري ـ م، ٣: ٣٦٤ ـ ٣٦٦.

(٢) في أ: «فخرج أهل الحيرة».

قالوا: فاحتكم الآن إلى ما بدا لك. قال: أنا أحتكم عشر مائة. قالوا: فلك عشر مائة.

وبلغ المسلمين إنهم قد حكَّموه فرجع إليهم بعشر مائة، قالوا: قد والله خُدعت مرتين، كيف صارت عجوزاً وأنت شاب؟ قال: هذه واحدة. قالوا: وعشر مائة. قال: أَوَ في الأرض عدد يجاوز عشر مائة؟ قالوا: نعم عشرة آلاف. قال: خُدعتُ مرتين.

قيل كان رجل يسخر بالناس ويدَّعي أنه يَرْقى[1] الضرس إذا حَزَبَ على صاحبه. فكان كلما أتاه من يشتكي من ضرسه قال له إذا رقاه: إياك أن تذكر القرد إذا صرت إلى فراشك، فإنك إذا ذكرته بطلت الرُّقْيَة. وكان أحدهم إذا صار إلى فراشه أول ما يخطر على باله القرد، فيبيت على حاله من وجعه، فيغدو إلى من رقاه، فيقول له: كيف بِتَّ؟ فيقول: بِتُّ وجِعاً. فيقول: لعلك ذكرتَ القرد؟ فيقول: نعم. فيقول: من ثَمَّ لم تبرأ.

انتهى[2] الكتاب ولله الحمد والمنَّة، وصلّى الله على

---

(١) يرقى: يستعمل الرقية نفعاً أو إضراراً. والرقية هي أن يستعان للحصول على أمر بقوى تفوق قوى الطبيعة كما يقول الرقاة.

(٢) هذه خاتمة نسخة أ.

سيدنا محمد النبـي الأمي وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيـراً. وحسبنـا الله ونعم الوكيـل، على يد فقيـر عفو ربـه الممجـد عيسى بن علي بن محمد الشافعي. في مستهـل شهر ربيـع الأول ــ من شهور سنة تسع وثمانين وثمانمائـة. والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيدنـا محمد وآلـه وصحبه وسلّم، ورضي الله عن كل الصحابة أجمعين.

فيـا قـارئـاً خـطى سـل الله تـوبـةً
أفـوز بهـا يـوم المـعـاد من الـحشـر

***

شكرٌ واجب

أعـانني على تحقيق الكتـاب وإخـراجـه عـدد من الإخوان الأفاضل، أرى من الواجب الاعتراف بما بذلوه من جهدٍ وما قدموه من عونٍ. أخص بالذكر منهم الأستـاذ السيد مكي جـاسم والأستاذ جـاسم محمد الـرجب، اللذين أبديـا مسـاعـدة قيِّمـة في كشف كثير من الكلمـات والتعـابيـر المبهمـة، والأستاذ فؤاد السيـد الذي أشـرف على مـراجعـة الكتـاب وطبعه ووضـع فهارسـه، والأخ السيد قـاسم محمد الـرجب الذي قـدم مخطوطـة الكتاب وتـولى طبعه ونشـره. فـإلى هؤلاء جميعـاً أزجى أزكى التحيـات وأتقـدم بخـالص الشكر والثناء.

أحمد عبد الباقي



المـراجـع

الأخبار الطوال: لأبـي حنيفة أحمد بن داود الدينوري.
تحقيق عبـد المنعم عـامـر والـدكتـور جمـال الــدين الشيال.
دار إحياء الكتب العربية ــ الطبعة الأولى ــ القاهرة ــ ١٩٦٠.

أخبار النساء: لابن قيِّم الجوزية.
إصدار دار الفكر ــ بيروت.

أعـلام النسـاء في عـالمي العـرب والإسـلام: لعمـر رضـا كحالة.
الطبعة الثانية (٥) أجزاء.
المطبعة الهاشمية ــ دمشق ــ ١٩٥٨.

الأعلام (قامـوس تراجم لأشهـر الرجـال والنساء من العـرب والمستعربين والمستشرقين):
تأليف خير الدين الزركلي.

الطبعة الثانية (١٠) أجزاء.
مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ـ مصر ـ **١٩٥٥**.

الأنساب: للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني ـ (الجزء الأول).
الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية.
حيدر أباد الدكن ـ **١٩٦٢**.

أيام العرب في الجاهلية: محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم.
مطبعة عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة ـ **١٩٤٢**.

إيران في عهد الساسانيين: تأليف كريستنسن، وترجمة: يحيى الخشّاب.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ **١٩٥٧**.

البدء والتاريخ: لمطهر بن طاهر المقدسي (٦) أجزاء.
عني بنشره كلمان هوار ـ طبعة باريس ـ **١٨٩٩**.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: للحافظ جلال الدين السيوطي.
الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ **١٣٢٦هـ**.

بلاغات النساء: لأحمد بن أبي طاهر طيفور.
مطبعة مدرسة والدة عباس الأول ــ مصر ــ ١٩٠٨.

التاج في أخلاق الملوك: لأبي عثمان بن بحر الجاحظ.
حققه: أحمد زكي باشا.
المطبعة الأميرية ــ القاهرة ــ ١٩١٤.

تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري.
الطبعة الأولى ــ المطبعة الحسينية المصرية (١٣) جزءاً.
وطبعة دار المعارف بمصر (٤) أجزاء منه فقط ــ ١٩٦٢.

تاريخ الحكماء: لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي.
عني بنشره يوليوس ليبرت، ليبزك ــ ١٩٠٣.

التنبيه والإشراف: لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي.
عني بتصحيحه ومراجعته: عبد الله إسماعيل الصاوي.
دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف ــ القاهرة ــ ١٩٣٨.

جمهرة رسائل العرب: لأحمد زكي صفوت (جزآن)
مطبعة مصطفى البابي الحلبي ــ مصر ــ ١٩٣٧.

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري: تأليف آدم متز. نقله إلى العربية:
محمد عبد الهادي أبو ريدة (جزآن).
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ــ ١٩٤٠.

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي: تحقيق محمد عبده عزَّام (المجلد الثاني).
دار المعارف ــ مصر ١٩٥٧.

زبدة كشف الممالك، وبيان الطرق والمسالك: لغرس الدين خليل بن شاهين الظاهري.
اعتنى بتصحيحه: بول راوس.
المطبعة الجمهورية بباريس ــ ١٨٩٤.

سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: تأليف جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة.
مطبعة بولاق ــ ١٢٧٨هـ .

سلوك المالك في تدبير الممالك: لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع.
مطبعة جمعية المعارف المصرية ــ ١٢٨٦هـ .

شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري: حققه وقدَّم له الدكتور إحسان عباس.
إصدار وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت.
الكويت ـ ١٩٦٢.

العقد الفريد: تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي.
شرح وتصحيح وترتيب: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري (٧) أجزاء.
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر ـ ١٩٤٦.

العقد الفريد للملك السعيد: لأبي سالم محمد بن طلحة الوزير.
المطبعة الوهبية ـ مصر ـ ١٢٨٣هـ.

عيون الأخبار: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٤) مجلدات.
مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٨.

غرر السير المعروف بكتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم:
لأبي منصور الثعالبي.
طبعة طهران ـ ١٩٦٣.

فتوح البلدان: لأبي الحسن البلاذري عني بمراجعته والتعليق عليه:
رضوان محمد رضوان.
مطبعة السعادة ـ مصر ـ **١٩٥٩**.

الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية: لابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا.
المطبعة الرحمانية ـ القاهرة ـ **١٣٤٠هـ**.

الكامل في التاريخ: لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (٩) أجزاء.
المطبعة المنيرية ـ مصر ـ **١٣٠٣هـ**.

كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة أو كاتب جلبي.
طبعة وكالة المعارف في مطبعتها باستانبول ـ **١٩٤٣**.

لطائف المعارف: لأبي منصور الثعالبي. تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي.
دار إحياء الكتب العربية ـ مصر.

مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني.
حققه وعلق حواشيه:

محمد محيـي الدين عبد الحميد.
مطبعة السعادة ــ مصر ــ ١٩٥٩.

محاضرات تـاريخ الأمم الإسـلامية: محمـد الخضري (٣) أجزاء.
مطبعة دار إحياء الكتب العربية ــ مصر ــ ١٩٢١.

مروج الذهب: لأبـي الحسن المسعودي (جزآن).
المطبعة البهية المصرية ١٣٤٦هـ.

المعـارف: لابن قتيبـة. حققـه وقـدَّم لــه: دكتـور ثــروت عكاشة.
مطبعة دار الكتب ــ مصر ــ ١٩٦٠.

معجم البلدان: لياقوت الحموي. الطبعة الأولى.
مطبعة السعادة بمصر ــ ١٩٠٧ (١٠) أجزاء.

معجم المطبوعـات العربيـة والمعرَّبـة: جمعه ورتبـه يوسف إليان سركيس.
مطبعة سركيس ــ مصر ــ ١٩٢٨.

فوات الوفيات: تأليف محمد بن شاكر الكتبـي ــ (جزآن).
حققـه وضبطه وعلق حـواشيه: محمـد محيـي الـدين عبد الحميد.
مطبعة السعادة ــ مصر ــ ١٩٥١.

معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية): لعمر رضا كحالة.
(١٥) جزءاً ـ مطبعة الترقي بدمشق ـ ١٩٦٠.

معجم الأدباء: لياقوت الحموي. طبعة د. س. مرجليوث.
مطبعة هندية بالموسكي بمصر ـ ١٩٢٥.

الملل والنحل: لعبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني (جزآن).
مطبعة البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٩٦١.

نكت الهميان في نكت العميان: لصلاح الدين الصفدي.
وقف على طبعه أحمد زكي باشا.
المطبعة الجمالية بمصر ـ ١٩١١.

نوادر المخطوطات (المجموعة السادسة): كتب أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام وأسماء من قتل من الشعراء: لأبي جعفر ابن حبيب البغدادي.
نشرت بتحقيق عبد السلام هارون الطبعة الأولى ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٤.

نهج البلاغة: شرح عز الدين أبي حامد الشهير بابن أبي الحديد (٢٠) جزءاً.
مطبعة دار الكتب العربية الكبرى ـ مصر ـ ١٣٣٠هـ .

نيل الأوطار شرح منتقي الأخبار من أحاديث سيد الأخيار لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني .
الطبعة الثانية. شركة مصطفى البابي الحلبي وشركاه بمصر، ١٩٥٢ .

الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصفدي. باغتناء س. ديدرينغ .
المطبعة الهاشمية ـ دمشق ـ ١٩٥٣ .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلكان .
حققه وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد (٦) أجزاء .
مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٩٤٨ .

الوزراء والكتاب: لأبي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري .

حققه: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي.
الطبعة الأولى. مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ القاهرة ـ ١٩٣٨.

هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) تأليف إسماعيل باشا البغدادي.
طبع وزارة المعارف في مطبعتها باستنابول ـ ١٩٥٥.



فهـرس الموضوعـات

الموضوع		الصفحة

***

صدر حديثاً عن المكتبة المكيّة

حدائق الأنوار

ومطالع الأسرار

في سيرة النبيّ المختار ﷺ وعلى آله المصطفين الأخيار

تأليف

وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمّد
المشهور بابن الديبع الشيباني الشافعي

تحقيق

عبد الله إبراهيم الأنصاري

